

محمد حور و غنیه

سذاهب فلسفیه

وقاموس مصطلحات

دار و کتابت الحلفاء

محمد جواد مغنیه

عزّ الهبّ فلسفیّة
وقاموس مصطلحات

دار الجواد

دار و مكتبة الهلال

جميع الحقوق محفوظة

دار الجواد
بيروت - لبنان
ص.ب ٥٨١٢-١٤
تلفون : ٣٠٠٧٤٨

دار مكتبة الهلال
بيروت - لبنان
٤٠٤ : ٣٠٠٥ / ١٥

مقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد وآله
الطاهرين

ويعد :

فان في هذه الصفحات أو المحاولات عرضا وتوضيحا
لبعض المذاهب والآراء الفلسفية ، وإضافات وملاحظات هي
من نتائج القراءة والمطالعة الدائمة الدائبة مدى عشرات
السنين ، ومع هذا فلا آمن الخطأ فيها سطرت وعرضت ،
لسبب واضح وبسيط وهو انى لست معصوما ، وايضا لست
مجنونا . . وأعوذ بالله من حبائل الغرور وعمى القلب
والتصور .

وعلى أية حال ، فان الهدف الاول من كتابي هذا هو أن
يمهد سبيل التفهم لبعض الحقائق الفلسفية ، وأن يخرج
القارئ منه وهو أدق فكرا ، وأوسع انقسا مما كان عليه
قبل قراءته .

طلاب الفلسفة

كل انسان اذا رأى شيئا ، وتسائل عن علته ، فهو من طلاب الفلسفة والراغبين فيها ، لأن الفلسفة هي واقمها هي التعرف على علل الأشياء وعلاقة واقمها بظواهرها ، ومن هنا كانت الفلسفة عند الاقدمين العلم الكلي الذي يعم ويشمل جميع العلوم بشتى انواعها ، وكذلك كان الحال في القرن السابع عشر الميلادي . قال أبو الفلاسفة الفرنسي ديكارت (١٥٩٦ - ١٦٥٠) : « الفلسفة أشبه بشجرة جذورها علم ما بعد الطبيعة ، وجذعها علم الطبيعة ، وأغصانها علوم أخرى » ولكنه قال أيضا : ليس في الفلسفة امر الا وفيه خلاف . أما الفيلسوف الالماني ليبنتز فقد اكتشف من التساؤل الفطري عن علل الأشياء والاحداث ، مبدا العلية والسببية القائل : « لكل حادث سبب » . واليك عبارته الخيرة الغزيرة :

« لا واقع يمكن أن يكون حقا او موجودا ، ولا حكم يمكن أن يكون حقا الا وتكون هناك علة كافية لكونه كذلك لا على خلافه ، وان كانت العلة — في الغالب — لا يمكن أن تكون معروفة لنا » ولنا أن نعطف على هذه العبارة — بقرينة السياق — ونحمل ما خفي علينا من العلة ، على جهلنا ، ولا يسوغ بحال جحودها والقطع بعدم وجودها .

وكل العلوم والفلسفات وجميع القوانين والشرائع والاديان السماوية والكتب الالهية — تقوم على أساس مبدا العلية القائل : لكل حادث سبب . ولولاه لكان حديث العلم والدين والفلسفة أشبه بمضغ الهواء ، وكان العالم الرشيد تمامها كالجاهل البليد .

الغموض والغربة

معظم ما كتب في الفلسفة أو نصفه — على الاقل — من الظلمات والمعميات .. يشتري القارئ العادي كتابا لمجرد انه يحمل اسم فلسفة ، ويلقى عليه املا كبيرا في تنويره وتثقيفه ، ولكن سرعان ما يصطدم بالغموض والغربة ، فيستعين بالهوامش والقواميس من غير جدوى ، فيتبخر امله ، ويلقى الكتاب باحتقار وازدراء ، لان القارئ يحترم الكتاب والكاتب بقدر ما ينتفع به ، ومحال أن ينتفع ويستفيد الا اذا فهم وعلم .

وتسأل : ما هو السبب الموجب للصعوبة والغربة ؟
الان مادة الفلسفة بذاتها من المشكلات والمعضلات ، أو ان الذنب ذنب الكاتب لا ذنب الفلسفة ؟

الجواب :

ان الفلسفة كأي علم من العلوم ، في موادها اليسر والعسر على الافهام ، وايضا الذين يكتبون ويؤلفون على وجه العموم وفي أي موضوع كان ، منهم من يعجز عن التعبير لانه معتد بالذات لا بالعرض ، وآخر لفته ضعيفة وهزيلة ، وثالث يتقدر على الكلام المفهوم ، ولكنه لا يرغب فيه ، ويطلب من القارئ أن يبذل جهدا مريرا في تفهم معانيه ، عسى أن يقال : ان علمه لعظمته صعب المثال ! . وكان الاجدر به أن يبذل هو أقصى الجهد في تحري الوضوح والبساطة ، والبعد عن الغلظة والغلاظة في أسلوبه وعباراته ، نقول هذا علما بأن التعبير والابانة سليقة وموهبة وان أسلوب الاتسان هو نفس الاتسان ، ومع ذلك نؤمن ونوقن بأن للجهد الجهد والتكرار الدائب ثماره وآثاره .

أما الغموض والصعوبة في بعض المواد والنظريات ، فلا تستعصي على الحل حتى ولو كانت أصعب وأخفى من النظرية النسبية (١) فقد رأينا أقلها تسهل العسر ، وتوضح المشكل والمتشابه حتى كأنه من البديهيات أو لوضح ، وأيضا رأينا أقلها تعمي البصر ، وتعسر اليسر . ورحم الله استاذنا السيد الحامي ، فقد كان من دأبه أن يكرر العبارة ويعيدها إذا كان المطلب صعبا مستصعبا ، وكنت أصيح وهو يعيد : واضح سيدنا واضح .. فيقول ببرودة اللامكرث : « أجل ، ولكن بعد البيان » .

اشارة الى المحتوى

كان من الممكن أن أعرض الفلسفة وما فيها من مذاهب وآراء ومصطلحات ، أكثر مما سطرت وكتبت .. والفرصة متاحة لي لو أردت ، فان مكتبتي متخمة بالاسفار الفلسفية القديمة والحديثة ، منها الطويل ، ومنها القصير ، ومنها ما بين ذلك ، وأكثرها مترجم عن اللغات الاجنبية بما فيها اللغة الصينية والروسية والاردية ، ولكن سبق أن نشرت ستة مؤلفات في الفلسفة ، فقررت أن تقتصر فصول هذا الكتاب على أمرين فقط :

١ - اعطاء فكرة واضحة عن بعض الفلسفات أو التيارات السائدة في العصر الراهن بخاصة اللاحادية التي يجهلها أكثر الدعاة الى دين الله أو الكثير منهم ، عرضت هذه الفلسفات مع النقض والرد بمنطق العقل وبديته .

(١) اقرأ فصل نقدية على النظرية النسبية .

٢ — ان افسر بعض المصطلحات الفلسفية والعلمية الاكثر
شجوعا واستعمالا كتكنولوجيا والديناميكا وما اشبهه .

وبه تعالى نستمند المعون والتوفيق ، وعليه وحده نتوكل ،
ونصلي على النبي وآله .

الاوليات الفطرية هي الاساس

ما بالذات لا يعقل

المراد بالاوليات الفطرية كل ما يدركه الانسان تلقائيا ، وبلا دليل ومقدمات ، بل يؤمن به بمجرد التصور ودون روية وتأمل ، ويشترك في هذه المعرفة كل الناس ، سواء فيها العالم والجاهل ، وتسمى أيضا بديهية وضرورية ، والامثلة على ذلك اكثر من أن تحصى ، منها : على الجاهل بشيء أن يسأل العالم به ، وعلى المريض أن يراجع الطبيب ، وعلى صاحب الحاجة أن يسعى في قضاء حاجته . « لا يكلف الله نفسا الا وسعها » . قال الملا صدرا في الاسفار : « لا يمكن تحصيل الاوليات بالاكتساب والبرهان ، ولا بالتعريف الحدي أو الرسمي اذ لا شيء أعرف منها . ومن ناقش في ذلك فلا يستحق المكاملة والمناظرة » . لانه تماما كجدال من ينكر عليك علمك بانك موجود ! .

وانما سميت هذه الحقائق اولية ، لان دلالتها ذاتية ، وما بالذات لا يعقل (اي لا يحتاج الى دليل) بل يستدل به على غيره ، ولا يستدل بغيره عليه . ومن المستهجن عند أهل العرف أن تسأل : لماذا يطير الطائر بجناحيه ، ويمشي الانسان على رجليه ، ويأكل بنميه ، وينطق بلسانه ؟ .

وتسأل : ان الاوليات البديهية او المعطيات الاولى ، لا تنحصر بالعقل الفطري ، فان الحس أيضا من هذه المعطيات

كروية الليل والنهار والجبال والبحار ؟

الجواب :

ان العقل الفطري شرط أساس لسلامة الحس وصحة التجربة حتى الوحي لا يكون حجة ملزمة ، ووسيلة للاثبات الا ان يحكم العقل بإمكانه وصحته . وفي كتاب الاسفار : « ان الحواس لا تعلم ان للمحسوس وجودا ، بل هذا من شأن العقل » . وبهذا نجد التفسير السليم لقول الرسول الكريم (ص) : اصل ديني العقل ، ونعرف الحكمة من اهتمام القرآن بالعقل والتأمل واذن فذكر البديهة ذكر للحس .

الاسلام من المعطيات الاولى

استدل ارباب الاقلام ، بالعديد من الشواهد والدلائل على صدق الاسلام وعظمته ، ووضعوا في ذلك الاسفار الطوال والقصار . . ومما قالوا : ان الاسلام من المعطيات الاولى ، يحمل في طبيعته الدليل على صحته وحجته ، لانه يعلن بصراحة لكل الاجيال ان اي شيء يسند اليه دون ان تشهد وتحكم به بديهية العقل مباشرة أو بالواسطة ، فما هو من دين الاسلام في شيء . ومعنى هذا ان الاسلام يقاضي خصومه الى العقل ، ولا دليل وراءه كما اشرنا . وعليه يكون الاستدلال بالمعجزة الخارقة على نبوة محمد (ص) ، من باب التأكيد وزيادة في التدليل .

العقل النظري

وهو الذي ينتقل بك من معلوم حاضر الى مجهول غائب ، من حقيقة بديهية الى حقيقة نظرية — مثلا — نحن نعلم

ببديهه العقل ان الرعية تعيش بأمان وحرية ان كان لها نظام عادل وراع ساهر على حرمة وكرامته ، فاذا راينا بلدا يعيش فيه المواطن خائفا على نفسه وعياله وأمواله علمنا بالضرورة انه يعيش من غير نظام او في ظل نظام جائر او راع غير صالح او هما معا .

مثال آخر : كلنا يعلم بان لا علم بلا عقل حتى عن طريق الحس كما سبقت الإشارة ، وننتقل من علمنا هذا الى أن حضارة الخلاعة والاستغلال وادب اللامعقول كلاهما جهالة وضلالة .

وبعد ، فما العلوم بكاملها ولا الفلسفات والمناهج بأنواعها ولا الفنون والآداب بأشكالها الا أجزاء من خبرة الفكر والعقل . قال اسبينوزا : « اذا غاب العقل ظهرت الخرافة » ، واذا سادت الخرافة ضاع العقل « (١) وهذا هو حكم الاسلام بالذات ، وعلى أساسه اتفق الاقطاب من علمائه على أن ظاهر الشرع اذا تعارض مع العقل أولكوا هذا الظاهر توليلا يعطيه من المعنى ما يتفق مع حكم العقل .

(١) كتاب رسالة في اللاهوت والسياسة ص ١٢ ترجمة حسن هنلي .

حول فلسفة الاشراق

معناه

الاشراق في اللغة : الاضاءة ، يقال : اشرقت الشمس اذا اضاءت . والمنقول عن السهروردي : ان الاشراق في الاصطلاح هو « ظهور الانوار العقلية » اي ان النور على نوعين : ظاهر كتور الشمس ، وباطن كتور العقل ، وهذا النور هو المراد بالاشراق .

التصوف

التصوف على اقسام ، منه ما هو مقبول ومعقول كالقناعة والزهد القائم على العقل والشرع . ومثاله ما جاء في وصف الرسول الاعظم (ص) : « كان في طعنه لا يرد موجودا ، ولا يتكلف مفقودا » . وقال الامام امير المؤمنين علي (ع) : « الاوان امامكم قد اكتفى من دنياه بطهره ، ومن طعنه بقرصيه » .

وقسم آخر من التصوف يشطح بصاحبه الى اللامعقول ، الى اقتلاع كل ميل ورغبة من الجذور ! ومعلوم ان الانسان يعيش بروحه وجسمه معا ، ولا مهرب له من احدهما مهما وضع عليه من اثقال . والعاقل يوازن بينهما ، ولا يدع احدهما يطغى على الآخر .

وقسم ثالث من التصوف لا يأخذ العلم من الحس والدرس،

بل من الله مباشرة عن طريق الجوع والقهر والصبر عن
الملذات والشهوات .

وقال رابع : الطريق الوحيد الى الاتصال بالله هو السكر
والنشوة بحبه وعشته !.. الى آخر هذه الخرافات
والجهالات .

السهروردي

اما السهروردي الشهير بفلسفته الاشراقية فانه يؤمن
بفكرة التصوف ، ويكسر بها يصطدم مع العقل
كتجميع الشهوات من الاساس ، ولا يمنع البحث والدرس ،
ولكنه يقول : من الممكن والجائز أن يصبح العقل مجرد نور
كنور الشمس والكهرباء عن طريق جهاد النفس وحملها على
الفضائل ، وترويضها على الحد من الاهواء ، وعندئذ يتم
للعقل الاستعداد لتلقي الغيب من الله في النوم او اليقظة .
وهذي عبارته في كتاب هياكل النور ص ٨٥ الطبعة الاولى :

« النفوس العاقلة انما يشغلها عن عللها سلطان القوى
البدنية ، فاذا قويت النفس بالفضائل الروحانية ضعف سلطان
القوى البدنية بتقليل الطعام وتكثير السهر — وعندئذ —
تتخلص أحيانا الى عالم القدس ، وتتصل بالله ، وتتلقى منه
المعارف » . ثم ضرب السهروردي مثالا لذلك في ص ٨٦
بقوله : ان الحديد اذا قربت من النار تصبح حامية مثلها ،
وتفعل فعلها ، وهكذا العقل الخالص اذا قرب من نور الانوار
(أي من الله) يستشرق ويستضيء ويستنير بنور الله .

وبأسلوب آخر ان اكثر الصوفية أو الكثير منهم لا يقيمون
أي وزن وشأن للعقل ونظره ، ويعتمدون على الرياضة

الروحية وتجربتها كطريق وحيد للاتصال بالله بلا واسطة العقل ، أما الاشراقيون فيعتبرون هذه الرياضة وسيلة لصفاء العقل وخلوصه من الشوائب ، وعن طريقه يتم الاتصال به سبحانه . ومعنى هذا ان الاشراق ضرب من التصوف ، والفرق بين الاشراقي وغيره من الصوفية ان غير الاشراقي يتصل بالله بواسطة الرياضة فقط ولا حاجة به الى العقل ، اما الاشراقي فيتصل به تعالى عن طريق العقل الخالص الذي تم نقاؤه وصفائه من الهوى بعملية التدريب والترويض . ويكلمة الاشراق تصوف عقلي .

هذا تلخيص لما فهمته مما قرأت وطلعت عن فلسفة الاشراق . والغصمة لاهلها .

الحكم بين الموضوعي والذاتي

الغرور الاحمق

من أعجب العجب أن يتيه الغرور بصاحبه الى حد الادعاء
حقاً بأن كلمة الحق لا تخرج الا من فيه وحده ولا شريك له ! .

والمناسبة لهذه الاشارة اني قمرات الان في الجرائد
الليبناتية ت ١٨/٦/١٩٧٧ ، ومنها النهار والسفر - اعلنا
لكاتبه ، جاء فيه ما نصه بالحرف الواحد : « يعلن انه هو
وحده - الضمير للكاتب - يتحمل مسؤولية الشؤون
الدينية .. والمصالح لاتقرار المؤسسات والشخصيات
الروحية .. والمعتمد للمرجعية العامة .. في العالم فيما يتعلق
بالامور الدينية والاجتماعية والانسانية عموماً » .

ابدا لا انسانية لاي انسان ، ولا روحانية لاي عالم ديني
مهما بلغ من التقوى والورع والفضل والاجتهاد الا باقرار
المعلن وتعميده وجعله وتقريره والا فهو محرف ومزيف ! .

اليس معنى هذا أن ما يخرج من فيه هو تنزيل من
عليم حكيم ؟

الحكم الذاتي

المراد بالحكم الذاتي هنا الرأي النابع من رغبته الانسان
ومبوه كاعلان هذا المستعلي عن نفسه .. وكراي الأم

في ابنها ، والعدو في عدوه . . وقد ينبع الرأي الذاتي من عقدة في النفس او نقص في الشعور والاحساس . قال ستوارت ميل : « ان بعض العلماء يهمل نصف ما يرى ، وبعضهم الآخر يضيف الى ما يراه بعينه شيئاً مما تخيله ، فيخلط بين الحقيقة والخيال » .

وتسأل : ما من احد الا ويحكم من خلال نفسه حيث يستحيل عليه ان يتجرد عن ذاته وينفصل عنها ؟ .

الجواب :

لا احد يطلب من الانسان ان يخرج من جلده ، ويتحول الى حقيقة غريبة عنه ، وانها المطلوب منه ان يكون حكمه ورايه ثمرة البحث الدقيق الوافي لا نتيجة الحب والحقد .
والتعصب الأعمى .

اجل ، هناك احكام وآراء ذاتية لا توصف بخطأ او صواب ، لانها تخص الشخص وحده ، ولا دخل لها في شؤون الناس من قريب او بعيد كرهبته في هذا النوع من الطعام او الشراب او هذا اللون من الزهر او الثياب دون ذلك . . وما الى ذلك مما لا قياس له ولا قاعدة ، ومن اجل هذا سمي هذا النوع بالحكم الشخصي والذوقي والمزاجي .

ومن الجهل والخطأ ان يحدث فيه خلاف ونقاش مع الفرض بانه لا يمس حياة أحد كما اشرنا .

الحكم الموضوعي

الحكم الموضوعي على العكس من الحكم الذاتي ، ينبع من نفس الموضوع ، أما الذات هنا فهي أشبه بآلة التصوير تعكس الشيء عكسا مجردا عن الميول والعاطفة .

وهنا سؤال يطرح نفسه ، وهو هل يستطيع الانسان ان يدرك الشيء ، أي شيء ، على حقيقته ومن شتى جهاته ؟ .

الجواب :

كلا ، فان الانسان انما يدرك من الشيء ما يدخل في حدود فهمه وشعوره ، وما عدا ذلك فهو غريب عنه وعن تصوره حتى الشيء الذي يتصوره ويدركه لا يعرف منه الا القليل — مثلا — القاضي يستمع للمتداعيين وشهود العيان ، ويناقشهم مناقشة دقيقة وافية ، ومع ذلك قد يخطئ ، ويرى الموجود معدوما والمعدوم موجودا ، فكيف بمن يحكم بمجرد النظرة او اللحظة ؟ ومن هنا قال الفلاسفة او الكثير منهم : ان التعريف بالحد الحقيقي متعذر أو متعسر ، وان التعريفات بكاملها لفظية لمجرد التقريب الى الفهم وكفى .

الذات القدسية

واذا تعذر علينا فهم الاشياء القافهة على جقيقتها كالذبابة والنملة ، ونحن نراها بالعين لا بالاثر فقط ، فبالأولى ان نعجز عن إدراك ما لا يرى بالبصر والبصيرة كالذات القدسية التي لها الخلق والامر كله . وبهذا نجد تفسير الحديث الذي ذكره الكليني في أصول الكافي : « تكلموا في خلق الله ، ولا تكلموا في الله ، فان الكلام في الله لا يزداد صاحبه الا تحيرا » .

اجل ، لك ان تنعته سبحانه — على سبيل التقديس
والتمجيد — بالجلال والكمال والتزيه عن المثل والنظير ،
ولكن هذا شيء وادراك الذات بكنهها وحقيقتها شيء آخر

وقد يقول قائل : ما دامت ذات الخالق غيبا في غيب ،
فمعنى ذلك أنه في عزلة عنا ومنأى ، وعليه لماذا نؤمن به ،
ونتعبد له ؟

الجواب :

انه تعالى غائب في ذاته القدسية ، ولكنه حاضر في علمه
ومقدرته ، وفي رسله وشريعته ، وفي تدبيره وعنايته ، وفي
حسابه وثوابه وعقابه ، وفي الآية ١٦ من ق : انه اقرب الينا
من حبل الوريد ، وفي الآية ٥ من هود : « يعلم ما يسرون
وما يعلنون انه عليم بذات الصدور » . وفي نهج البلاغة :
« الظاهر بعجائب تدبيره للناظرين . والباطن بجلال عزته
عن فكرة المتوهمين » .

بين المنطق القديم والمنطق الحديث

كلمة المنطق

مشتقة من المنطق ، وهو نوعان : منطق خارجي وهو اللفظ ، ومنطق داخلي وهو الفهم والادراك . وبينهما عموم وخصوص من وجه ، يفترق الخارجي عن الداخلي في كلام المجنون ، والداخلي عن الخارجي في التفكير السليم بلا كلام ، ويجتمعان في الكلام المعقول ، ولكن كلمة « منطق » أصبحت بالاستعمال الشائع مرادفة لعلم المنطق أو للعقل ، ولذا عرفوا الإنسان بالحيوان الناطق ، وهم يريدون أن الإنسان يمتاز عن سائر الحيوانات بقدرته على المنطق بالمعقول .

مؤسس علم المنطق

هو الفيلسوف اليوناني الشهير أرسطو « ٣٨٤ ق م - ٣٢٢ ق م » تلميذ أفلاطون ومعلم الإسكندر الكبير ، ويسميه الفلاسفة العرب المعلم الأول ، وكان أستاذه يسميه العقل ، فقد روى الرواة أن أفلاطون حين يجلس في حلقة الدرس لا يشرع به ، فإذا استدعي له قال : حتى يحضر العقل ، فإذا جاء أرسطو قال أفلاطون : حضر العقل .

موضوع المنطق

الفكر الإنساني أي العمليات الفكرية والقوانين والشروط الضرورية للوصول إلى حكم سليم ، يقبله كل مفكر عادي .

تعريف المنطق

فن التفكير اي يعلما المنطق كيف ينبغي أن نفكر لكي نميز بين خطأ الفكر وصوابه .

غاية المنطق

الابتعاد عن سوء الفهم ، أو قل : الوصول الى الحقيقة .

ومن كل ذلك ينضج لنا أن المنطق ليس جزءا من علم ، وانها هو مستقل بقوانينه ومبادئه ، بل هو معيار ومنهج لكل العلوم ، تقاس هي به ، ولا يقاس هو بشيء منها ، ومن هنا تجب دراسته قبل الخوض في العلوم حيث لا يسوغ دراسة العلم ومنهجه في آن واحد .

وعامة الناس في حوارهم واحاديثهم اليومية وما يدور بينهم من نقاش ، ويشرحون من آراء ومعتقدات — يسرون على مقتضى المنطق وعلمه وقواعده من حيث لا يشعرون .

المنطق الصوري

ينقسم المنطق الى نوعين : صوري وتطبيقي ، ونحدث عن التطبيقي في الفقرة التالية ، والآن نتكلم عن الصوري ، وايضا يسمى بالمنطق القديم ، وبالنظري ، والاورسطي نسبة الى واضعه ارسطو . ويقوم الاستدلال والاستنباط في هذا المنطق على اتساق الفكر وانسجامه مع نفسه بحيث تكون الفكرة واضحة في ذاتها والنتيجة مطابقة لمقدماتها شكلا وظاهرا بغض النظر عن صلاتها بواقع الحياة ومقوماتها وعن اي شيء من الاشياء الخارجية .

ومن اقيسة هذا المنطق : هذه نار ، وكل نار محرقة ،
فهذه محرقة . والصفات العامة للمنطق الصوري ثلاث (١)
ترتيب النتيجة على المقدمات حتها ومقهرها (٢) لا تصديق
النتيجة ولا تكذب الا على افتراض صدق المقدمات او
كذبها (٣) ليس في النتيجة معرفة زائدة على مقدماتها .
وعليه فلا يصح ان يسمى المنطق الصوري استدلالا ، اذ لا
يستنتج من المعلوم شيء مجهول .

ومن هنا قال كثير من الفلاسفة الجدد : ان قياس المنطق
الصوري تحصيل للحاصل ، وتطويل بلا طائل (١) تنها كمن
« فسر الماء بعد الجهد بالماء » ! . هذا اذا كان القياس صحيحا
كالمثل السابق « هذه نار الخ » اما اذا كان كاذبا كقياس
السفسطائي الذي رأى صورة حصان على حائط فقال : هذا
حصان ، وكل حصان صاهل ، فهذا صاهل — فهو تسطير
كلام ولقطة لسان .

ثم ان مباحث المنطق الصوري تنقسم الى ثلاثة اقسام :

١ — التصورات ، ويبحث فيها الالفاظ ودلالاتها
وانواعها ، والحد والرسم .

٢ — التصديقات ، ويبحث فيها الايا وانواعها
واحكامها .

(١) قسموا الاستدلال المنطقي الى ثلاثة انواع : الاول الاستدلال بالكلي
على الجزئي ، وهو الاستنباط ، الثاني الاستدلال بالجزئي على الكلي ،
وسموه الاستقراء ، الثالث الاستدلال بالجزئي على الجزئي ، واطلقوا عليه
اسم التبليغي ، وينحصر الحديث هنا بالمنطق الاستنباطي فقط ، وكل
الامراضات تنسب عليه وهذه .

٣ - القياس ، وينبحث فيه الحجج والبراهين وانواعها .

المنطق التطبيقي

ولكي يتضح الفرق بين المنطق التطبيقي والصوري نهدد
اولا بالاشارة الى اهم الفروق بين الفلسفة القديمة والحديثة
على وجه العموم .

في القديم كانت الفلسفة تتألف من التخمينات حول الاشياء
والمشكلات وكفى ، ولم يكن الفيلسوف يعتمد على الخبرة
والمشاهدة ، بل على التفكير المجرد والتأمل الباطني المحض
دون ان يستند الى آلة ومختبر حتى اذا ما تخيل الحقيقة فيما
يرى ، اخرجها للناس كأبعد ما تكون عن الشبهة والنقاش
في رأيه . . اما الفلسفة الحديثة فان الفكرة تلتحم فيها بالخبرة
والمشاهدة وبالعين والائن . وبكلمة ان الفلسفة القديمة
ذاتية تماما كالتصوف ، والفلسفة الحديثة واقعية وعلمية .

والسر لهذا الفرق أن العقل البشري يتطور مع الزمن
وتزيد قدرته ، فقد كان صعود الانسان الى القمر فوق
تصور العقل ، وها هو الآن حقيقة ملموسة ، ومثله تماما أن
يسمع الانسان صوت من في القبور ، وأن يحدثه من في المغرب
وهو في المشرق . . الى غير ذلك مما كان فوق قدرة الانسان
الاول وعقله ، وكذلك الانسان الآن فانه يرى بعض الاشياء
من المستحيلات ، ولكنها ستكون عند انسان المستقبل مألوفة
تماما كالسيارة والطائرة عندنا .

وهذا الفارق الجوهرى بين الفلسفة القديمة والحديثة ،
هو الحد الفاصل بين المنطق الصوري والتطبيقي ، ينطلق

الاول من نشاط الفكر وتأمله وحده مجردا عن التطبيق العملي
(اي الفكر للفكر) اما الثاني فيعتبر التطبيق العملي جزءا
متما لصحة الفكر والتأمل (اي الفكر للعمل) وبهذا يكون
المنطق التطبيقي دعوة أو نظرة علمية موضوعية ، والمنطق
الصوري نظرة ذاتية ودعوة صوفية .

ونختتم الكلام بالمثال الآتي زيادة في التوضيح :

لنفترض ان رجلا الف قياسا من افكاره وخياله وقال :
رايت هذا الرجل يحاول الطيران في الفضاء ، وكل من يحاول
ذلك فهو مجنون ، فهذا الرجل مجنون .

وما من شك أن هذا القياس سليم ومستقيم في عقول
السلف لعجزهم وقصور عقولهم عن ادراك هذا الطيران
وتصور وقوعه لانه بعيد عن بيئتهم وما الفوه في حياتهم ،
ولكن هذا القياس هزيل وعليل في انهماكنا نحن ، لان كل فرد
منا رأى الانسان يطير في الفضاء ، بل ويمشي وينتقل فوق
القمر .

وبعد فان الفكر انعكاس عن الواقع وعالم الشؤون
اليومية ، وثبت بالخبرة والعلم القاطع أن هذا العالم مجرد
حوادث تتحول وتتطور بسرعة ، وكذلك الفكر ونظرياته ،
ومعنى هذا أن الفكر من حيث هو ليس بحاجة مطلقة وبرهان
شامل حتى ولو انسجمت قضاياه ، وتلاعت النتائج مع
المقدمات . وأيضا معنى هذا أن صحة الفكرة نسبية ومرهونة
بتطبيقها العملي على الواقع الذي لا سبيل الى انكاره .

حول الانسان والحيوان

لكل نفس هداها

من العلوم الحديثة علم سلوك الحيوان ، و غايته الكشف عن صفاته ونمط حياته وأوجه نشاطه . ومن جملة ما قرأت في هذا الموضوع لعلماء الحيوان وعندهم ، أن الكلاب مصابة بمعنى الألوان ، فلا تميز بين أسود وأبيض ، وأن نوعا من الأسماك يحس بشوازيه ، وأن الحيوانات تستطيع التفاهم والتخاطب بالاصوات والحركات ، والنمل بالتلامس ، والنحل بالرقص ، وأن للحشرات ثلاثة أنواع من الاغنيات : النوع الاول لجذب الانثى للذكر ، والنوع الثاني للحماس حين التنافس على الانثى بين ذكرين ، والثالث لمجرد المتعة والسلوى .

ولكل نوع من الحشرات لغته وأغانيه الخاصة به ولا يفهمها الا ابن النوع تماما كاللغة القومية للانسان .

واعجب ما قرأت في هذا الباب ان العلماء المتخصصين راقبوا سنة ١٩٥٥ سمكة كبيرة على عمق عشرين قدما ، تتجه نحو شجرة كبيرة من المرجان ، تتحصن فيها الأسماك الصغار من الكبار ، ثم وقفت السمكة الكبيرة عند الشجرة ، وفتحت فمها الضخم ، فأسرعت نحوها بسمكة صغيرة ، ودخلت في فم الكبيرة ، فاقفلت هذه فمها ولكن تركت فيه فتحة

صغيرة ، وبعد فترة فغرت الكبيرة منها على سعته ، وخرجت الصغيرة ، وتبين للعلماء الملاحظين أن الصغيرة قامت بعملية تنظيف في مَم الكبيرة التي كانت قد التهمت شينا وعلقت بعض الطفيليات بنمها ، وبذلك تخلصت الكبيرة من الاضرار ، واستفادت الصغيرة غذاء من غير احتساب (١) .

وفي الجزء الاول من كتاب الامتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي وغيره من كتب الحيوان — حكايات عن تداوي الحشرات والطيور والحيوانات بالاعشاب وغيرها اذا مرضت . . وقبل أن يكتشف ذلك اهل الاختصاص بقرون ، اشار اليه سبحانه بقوله : « وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم — ٣٨ الأنعام » واشار الى لغة الحشرات بالخصوص : « قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم — ١٨ النمل » والى لغة الطيور : « علّمنا منطق الطير — ١٦ النمل » . « فقال — اي الهدد — احطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ نبأ يقين — ٢٢ النمل » .

عبقريّة العقل

بعد الصفحة التمهيدية نعرض السؤالين التاليين مع الاجابة عنها :

السؤال الاول : اذا كان للحيوان هذا الادراك او هذه الهداية فكيف اعتبر العلماء العقل حدا فاصلا يفرق بين الحيوان والانسان ، وكان الاتسب والاصوب أن يفرقوا بأن هذا يمشي على رجلين وذاك على أربع مثلا ؟ .

(١) مقتطف من مقال مطول بعنوان لغة الحيوان ، نشرته مجلة عالم الفكر الكويتية في العدد الثاني من المجلد السابع .

الجواب :

المراد بالعقل الذي خص به الله الانسان وكرمه بنعمته هو الذي يفكر به من حرية واختيار ، ويميز عن طريقه بين الخير والشر والهدى والضلال ، ومن أجله شرع سبحانه الحلال والحرام ، وبه يحاسب ويثيب ويعاقب ، وايضا به اكتشف الانسان أسرار الطبيعة واخترع وابدع ، فحطم الفرة ، واهتدى الى الكهرباء والعقل الالكتروني ، وقفز الى القمر ، وأنشأ الحضارات ، واتى بالمعجزات .. وهنا يكمن السر في قوله سبحانه مخاطبا العقل : ما خلقت خلقا احب عليك منك .

وقال أديب معاصر : كلما اكتشف العقل انما بدت له آفاق ، وهكذا دواليك . وقال آخر : « اذا كان الكون يحيط بالانسان فان في داخل الانسان اعرق واعظم من الكون .. واذا كان في الكون شمس وقمر ونجوم فان في العقل الانساني انكاراً تلعب وتبهر ، واذا كان في الاكوان قوانين دقيقة فان العقل أدق وأروع ، واذا كان علماء الفلك يرون في دقته وحكمته دليلا على عظمة الله فان تكوين الانسان أكبر دليل على عظمة الخالق ، واذا كان النظر الى السماء يجعل الانسان يشعر بضآلته فان التأمل في نفسه يجعله يشعر بعبقريته » .

فان مكانة الحيوان وهدايته الى طريقته وحاجته من هذه الفضائل والشائيل ؟ ان الحيوان لا يخطط ويصمم ، ولا يعرف للتفكير وحرية ولا للاقتناع والايمان ، من معنى ، وغاية الامر ان الله سبحانه أودع فيه قوة وغريزة تقوده آليا وتلقائيا الى ما يضطر اليه في حياته ويقائه تماما كما خلق جلّ وعلا الكون وأودع فيه النواميس التي تتحكم به بمشيئة الله تعالى ،

وتتوده ذاتا وتكوننا الى الغاية من وجوده .

الصدفة

اما السؤال الثاني فهو : لماذا لا نرجع النواميس الموجودة في الكون^٥ الى الاتفاق والمصادفة ، كما يقول اصحاب النظرية اليكانيكية ؟ فكم للمصادفات من حسنات ؟.

الجواب :

١ — ما من أحد يلجا الى الصدفة الا لعجزه وجهله بعلم الحوادث او لعناده ومكابرتة .

٢ — ان معنى الصدفة هو وقوع حادث او حوادث من غير علة محددة ومطرودة (١) مثل ان تلد مئة حامل مئة ذكر لا انثى بينهم ، او مئة انثى لا ذكر بينهم في ساعة واحدة وبلد واحد . ومثل هذا ممكن ذاتا ، ولكنه نادر وقوعا وقد لا يقع اطلاقا . وعلى الفرضين لا يسوغ بحال أن نفسر به مظهرا واحدا من مظاهر الاحكام والابداع ، فكيف بتفسير الكون العجيب بقوانينه واسراره ؟.

٣ — اذا وجد هذا الكون من باب الصدفة فلماذا لا يكون هذا الزعم صادرا عن مدعيه صدفة ومن غير وعي وقصد ؟.

٤ — اذا ساغ أن ينسب النظام المعقول الى الصدفة اللامعقولة يسوغ ايضا أن ينسب العلم الى الجهل

(١) الصدفة على قسمين : مطلقة ونسبية ، والاولى مستحيلة عقلا بناء على المتعلق العقل : لكل حادث سبب والممكن ما يجب لم يوجد . والثانية مستحيلة وقوعا لا عقلا ، ومثل المئة الحامل من نوع الصدفة النسبية . واخترناه لوضوحه .

والحق الى الباطل ، والعدل الى الجور . . الى آخر
هذه الحماقات .

٥ — ان الصدفة لا تخلو من أحد فرضين : اما ان تكون
قاعدة مطردة يفسر بها كل حادث وحادثة . وهذا
خلاف الفرض ، ثانيا لا قائل بذلك ، واما ان يفسر
بها وجود حادثة دون حادثة ، ومعنى هذا أنها ليست
بقاعدة ، وبالتالي فما هي من العلم في شيء .

٦ — يسر الكون على قوانين كاملة ومطردة ، ولولاها
لم يكن لحي فيه مقر ولا ممر ، ولم يلتئم وينسجم
شيء مع شيء على الاطلاق . . مضافا الى ان مبدأ
العلية ترتكز عليه جميع العلوم ، ولا يمكن بحال ان
تكون أية حادثة موضوعا لاي علم الا بعد التسليم
بحتمية العلاقة بين العلة والمعلول ، والنتيجة
والمقدمات . وما من شك ان خضوع الكون لقوانينه
والمعلول لعلته يبطل القول بالمعشوائية والمصادفة .

صدق القضية

بالبدئية أو التجربة

القبلية والبعدية

قسم عدد من الفلاسفة المعرفة الى قبلية وبعدية ، وأرادوا بالقبلية المعرفة البديهية الفطرية التي هي من عمل العقل وحده مستقلا عن التجربة والمشاهدة كالعلم بأن الكل أكبر من الجزء ، أما المعرفة البعدية فتأتي بعد التجربة والمشاهدة كالعلم بمحتوى هذا الكتاب ومضمونه .

وبكلمة أن العلم القبلي في الإنسان فطرة وغريزة أشبه بادخار النمل وائتاج النحل للعسل ، أما العلم البعدي فالكسب من الخارج . وبعض الفلاسفة أنكر القبلي من الأساس .

القضية تحليلية وتركيبية

وأيضا تسمى القضية القبلي تحليلية ، لأن المحمول — كما هو الفرض — ثابت بالذات للمحمول عليه، ولا ينفك عنه بحال، ولذا اذا جزأت القضية ، وفكرت الموضوع دون المحمول أو المحمول دون الموضوع — دلّ أحدهما على الآخر فكلمة أرملة تعني امرأة مات زوجها ، وكلمة امرأة مات زوجها تعني الأرملة .

وتسمى القضية البعدية تركيبية ، لأن المحمول غير ثابت

بالذات للموضوع ، ولا نعرف أنه من صفاته الا بعد التركيب ومراجعة الواقع مثل هذا الكتاب مفيد أو غير مفيد .

لا بديهية عند الماديين

وقال الماديون : لا حقيقة اطلاقا الا في الارض ومن الارض ، وكل ما يدور في الرأس والعقل فهو أوهام وأحلام تماما كتخيل جبل من ذهب ونهر من عسل الا ان يكون مستفادا من حس ومشاهدة .

أما ما يسمونه بالمعطيات العقلية الفطرية فهو من معطيات المشاهدة الخارجية دون العقل .. وما يقول القائل العاقل : $1 + 1 = 2$ والطريق المستقيم اقرب مسافة من غير المستقيم ، والخمسة اكبر من الاربعة — الا بعد ان يرى ويشاهد ذلك في الخارج بكل وضوح ، ومعنى هذا ان لا معرفة قبلية ولا حقيقة مسبقة .

الجواب :

ان كل الناس يدركون بفطرتهم تحريم القتل من غير حق وشهادة الزور ، وان الحرية حق طبيعي لكل فرد .. الى غير ذلك مما لا صلة له بالحس والمشاهدة من قريب أو بعيد . وايضا كلنا يعلم ويؤمن آليا وتلقائيا بأن هذا الشيء المعين هو هو بذاته لا غيره والا يستحيل ان نعلم بوجود شيء على الاطلاق .. ويسمى هذا المبدأ بقانون الذاتية ، ولا ينكره عاقل على وجه الارض .

وان قال قائل : اجل ، لا احد يشك في أن الشيء المعين

هو هو ، ولكن هذا القانون أو هذا القول لا جدوى من ورائه ، لأنه تحصيل حاصل تهما كقول القائل : الماء هو الماء . ومثله لا يبحث في العلم وأبوابه ، وهل من عاقل يطلب العلم بالمعلوم ؟ .

— قلنا في جوابه : ان أكثر الواضحات أو الكثير منها تحصيل حاصل أو به أشبه ، ومع هذا هي مألوفة عند العرف لسبب أو آخر ، أما العلماء فلا يذكرونها ويبحثونها في دروسهم وأسفارهم كجزء أو فصل من العلم ، بل يتخذون منها علما يتوصلون به الى المعرفة . و فرق كبير بين العلم والمنهج المتبع في دراسته .

ومن أخص خصائص المنهج ان يكون واضحا كتحصيل الحاصل . حتى التجربة تعتمد على قضية مسبقة ، وتنطلق من هذا المبدأ القبلي القائل : « ان القضايا التجريبية لا تمت الى الصدفة بسبب » حيث لا ارتباط وعلاقة بين الصدفة وبين وجود الحادث كما هو الفرض .

وأخيرا لولا القضايا القبلية والمعطيات المباشرة لانسد باب العلم بأصل الوجود فضلا عن العلم بالقيم والحقائق .

القضية التحليلية اخبارية

وتسأل : هل توصف القضية التحليلية بأنها اخبارية مع العلم بأن صدقها ضروري ؟

الجواب :

أجل ، لأنها حكاية عن الواقع ، وليست مجرد انشاء ،

فقولنا : $1 + 1 = 2$ كقولنا : النحاس يوصل الكهرباء ،
والفرق ان القضية الاولى ضرورية لا تقتدر الى تجربة
وامتحان على العكس من الثانية ، قال الفيلسوف الالماني
كانت :

« القضايا الرياضية ذات مضمون خبري تماما كالقضايا
الطبيعية مع العلم بان الاولى لا تستدعي مراجعة الواقع
الخارجي .. ومعنى ذلك ان القضية التحليلية هي تبليغة
وخبرية في آن واحد ، ولا تناقض بين الوجهين » . (١) .

والخلاصة ان الشرط الاساس للقضية الخبرية ان تكون
حكاية عن شيء واقع سواء اكانت القضية ضرورية
الصدق ام لم تكن ، اما تعريف من عرف الخبر بانه يحتمل
الصدق والكذب فهو تعريف بالرسم لا بالحد ، والفرق بينهما
ان الحد تعريف لنفس المحدود بهويته الشاملة لجميع افراد
بحيث يدور الحد مدار المحدود وجودا وعدما ، وهذا متعذر
او متعسر ، اما التعريف بالرسم فهو عبارة عن ذكر الشيء
بصفة من صفاته كقولك : هذا الكتاب الفه فلان او نشرته
الدار الفلانية .

(١) نثلا من كتاب نحو فلسفة علمية للكتور زكي نجيب .

حسول الجمال

العلم كلي وجزئي

يوصف العلم على أساس موضوعه بالكلي والجزئي ، والمراد بالجزئي أن يكون موضوعه أخص من موضوع العلم الذي يشمل ، كعلم الاقتصاد بالنسبة الى علم الاجتماع ، فانه يشمل أيضا التشريع والسياسة .، وكعلم الطب بالنسبة الى العلم الطبي . وبهذا يتضح معنى المراد من العلم الكلي . قيل للامام أمير المؤمنين (ع) : صف لنا العاقل . فقال : هو الذي يضع الشيء مواضعه . فقيل : صف لنا الجاهل . فقال : قد فعلت .

وعلم الجمال من العلوم الجزئية ، لان موضوعه خاص ، وكثير من الفلاسفة تحدثوا عنه كباب من ابواب الفلسفة ومسائلها ، وبعضهم وضع فيه كتبا خاصة . وعلم الجمال قاعدي معياري ، نسبة الى المعيار والقاعدة حيث يقاس بقواعده الحكم على الانتاج الفني . والعلوم المعيارية ثلاثة ، الاول علم الجمال والثاني والثالث المنطق والاخلاق ، والقاسم المشترك بين الثلاثة هو الانشاء (أي اعمل هذا ، واترك ذاك) .

كلمة الجمال

كلمة الجمال عامسة وغامضة ، يفهمها كل بما يراه ويهواه ، ومن هنا قال بعض الفلاسفة : ان الجمال فكرة

غير قابلة للتعريف . وقال اناتول فرانس : اعتقد اننا لن نعرف بالضبط أبداً لم كان الشيء جميلاً .

أجل ، ان تعريف الجمال تعريفاً عاماً ويشمل جميع أنواعه ليس بالامر السهل ، وأقصى ما يمكن ان يقال : ان الجمال يتصف به الشكل والمحتوى والفكر والمادة ، وان كل قلب يلبي نداء الجميل . . ولكن اذا سال سائل : لماذا يكون الجميل — على وجه العموم والشمول — جميلاً ؟ أغلق دونه باب الاجابة التي يمكن قبولها والركون اليها ، اما اذا سال : لماذا كان هذا الشيء الخاص المعين جميلاً ، فتهون الاجابة بوسيلة او بأخرى . ومعنى هذا ان جمال الكائنات الجزئية يمكن تعريفه ، اما تعريف الماهية الجميلة التي توجد بوجود كل جميل من اي نوع كان ، وتنتفي بانتهائه — فمتعذر او متعسر .

أين الجمال

اختلف الفلاسفة في الجمال : هل هو شيء موجود ، له عين واثار خارج الانسان ومشاعره ، او ان الجمال مجرد شعور ذاتي في اعماق الانسان نحو الشيء الذي يرغب فيه لا لحسنه وجماله الطبيعي . ويكلام ثان : هل الجمال من عالم الحق والواقع ، او من عالم الوهم والانفعالات النفسية ؟

ذهب الماديون الى الراي الثاني وقالوا : ان الانسان لا يرى الشيء جميلاً الا لرغبة فيه اصيلة تماماً كالطعام في نظر الجائع، والمرأة في عين المشتتهي . ونحن مع اهل العلم والفكر القائلين بأن الجمال موضوعي وطبيعي ، يمكن في الشيء حقاً وواقعاً تماماً كرائحة المسك في المسك ، وحلاوة العسل في العسل . وشاهدنا على ذلك :

١ - يعتقد الماديون ان الشعور بأي شيء انما هو انعكاس عن الواقع الموضوعي . على مبدئهم هذا يكون الشعور بالجمال تعبيرا عن الجمال الموجود فعلا في الخارج ، ولذا له ، ولا ينفك عنه بحال حيث لا فرع بلا اصل ، ومع ذلك ينكر الماديون اصل الجمال ، ويعترفون بوجود فرعه (اي الشعور بالجمال) ومعنى هذا انهم ينقضون ما ابرموا ، ويبرمون ما نقضوا ، ويجمعون بين مترقين ، ويفرقون بين مجتمعين من حيث يشعرون او لا يشعرون .

٢ - ان الفن يتصف بالحسن والجمال حقيقة لا مجازا باتفاق الاطراف والفئات ، بل الجمال هو الفن بالذات ، وعليه يكون انكار الجمال انكارا للفن من الاساس .

٣ - وضع الناس في القديم والحديث اللف الاسفار والمؤلفات في الفن والاسماء اللامعة في ميدانه ، ولو لم يكن للجمال من واقع لاخفتت الفوارق بين جليل وقبيح ، ولم يكن للفن من تاريخ ، بل ولا للانسان والانسانية جمعاء ا واي عاقل تستوي في ادراكه الفصاحة والابهام ، والمبقرية والبلاهة ؟

٤ - كانت المرأة ولا تزال مصدرا من أغنى مصادر الوحي للشعراء والادباء ولاهل الفن من كل نوع . وأخيرا أصبح للجمال ملكة تشهد بأن وجود الجمال

أبين وأوضح من وجود القمر حيث يتجسد في المرأة
أولا ، ثم في القمر ، ثم في أي شيء .

طاغور والجمال

كان طاغور شاعرا وكاتبا ورساما وملحنا ، وقد اعترف
العالم كله بتفوقه وعظمته ، ومذهبه في الفلسفة يعرفه
المثقفون ، ويقوم على أساس أن « الموجود الأسمى » قد حلّ
في الإنسان ، ومن أجل هذا يجب تقديس الإنسان الفرد من
أي نوع كان .

وتحدث طاغور عن الفن والجمال ، ومن جملة ما قال :
الفتية يفسر النصوص ، ويستخرج منها الاوامر والنواهي ،
والفيلسوف يضع مذهباً عقلياً يهتدي به الى الحقائق ، والعالم
يكشف قوانين الطبيعة ، أما الفنان فإنه يكشف عن الجمال
الكامن في الكون ، ويملك القدرة على التعبير عنها .

وقوله : « الجمال الكامن في الكون » واضح الدلالة على
أن الجمال عنصر موضوعي لا شعوري ، وأوضح من ذلك
وأبين قوله : الإنسان لا يتذوق الجمال ويدركه على حقيقته
إلا أن يتجرد عن انفعاله الشخصي ومصالحه الذاتية ،
وينصرف بأكمله الى الواقع ، لأن للجمال مادة واصولا وقواعد ،
أما هدف الفن والجمال فهو تحقيق سعادة الإنسان
وكماله (١) يشير بهذه الجملة الأخيرة الى فلسفته ومذهبه
القاتل : كل شيء خير للإنسان .

(١) ما نذكره من أقوال طاغور نقتناه من مقال مطول بعنوان طاغور
الفنان ، نشرته مجلة عالم الفكر الكويتية في العدد الأول من المجلد الثامن .

الحيوان وحاسة الجمال

ونضيف الى الادلة السابقة على واقعية الجمال : ان المهتمين بدراسة الحيوان لاحظوا ان بعض الحيوانات تؤذيها النغمة الناشزة من الحان الموسيقى ، وأن الثمر اذا هاج بهذا ويرتاح لصوت الكمان ، وان بعض اناث الخيل تطلب الحصان حين تسمع الالحن ، وأن اللقلق والغراب وغيرهما من الطيور تسرق الاشياء اللامعة كالطلحي والفضة وتخفيها . (انظر كتاب مباهج الفلسفة لـ « ول ديورانت » ترجمة ابراهيم مذكور طبعة ١٩٥٧ ج ١ ص ٢٨٦) .

ومنذ سنوات قرأت في الصحف المصرية ان افعى خرجت من جحرها لتستمع الى أم كلثوم في احدى حفلاتها الغنائية ، ولما انتهى الغناء عادت الى مكانها . وفي الآية ٧٩ من الانبياء : « وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير » .

فبأي شيء نفسر هذه الظواهر الغريبة اذا لم تكن تجاوبا مع الجمال ؟ فهل حدث ذلك صدفة وبلا سبب موجب ؟ ولماذا لم يحدث الا في هذه الحال ؟ . واخيرا كما دلت هذه الاستجابة من الحيوان على واقعية الجمال ، فايضا تدل على ان مبدأ العلية (أي لكل حادث سبب) حق لا ريب فيه .

فلسفة الدين

كلمة الدين

الدين في اللغة : العادة ، والاصطلاح : الاعتقاد بقيم
يقدها المتدين ، ويقابله الزنديق والمنافق حيث يبطن الكفر ،
ويظهر الايمان .

وتشمل كلمة الدين بعمومها اديان اهل الارض بكاملها ،
وهي على نوعين متضادين من حيث المصدر : اديان الهية
سماوية تتلقى الوحي من الله بواسطة رسله ، واديان وضعية
ارضية تقوم على افكار الانفراد وميولهم .

والمعروف ان الاديان السماوية ثلاث : الاسلام والنصرانية
واليهودية . وقد يضاف اليها ديانة رابعة ، وهي الصابئة
حيث جمع سبحانه بين الديانات الاربع في آية واحدة ،
وهي : « ان الذين آمنوا — المسلمون — والذين هادوا
والنصارى والصابئين — ٢٢ البقرة » . وعن الراغب
الاصفهاني وغيره ان الصابيء هو الذي يخرج من دين الى
آخر ، وان الصابئية كانوا على دين نوح فتركوه الى سواه ،
فأرسل الله سبحانه اليهم ابراهيم الخليل (ع) . ومن هنا
جاءت التسمية .

الدين بين العلم والفلسفة

للدين علم وفلسفة ، وتطلق على الاول كلمة علم الدين

وعلم الربوبية أو الالهية أو اللاهوت ، والكلمة الاخيرة نختص بالنصارى كما قيل ، ولكن رأيت بعض فلاسفة اليهود يستعملون في كتبهم كلمة « اللاهوت » . والمهم أن المراد من هذه الكلمات هو عين ما أراده المفكرون المسلمون من علم الكلام أو التوحيد .

ويبحث هذا العلم في أصول العقيدة كوجود الله سبحانه وصفاته وأفعاله ، وما يجوز في حقه أو يستحيل ، وفي النبوة والمعجزة والعصمة ، وفي البعث والحساب والجزاء ، كل ذلك على أساس حكم العقل ومنطقه .

أما فلسفة الدين فهي جزء لا يتجزأ من الفلسفة العامة ، ومهمتها أن تكشف عن جوهر الدين ومقاصده وفوائده بعد التسليم به ، وأنه ما نزل من السماء الا لأقامة العدل ، والحث على عمارة الأرض ، والتعاون على حياة وأدعة أمة .

وبكلمة ثانية أن الفرق بين فلسفة الدين وعلمه هو أن هذا العلم يذكر البراهين العقلية (١) على أن الدين حق لا ريب فيه ، أما فلسفة الدين فتكشف عن العلة والحكمة من الحقيقة التي يقرها الدين . ولا يخفى أن هذا تقليف لا فلسفة . ولا مشاحة في الاصطلاح والتسمية .

ونعرض في هذا الفصل أو هذا الموجز ، الحكمة من بعض المبادئ الإسلامية ، عسى أن ينتفع القارئ بذلك ، ويكون

(١) يمدق هذا على دين الاسلام ، أما رجال الكنيسة فقد صرح الكثير منهم أن الدين فوق العقل والعلم ، والشاهد مذابح العلماء بيد المنتهين الى المسيحية في القرن السادس والسابع عشر .

عونا له على ان يفهم الاسلام ويعرفه كما يجب ان يفهم ويعرف .

التوحيد

التوحيد هو اصل الاصول والدستور لدين الاسلام ، ومعناه في جوهره : لا راسمالية ، ولا شيوعية ، ولا وجودية ، ولا برجمانية ، ولا أحد ممتاز له حقوق مقدسة ، وآخر محروم ، نالكل على مستوى واحد في الحقوق والواجبات ، ولا فضل الا بالتقوى بمعناها الشامل لصالح الباطن والظاهر .

ولا بد من الإشارة الى ان عقيدة التوحيد ليست بشيء عند الله الا اذا دفعت الى العمل الصالح النافع . جاء في كتاب أصول الكافي عن الامام جعفر الصادق (ع) : « الايمان عمل كله ، ولا ايمان بلا عمل » ومن هنا قرن سبحانه الايمان بالعمل الصالح في العديد من الآيات ، ومنها : « الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب — الرعد . . الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة — ٦٤ يونس » .

النبوة

الاصل الثاني لعقيدة الاسلام النبوة ، وهي السبيل الوحيد للمعرفة اليقينية بدين الله وشريعته . . ومن أخص خصائص النبي الكمال جسما وعقلا وخلقا ، وأوضح برهان على ثبوت النبوة لدعائها أن تظهر على يده حادثة لا يمكن تعليلها وردّها الى أية قاعدة او أي سبب من اسباب الطبيعة وقواعدها . بهذا تقوم الحجة الكافية على من جحد وعاند .

وبهذه المناسبة نشير الى ان علماء الطبيعة فترقوا بين القانون العقلي والقانون الطبيعي ، وقالوا : القانون العقلي يطرد حتما ، ولا يمكن خرقه ونقضه بحال في عالم الجواز والامكان وبالأولى في عالم التطبيق والوقوع ، مثل نصف الأربعة اثنان حيث يستحيل عقلا أن يكون النصف هنا دون ذلك او يزيد .

اما القانون الطبيعي فلا ضرورة منطقية تحتم اطراده على كل حال ، بل يمكن خرقه ونقضه بحكم العقل ، غاية ما في الامر أن هذا النقض لم يحدث . ومن أمثلته : الحديد يتمدد بالحرارة ، والصبي لا يتكلم ساعة ولادته ، والعصا لا تتحول الى حية تسعى ، والميت لا يعود الى الحياة مرة أخرى ، والماء لا يقف كالجبال من غير سد وحاجز .

كل ذلك وما شابهه صحيح بحكم العادة وفي عالم الوقوع والتطبيق ، ولكن وقوعه غير مستحيل عقلا ، واطراده ليس بواجب تكويناً . وكثيراً ما يحدث الخلط والاشتباه بين القانون العقلي والقانون الطبيعي ، فيعدون المعجزات في التواميس الطبيعية والخوارق فيها من نوع القانون العقلي ، وما هي منه في شيء ، بل هي من صلب القانون الطبيعي الذي يجوز نقضه ، ولا يجب اطراده بحكم العقل وبديهية المنطق . وعلى أساس هذا الخلط والخطأ من انكر المعجزات على أيدي الانبياء ، قاصر او مكابر .

العصمة

وتجب العصمة لكل نبي فيما يبلغ عن الله سبحانه وبالادلة التالية :

١ — ان الوحي معصوم .. والخطأ في تبليغه يخرج
عن العصمة الى التحريف تاما كمن يتلو آية من
الذكر الحكيم على غير وجهها .

٢ — ان الاحكام الوضعية تصدر عن بشر امثالنا ،
وعليه يمكن العلم بها مباشرة او عن طريق التواتر
او شهادة الثقات ، اما الاحكام الالهية فثبتت عند
النبي بالحس واليقين ، ولا تثبت عندنا بأية وسيلة
على الاطلاق الا بمبدأ العصمة بحيث يكون النبي
لسان الله وبيانه .

٣ — وهذا الدليل خاص بنبوة محمد وعصمته (ص)
وخلاصته ان شريعة القرآن ، تصلح لكل زمان
ومكان لانها تهدف الى الخير الاقصى لكل فرد ومن
كل جهة ، وقد شهد بفضلها وسبقها مفكرون
منصفون في الشرق والغرب ، ونقلت العديد من
اقوالهم في كتاب النبوة والعقل ، وكتاب فلسفة
التوحيد والولاية ، والتفسير الكاشف وغير ذلك
مما كتبت والفت .

وأخر ما قرأت في هذا الموضوع مقال مطول بعنوان علوم
العرب القديمة ، نشرته مجلة عالم الفكر الكويتية في العدد
الاول من المجلد الثامن ، وفيه يقول الكاتب ما معناه :

صدر كتاب اسمه تراث الاسلام ، عن جامعة أكسفورد
بإشراف توماس أرنولد والفرد غليوم ، ومن جملة ما جاء
فيه : ان الشريعة الاسلامية تحتوي على مبدأ المعاونة

المشتركة التي تعني المساواة بين الجميع ، وعلى أصل
الاباحة الذي خفف من القيود القانونية التي عرفتتها اليهودية
والمسيحية .. كما شجعت هذه الشريعة النشاطات العلمية
في مجال الزراعة والصناعة والتجارة ، ومنعت الاستغلال ،
وحثت الانسان أن يعيش من عمله ، وحرمت التثدير وتبديد
الثروة ، واعتبرت المصلحة العامة هي الاساس ، ومن هنا
كانت عامة ومرنة .. وفرقت بين حق الله وحق الناس ،
وهو ما يعرف في الغرب بالقانون العام والقانون الخاص ..
وهكذا ارتفع مستوى الاخلاق في القانون الاسلامي ، وكان
له ابلغ الاثر على التشريعات الاوروبية الحديثة من غير شك .

وهذا اعتراف صريح من علماء الغرب أنفسهم بأن القوانين
الغربية مدينة للشريعة الاسلامية .. فمن أين جاءت عظمة
هذا التشريع لمحمد ؟ من فهمه ووعيه أم من انطباعاته
الاجتماعية والثقافية ؟ كلا ، كل ذلك مستحيل أن يحدث لو
لم يكن محمد نبيا يتلقى الوحي من رب العالمين .

البعث

من يكثر بالبعث والجزاء بعد الموت فهو سفيه ومراهن
مخاطر ، لانه لا يخلو من أحد فراضين وليس هناك فرض
ثالث : أما أن لا يربح شيئا على الاطلاق ، وذلك أن لم تكن
هناك آخرة وحساب ، وأما أن يخسر كل شيء ، ويعذب
عذابا مهينا أن كان هناك بعث وحساب .

أما من يؤمن باليوم الآخر وجزائه فهو مراهن عاقل وآمن ،
ينظر لنفسه ، ويبتعد عن مظان الهلكة وشر العواقب ، لانه
لا يخسر شيئا أن لم يكن شيء ، ويربح كل شيء أن يك نشر

وثواب . ويروى أن السيد جمال الدين الافغانى ابحر في سفره الى بعض البلاد ، فهبت ريح عاصف ، فرغب اليه المسافرون أن يكتب ورقة ويلقيها في البحر عسى أن يسكن الموج ويهدأ ، فاستجاب بلا تردد ، ولما سئل عن ذلك قال : ان غرقت السفينة بمن فيها لم أخسر شيئا حيث لا يبقى من يخبر الناس بما فعلت ، وان سلمت ونجت قال المسافرون : نجونا ببركة الافغانى ، وهذه صفتة رابحة . هذا الى انه يدخل في مفهوم اليوم الآخر المثل الانسانية التالية :

١ — ان الانسان يقاس في ذلك اليوم بأعماله لا بأمواله ، وبنيته وسلامة قلبه لا بجاهه ونسبه ، قال سبحانه : « يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم — ٨٩ الشعراء . . يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا — ٣٠ آل عمران » .

٢ — لا يفلت المسيء من العقاب في محكمة الله سبحانه حيث لا يستوي في عدله مصر الصالح ومصر الخبيث ، والبار والفاجر ، قال سبحانه : « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وهم لا يظلمون — ١٦٠ الانعام » .

٣ — من يؤمن بالخلود والمكافاة يتزود بعمل الخير لأخرفته ، ويشعر بالمسؤولية في جميع تصرفاته ، ويتوخى مرضاة ربه وضميره ، أما من ينكر ذلك فيرى الدنيا فريسة الشاطر وفرصته الوحيدة أن ينطلق مع الاهواء — في العادة والغالب — بلا رادع من دين أو ضمير ، ولا يعف عن أية جريمة ورذيلة

ما دام آمنا على مصيره .

وبهذا يتبين لنا أن الإيمان باليوم الآخر لصالح الفرد والجماعة حيث يوجد في كل نفس رقيب وشرطي منها عليها ، قال أرسطو : ردع النفس للنفس هو علاج للنفس .

وان قال قائل : لقد رأينا العديد من المؤمنين بالله واليوم الآخر يرتكبون أكبر الجرائم وأقبح المآثم غاين الردع والزجر الذي زعمت — قلنا في جوابه : هؤلاء مزيفون لا مؤمنون ، فليس المسلم السليم من طالت لحيته واسودت مسبحته ، بل من تنزه دينه وعلمه ، ويده وفمه عن الآثام وأتيان الحرام .

وأعجب العجب أن يدعي العديد منا الإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر ، ويرغموا شعائر الدين والخير ، وينكروا على الجيل التهتك والتفسخ باسم الحرية ، وعلى الساسة الطغاة هدر الدماء والحقوق باسم الديمقراطية ، ثم ينسوا أو يتناسوا ما يفعلونه من الكبائر باسم الاسلام وشريعة القرآن .

الحرية

من الشروط الاساسية والطبيعية لكل تكليف الهيا كان أم وضعيا — العقل والحرية والقدرة ، فبالعقل يميز بين الهدى والضلال ، وبالحرية يختار ، وبالقدرة يفعل ، ومن هنا أوجب الاسلام النظر واعمال العقل ، واعتبر عدم البحث والنظر جريمة يستحق الانسان عليها العذاب يوم يلقي ربه ، قال ، عز من قائل ، حكاية عن أهل النار : « لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا من اصحاب السعير فاعترفوا بذنبهم فسحقا لاصحاب السعير — ((الملك » .

وهذا النص قطعي الدلالة على أن إهمال العقل من أكبر الكبائر ، ونعطف عليه سائر الآيات التي حرمت التقليد ، وقدرست العقل والعقلاء والعلم والعلماء ، وقد تتبع أحد الباحثين لفظ العقل والعلم ومشتقاتهما ومترادفاتها ، فوجد ذلك قد تكرر ٩٦٠ مرة .

ومن المعلوم بالبديهة أن لا عقل أو لا جدوى منه بلا حرية ، إذ كيف يتبع الإنسان الهدى ويدع الضلال من غير حرية واختيار ؟ ومن أجل هذا أسقط الإسلام التكليف عن المجنون والعاقل المكره ، واعتبرها بمنزلة سواء من هذه الجهة . قال الرسول الأعظم (ص) : رافع عن امتي ما استكروها عليه ، وما لا يعلمون ، وما لا يطيقون ، وما اضطروا إليه .

ومن مبادئ الإسلام وشريعته : الضرورات تبيح المحظورات ، العقود تتبع القصود ، لا يحل مال امرئ إلا عن طيب نفس ، لا ينسب لساكت قول ، الناس مسلطون على أموالهم وانفسهم ، الأصل في الأشياء الإباحة (أي الحرية) بل الحرية هي الأصل والإباحة فرع . وبهذا يتبين لنا :

١ — أن الإسلام لا يفرق بين العقل والحرية ، وإنه يرفض الجهل والعنف معا ، ولا يفرض على أي إنسان شيئا يرفضه ويأباه ، وإنما يحثه على التقوى والاستقامة بالحكمة والموعظة الحسنة .

٢ — أن الحرية حق لكل إنسان ، ولا يحدها شيء إلا حرية مثلها لإنسان آخر أو ما حرمه الله بالنص الثابت ، لأن الحرية بلا حدود تعني القضاء على الحرية من الأساس .

٣ - ان دين الاسلام هو دين الحرية يصوغ نظامه
 واحكامه على اساسها ، ابتداء من العقيدة التي
 بعنتقها الانسان الى جميع اقواله وانعاليه ، لان
 الله سبحانه لا يتعامل مع عباده - في تصرفاتهم -
 بارادته التكوينية (اي بقاعدة كن غيكون) كلا ، ان
 الاسلام مجرد وحى وبيان ، وتشريع ونظام ،
 وآداب واحكام : « كلا انه تذكرة لمن شاء ذكره -
 ٥٥ المدثر » .

المنهج العلمي في الاسلام

هذا الفصل جزء من الفصل السابق ومتمم له ، وفكرناه على حدة لأهميته .

العلم والمعرفة

كان العلم عند القدامى مرادفا للمعرفة ايا كان نوعها وسببها ، ثم بدا لفئة من الجدد ان يقسموا المعرفة الى معرفة علمية ، لا تأتي الا عن طريق الحواس . ومعرفة أدبية ، تأتي عن طريق الفكر والتأمل فقط ، واستخدموا كلمة العلم في المعرفة العلمية دون الادبية ، وشاع هذا التقسيم الثنائي للمعرفة حتى في المعاهد والجامعات حيث يقال : القسم العلمي والقسم الادبي .

ونحن لا نفرق بين كلمة العلم وكلمة المعرفة لاسباب إهمها ، أولا : ان الخبرة الحسية ليست بأقوى من المعرفة العقلية ، فكم من مرة خدعتنا الحواس ، فتركناها الى حكم العقل ، كالسراب تراه العين ماء ، والجبال تحسبها جامدة . وهي تمر مر السحاب (١) .

(١) جاء في النظرية النسبية لايتشفاين : ان الأشياء المحسوسة بكاملها مجرد حوادث سريعة الحركة والتتابع تحت تأثير عامل خفي .

ثانيا : ان الخبرتين : الحسية والعقلية متكاملتان حيث لا غنى للحس عن العقل ، ولا للعقل عن الحس ، وعليه يكون الفصل بينهما خطأ وبلا سبب موجب .

ثالثا : ان العلماء لم يكتفوا بملاحظة الحوادث ومشاهدة الظواهر الطبيعية ، بل حاولوا اكتشاف العلاقات بين بعضها البعض مع العلم بأن هذه العلاقات لا يمكن ادراكها بالحس ، ولا يحتمل اثباتها بالتجربة ، وانما توصلوا اليها عن محاولة معرفتها بمجرد الفرض ، فاذا صدق انقلب الفرض عندهم الى قانون علمي تتضح به حقيقة الحادثة والظاهرة الكونية ، شأنه في ذلك شأن جميع القوانين الطبيعية ، ومعنى هذا انهم استخدموا لفظ العلم فيما لا يقع تحت الحس ، ونقضوا هنا ما كانوا قد أبرموه من قبل ، وهم لا يشعرون .

ضرورة الفرض

ولعل من المفيد ان نتحدث قليلا حول الفرض بعد ان اشرنا اليه في الاسطر المتقدمة . وما من شك ان الفرض طريق للعلم والمعرفة ، وضروري لكل عالم وفيلسوف ، ومعناه التفسير المؤقت للظواهر التي هي موضوع الدراسة ، وذلك ان يرى الباحث ظاهرة ، ويخفى عليه سببها ، فيضع لها تفسيراً مؤقتاً من عنده ، ثم ينظر ويختبر هذا الفرض والتفسير ، فان انسجم والتأم مع الظاهرة تماما كحال العلة مع المعلول فهو المطلوب والا فافترض تفسيراً آخر انسب واقترب .. وهكذا حتى يطمئن الباحث ويقتنع بصحة الفرض معززا بالحوادث المشاهدة من الاشياء والنظائر ، وبعدم اصطدامه مع المبادئ المسلم بها ، وعندئذ ينقلب الفرض الى قانون او نظرية .

وبقصد التوضيح نعرض هذا المثال : ظهر مرض في بعض البلدان ، وعمّ جميع سكانه ، فعلى الطبيب أن يفترض لذلك العديد من الاسباب كتناول الجميع لطعام واحد وفاسد ، أو مرور غريب يحمل مرضا معديا ، أو لاشتراك المواطنين في شرب واحد ، فاذا ثبت الاخير أخذ به ، والفى الاول والثاني .

ويعترف الماديون بالفرضيات وأنه لا بسد منها لتفسير الظواهر الطبيعية ، ولا فرق عندهم بين التجربة وصحة الفرض من حيث انها من مصادر المعرفة . فان هناك اشياء موجودة بالفعل ، ولا طريق الى معرفتها الا بالفرض السليم ، ولكن الماديين أنكروا صحة الفرض اذا تجاوز الطبيعة الى ما بعدها ، لا لشيء الا لانها تؤدي حتما الى وجوب الاعتراف بالله وعظمته ! .

الجواب :

١ — ان موضوع الفرض هو الشيء الموجود بالفعل ، ولكن لا يمكن ادراكه بالحس ، ومتى تحقق هذا الوصف حكم العقل باللجوء الى الفرض سواء اكان الموضوع طبيعيا أم غير طبيعي ، ومن المعلوم أن حكم العقل لا يقبل التقييد بحال ، واي عاقل يقول : المربع غير الدور الا اذا كان من نحاس ؟ .

٢ — نسأل الماديين : لقد رأيتم بالحس قوانين راسخة محكمة في الكون ، وايضا رأيتم الحياة في بعض اشيائها دون بعض ، ولم تهتروا بالحس اي سبب يوجب ذلك ، كما تاهت عقولكم عن ادراكه ، فالتجأت الى وضع الفروض . وهذا هو المألوف والمعروف بين العلماء والعقلاء ، بما في ذلك ريب ،

ولكن ارتضيتم فرضا للتفسير يأباه العلم والعقل ،
وهو ما اطلتكم عليه اسم التوليد الذاتي او
الميكانيكي ، و اردتم بذلك ان في الطبيعة قوة غامضة
تولدت منها تسرا وآليا هذه القوانين الراسخة وتلك
الحياة وزينتها وروعتها .

كلا ، ان هذا الغرض لا ينسر ويعبر الا عن الجهل والوهم ،
لانه يتنافى مع القوانين العلمية والمعلومات المسلم بصحتها .
ان الطبيعة لا وعي فيها ولا شعور ، فمن أين جاءها هذا
التدبير والتقدير والتنسيق والترتيب ؟ فهل نظمت هي نفسها
بنفسها ، ووضعت كل شيء في موضعه ، واستمرت على
هذا النظام والاحكام ملايين السنين ؟ .. ابدا ما من شيء
متقن ومحكم من اصغر صغير الى اكبر كبير الا وراءه علم
وتدبير ، وحكمة وتقدير .

واخيرا فكل ما قيل او يمكن ان يقال في هذا الباب مقصد
لخصه وجمعه فولتر في هذه البيضة الفطرية : « ان وجود
الله فرض ضروري ، لان الفكرة المضادة حماقات » .

مسار الفرض

لقد بدا واضحا مما تقدم ان الحواس تدرك الظواهر من
الموجودات ، وان ما عداها يدرك بالعقل مباشرة ، او بواسطة
الفرض . وقال أحد اقطاب الفلسفة : ان الحقائق التي يجب
الاعتقاد بصحتها عن طريق الفرض — ستة انواع ، ونلخصها
فيما يلي بشيء من التصرف في الشكل لا في المحتوى ، بقصد
التوضيح :

١ — الاعتقاد بوجود اشياء كثيرة بطيدة عن حيزنا وتمورنا ، وهي على نوعين : بعضها يمكن ادراكه بالحواس ، وبعضها فوق ذلك ، ولكنه يعرف بآثاره .

٢ — الاعتقاد بوجود العقل في الكثير من البشر دون ان نرى لعقولهم اي اثر ملموس .

٣ — الاعتقاد بأن العقل ليس من نوع المادة ، وانه متفوق الى اقصى الحدود .

٤ — الاعتقاد بأن في الكون قوة محدودة وثابتة لا تزيد ولا تنقص ، لانها لو لم تكن كذلك لما وجدت الجاذبية ، واصبح الكون فوضى ، وانحل الهيكل النظامي فيه ، وعندئذ يستحيل ضبط وقياس اي شيء ، وبهذا تمتنع كل المعارف والعلوم الطبيعية ، ويعتقد المؤمنون بالله ان هذه القوة هي عناية الهية ، اما الماديون فيقولون : هي غامضة ومبهمة ، او انها تولدت من الطبيعة بالذات ، كما سبقت الاشارة .

٥ — الاعتقاد بأن في المادة قوتي جذب ودفع ، وان تحليل هذه الحقيقة وتفسيرها فوق الادراك لمكان اجتماع النقيضين في شيء واحد في آن واحد .

٦ — الاعتقاد ببدا السببية حيث نساق تلقائيا الى اليقين بأن كل حادث لا بد له من سبب دون ان نرى حقيقة السببية والعلاقة بين الابر والمؤثر ، وكل ما رايناه ان حادثة لاحقة وقعت اثر حادثة سابقة ، او ان الحادثتين وقعتا معا وبلا فاصل (١) .

(١) من كتاب ملقى السبيل لاسماعيل مظهر ص ٦٢ وما بعدها .

المنهج العلمي

المنهج في اللغة : الطريق الواضح ، وفي الاصطلاح : الطريقة التي يتبعها الباحث في اي موضوع للكشف عن حقيقة مجهولة ، او لدعم حقيقة معلومة من بسبب ليطمئن قلبي ، والعلمي هو المنسوب الى العلم ، ومن شأنه أن لا يقر شيئا الا بعد قيام الحجة الكافية الوافية .

ويختلف منهج الاسلام في اثبات الحق تبعا لطبيعة الموضوع المأمور به او المنهى عنه تماما كالتاضي ينظر أولا الى نوع الدعوى وصياغتها ، وفي ضوء ذلك يقرر وجهة السر فيها ، ونوع الوسيلة التي يعتمد عليها في النفي أو الاثبات . وفيما يلي البيان .

الايمان بالله

١ - الايمان بالله ، وينحصر الطريق اليه بالاستقراء والاستنتاج ، بالحس والعقل ، ويتم الاستقراء بالنظر الى الكون وعظمته بما فيه ومن فيه كمقدمة صادقة لاستنتاج نتيجة صادقة في نظر العقل . وهذا هو بالذات المنهج العلمي الذي يتبعه الاسلام في الدعوة الى الايمان بالله .

وقد أرشدنا سبحانه الى هذا المنهج في العديد من الآيات ، وعلى سبيل المثال نذكر هذه الآية : « اولم ينظروا الى ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء - ١٨٥ الأعراف » وكلمة من شيء هنا تشير الى النملة الصغيرة فما دونها كعينها

ورجلها ، وانها هي وكل ما فيها معجزة تدل على
باريها فضلا عن الكون ونظامه وهندسته واحكامه .

والمعنى تأملوا وتدبروا هذا الذي ترونه من
شيء ، من أين أتى ؟ وكيف حدث ؟ ومن الذي
صمم وصنع ؟ . ولا تذهبوا بعيدا في البحث عن
الجواب ، استفتوا أنفسكم بالذات ، واسألوا
مقولكم عما رأت أعينكم « ان في ذلك لذكرى لمن
كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد — ٣٧ ق »
وان لم يكن لكم قلوب صافية ولا عقول واعية فاسألوا
عالما كبيرا أو طفلا صغيرا .

الذين عبدوا الاحجار

وما أكثر ما كتبت وقرأت في هذا الباب ، ولديّ من مصادره
عشرات المؤلفات ، ومنها القصص والطوال ، ومنها ما بين
ذلك وغير ذلك من قصاصات الجرائد ، وقد جاء في واحدة منها
ما نصه بالحرف :

« الذين عبدوا الاحجار من ألوف السنين لم يكونوا مخطئين ،
فإن عقولهم — القاصرة — لا تقوى على أكثر من ذلك . ان
عقولهم تحاول ان تعرف ، وهذا اتصى ما وصلت اليه من
المعرفة . . لقد نظروا الى السماء وقالوا : انها جميلة وجلييلة ،
نهل من خالق غير الله ؟ » . فاروني ماذا خلق الذين من دونه
بل الظالمون في ضلال مبين — « لقمان » .

الايمان بالنبوة

٢ — الايمان بنبوة محمد (ص) يأتي عن طريق

الاستقراء بالشاهدة والاستنتاج بمنطق العقل كما جاء في هذه الآية : « قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أذراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون — ١٦ يونس » .

والمعنى قل يا محمد للذين جحدوا برسالتك من أهل مكة : لبثت بينكم أربعين عاما من قبل أن يوحى اليّ ، ويلوتموني طفلا وشابا وكهلا ، وساعة عسري ويسري ، ورضاي وغضبي ، وما رأيتم مني إلا الخير والاستقامة ، والصدق والإمانة حتى اشتهرت عندكم بالصادق الأمين ، فما عدا مما بدا ؟ ولماذا لا تربطون الحاضر بالماضي ؟ .. حقا إن هذا التناقض الظاهر منكم لدليل قاطع على أنكم أنتم الكاذبون والمفترون .

وهذا المنهج الذي انطوت عليه الآية الكريمة هو منهج علمي بالمعنى الحديث ، لأنه يقوم على الحس والتجربة .

الإيمان باليوم الآخر

٣ — الإيمان باليوم الآخر ، ومن يدعم الحياة والبعث بعد الموت في المستقبل البعيد أو القريب — فعليه أولا وقبل كل شيء أن يثبت أن ذلك ممكن الوقوع حيث لا نقش بلا عرش .. وزعم بعض أهل الجاهلية أن البعث ممتنع ذاتا ومستحيل عقلا ، فقد روى الرواة أن أحد المشركين جاء إلى النبي (ص) بمظمة بالية ، وفتها في يده ، ونثرها في الهواء ، ثم

سال النبي ساخرًا : من يحيي العظام وهي رميم ؟، فنزلت الآية ٧٩ من يس : « وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي أنشأها أول مرة .. أوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم » .

يقول ، عظمت كلمته : ان الكون موجود بالعيان والوجدان ، ووجود الشيء يدل على امكان وقوعه بدلالة أقوى من أية دلالة ، لان الشيء لو لم يمكن لم يقع ، وعليه نسأل من يرى البعث مستحيلا : لقد خلقت ولم تك من قبل شيئا ، فالذي أوجدك من العدم وأحياك ثم أماتك وأبلاك ، هو الذي يعيدك تارة أخرى .. والتفرقة في الحكم بين الانشاء والاعادة مع اتحاد السبب الموجب - تهافت واضطراب . وفي فقرة النبوة من الفصل السابق « فلسفة الدين » ذكرنا الفرق بين القانون العقلي والقانون الطبيعي ، فارجع اليه عسى أن تجد ما يلقي بعض الاضواء على مسألة البعث والنشر .

والخلاصة أن منهج الاسلام في اثبات عقيدته واصولها ، هو علمي محض ، يرتكز على رؤية الحس وحكم العقل : العين ترى وعلى اساسها يستنبط العقل ويحكم ، ماين هو الغيب ؟ واي عاقل يستدل بالغيب على الغيب ؟

ان كلمة « غيب » بحروفها وتكوينها اللفظي تطلب الدليل على صدق الغائب عن التصور ، ولن يكون هذا الدليل الا العقل وحده او بمعونة الحس ..

أبداً يستحيل أن يثبت الوحي من الله سبحانه بمعزل
عن العقل ، ولذا قال الرسول الاعظم (ص) :
« أصل ديني العقل » وعليه فمن نسب الى الاسلام
ما يرفضه العقل والعلم فهو من جهل الجاهلين أو
وضع الوضّاعين ، وليس هناك مرض ثالث .

ومعنى هذا أن كل ما يقره العقل والعلم فهو من
الاسلام في الصميم ، وكل ما يرفضه العلم والعقل
فهو مفسدة وزندقة . ومن هنا قال فقهاء الشيعة
الامامية : « كل ما حكم به العقل يحكم به الشرع » .
وفي رسائل الاتصاري : العقل بيان من الداخل ،
والشرع بيان من الخارج . . وإذا تعارض ظاهر
النقل مع العقل وجب تأويل النقل بما يتفق مع حكم
العقل . طبعا تجري عملية التأويل مع مراعاة
الاصول اللغوية .

واخذ الشيعة هذا الاصل عن آل الرسول (ص)
الذين هم أعرف الناس بما نزل على قلب جدهم .
وأخيرا ، فمن قال : « أصل ديني العقل » لا
يطلب منه الدليل على صدق هذه الفكرة من حيث
هي ، لان صدقها في صلب تكوينها ، وإنما يطلب منه
الشاهد على أنه يدين بهذا المثل الأعلى الذي يسمى
الى بلوغه كل الناس . وقد أوردنا بعض الشواهد
على التطبيق من كتاب الله الذي هو المصدر الاساس
لدين الاسلام .

نافذة على النظرية النسبية

آينشتين

البرت آينشتين يهودي ألماني ، ولد سنة ١٨٧٩ وكان في صفه بطيء الفهم ، وما تكلم في السن التي اعتاد الاطفال أن يتكلموا فيها ، وفجأة أصبح نابغة بالنسبة الى امثاله ونظائره .. فقد أعطاه والده « بوصلة » ليلهو بها ، وأخذته الدهشة من ابرتها التي ترجع دوما الى اتجاه ثابت ومحدد ، وقال في نفسه : لا بد وأن يكون في الطبيعة قوانين قاهرة تتحكم في أسيائها ، وكان قد بلغ آنذاك الخامسة من عمره .

ثم مضى في التفكير والتساؤل : لماذا لا يقع القمر علينا ؟ وما هو السبب الموجب لوجود مادة حية وأخرى لا حياة فيها ؟ وفي سن الثانية عشرة عرف جيدا الفرق بين العلوم الرياضية والعلوم الطبيعية ، ولم يبلغ السادسة والعشرين حتى اشتهر ولمع اسمه في الشرق والغرب .. وهكذا انتقل من معرفة الى معرفة حتى انتهى الى النظرية النسبية التي هزت الامكار هذا عنيما ، ونسخت العديد من المبادئ والمذاهب ، وأثرت تأثيرا عميقا في حياة الانسان المادية والاجتماعية والثقافية .. وقد كتب العلماء والفلاسفة عن آينشتين ، وهو حي ، ٤٥٠٠ كتاب . وفي المجلد الاول من دائرة المعارف اللبنانية ص ٨٤ : « يقول العالم الفرنسي لويس دويروي : سيظل آينشتين في نظر التاريخ مبدع نظرية علمية من اعماق النظريات ، وباعث حركة فكرية وفلسفية بعيدة الاماق . ويجب أن لا يغرب عن

بال احد في الاجيال أن الفيزياء النووية ونظرية الطاقة الذرية
مبنيتان على مبدأ آينشتين في تكافؤ المادة والطاقة » .

آينشتين والايمان بالله

لقد اضافت العلوم الجديدة أدلة جديدة على وجود الله
سبحانه ، وشهدت شهادة عيان وايقان على صدق القول
المأثور والمشهور : « وفي كل شيء له آية » تدل على أنه
واحد » . ويكاد يقرب منه قول من قال : « القليل من العلم
يؤدي الى الزندقة — بل والشعوذة — والكثير منه يؤدي
الى الايمان » . وصدق الله العلي العظيم : « انها يخشى
الله من عباده العلماء — ٢٨ فاطر » .

واذن فلا غرابة أن يؤمن آينشتين بالله ، ويقول مدفوعا
بوحى من العلم : « هذا التناقض بين قوانين الطبيعة ، وما
يخفي وراءه من عقل جبار لو اجتمعت كل افكار البشر الى
جانبه لما كونت غير شعاع ضئيل اقرب الى القول فيه : انه
لا شيء » .

وعلق توفيق الحكيم على هذه العبارة في كتابه تحت شمس
الفكر ص ٣٧ وما بعدها — بقوله : « ان احساس آينشتين
نحو الله والكون هو عين احساس محمد (ص) يوم كان
يتحنث في غار حراء . . ولم يظهر نبي حق ولا عالم حق شعر
بغير ذلك . . ان الدين الحق لا يتعارض مع العلم الحق ،
لان المصدر واحد والغاية واحدة » .

ولاينشتين عبارة ثانية أوضح من هذه ، كتبها لبرتراندرسل ،
يحذره من الخوف المشؤوم من الغيب الذي أصبح مرض

الفلسف التجريبي المعاصر .. ويؤكد باصرار أن وراء البحوث العلمية والعقلية قوة عاقلة قائمة بذاتها ، لا تدرك بالحس والتجربة مباشرة ، بل بالفكر والبحث (١) . وأيضا يؤمن آينشتين — خلفا للدهريين — بأن العالم متناه استنادا الى اعتبارات رياضية والى النظرية النسبية . كما جاء في كتاب النظرية النسبية لآينشتين (انظر كتاب النظرية المادية في المعرفة لجارودي ترجمة ابراهيم قريط ص ٢٩١ وما بعدها) .

وبعد ، فاني اعتقد انه لو اجتمع اقطاب العلم بالتشريع والاجتماع والرياضة والطبيعة والفلسفة والفوا كتابا ضخما في صدق الاسلام وعظمته — لما اتوا بها اتي الحديث الشريف : « اصل ديني العقل » وهذه الآية الكريمة : « انما يخشى الله من عباده العلماء » لأن الدين القائم على العلم يستدل به على غيره ، ولا يستدل بغيره عليه .

آينشتين ضد الدولة اليهودية

جاء في الجزء الاول من دائرة المعارف اللبنانية ص ٤٨٤ : كان آينشتين يكره الظلم ، وينشد السلم في العلم ، وقد هاله أن يتوصل النازيون الى القنبلة الذرية ، وكتب من جملة ما كتب : افضل أن ارى اتفاقا معقولا بين العرب واليهود على اساس التعايش السلمي من أن ارى نشأة دولة يهودية .

(١) من مثل بعنوان ماخ وآينشتين والبحث عن الحقيقة ، نشرته مجلة عالم الفكر الكويتية في العدد الثاني من المجلد الثاني .

النسبية والغموض

ليس من اليسير على ازهري أو نجفي مثلي أن يكتب عن النظرية النسبية مهما قرأ عنها وطالع ، وذلك انها وثيقة الصلة بمبادئ الرياضة والطبيعة والفلسفة ، وانها أتت بدنيا جديدة لا عهد للعلم والعلماء ببثها ، ومن هنا شغلت عقول الاقطاب حيناً من الدهر ، وهاجها العديد منهم حتى أطلق عليها بعضهم كلمة المسخ .

وقال آينشتين لهؤلاء : انكم معذورون ، فان النسبية صعبة ومعقدة ، والايام هي الكفيلة بتفسيرها وتوضيحها ، لا أنا ولا أنتم . وصدقت هذه النبوءة حيث دلت التجارب انها حق وصدق في ميدان الكون وأشياءه دون استثناء .

وأرجع الى « النجفي » والنظرية النسبية ، وهي التي قرأت عنها وطالعت الكثير من الكتب والمقالات ، لان عصرنا هو عصر « النسبية » . ونقص فيمن أفنى عمره في الدرس والتدريس والتلقيب والتأليف — أن يجهل حقيقة علمية تعم وتشمل حياة الانسان في كل ميدان ، ولا يلم منها ولو بطرف ضئيل . واحسب أنني على قدر معلوم من هذه الحقيقة .

وسأدلي بهذا الميسور ، وأعرضه في هذه الصفحات وأنا أعرف حدودي ، وأن هذه المهمة شاقة وعسيرة ، والدافع الاول أن يكون هذا العرض نافذة على النظرية النسبية ، عسى أن تمهد الطريق للقارئ الى الايام بها ولو بصورة اجمالية ، وتشجعه على المضي في مطالعة هذا الموضوع المهم ومراجعته .

الطبيعة بين القديم والحديث

كان القدامى يفسرون الطبيعة في غيابها ويميزل عنها ،
ويفسونها بما يتخيلون ويتصورون دون أن يعتمدوا على حس
وتجربة ، ومن ذلك — على سبيل المثال — قول اليونانيين :
المادة بشتى انواعها تتكون من اربعة عناصر : النار والماء
والتراب والهواء . وعلى اساس هذه الفكرة الخاطئة أرسلوا
احكاما مطلقة على الطبيعة واشيائها ، لان هذه الاشياء الاربعة
— في زعمهم — لا يطرا عليها زوال أو تغيير ولا نقليل أو
تطعيم .

وفي هذا القول ثلاثة اخطاء اولا : من شرط العنصر ان
يكون بسيطا لا مركبا ، والماء مركب من عنصرين ، وربما غيره
من الثلاثة . الخطأ الثاني اكتشف العلماء حتى الآن اكثر
من مئة عنصر تتألف منها المادة . الخطأ الثالث ان العناصر
يطرا عليها التغيير والتحويل ، وتأتي الاشارة .

وبمرور الزمن اتفقت كلمة العلماء والفلاسفة على ان الطريق
الوحيد لمعرفة الطبيعة وكوزها هو الحس والتجربة ، وليس
الحس والاهوام . وبهذا سيطر الانسان على قوى الطبيعة ،
واستخدمها لتحقيق اغراضه ، وتوالت فتوحات العلم في
شتى جوانب الحياة حتى استحال على الانسان ان يحقق
اي شيء بدون علم .

وفوق ذلك أصبح العلم شمشون العصر الحديث بقتبلته
التي القاها فوق هورشيما وناجازاكي . . ولولا توازن القوى
لكان الاقذر و « الإقذر » بطغيانه وعدوانه وهو الحاكم بأمره ،
والسيطر على كل ما في الطبيعة من اقوات وكل من في شرق

الارض وغربها من بشر ومخلوقات . وصديق الله العلي العظيم : « ان الانسان ليطنى أن رآه استغنى — ٦ العلق » .

المادة والنسبية

هناك قضيتان عامتان ومحتومتان بمنطق علم الطبيعة ، وهما من أخص خصائص المادة وخطوطها الكبرى . القضية الأولى : ان المادة في حركة دائبة ومستمرة لا تستقر على حال واحدة أيا كان نوعها . القضية الثانية : ان كل الاحكام التي نطلق على شيء مادي يجب أن تكون نسبية بدون استثناء ، وهذه القضية فرع عن الاولى تماما كالنتيجة بالقياس الى مقدماتها ، ويتضح ذلك في رقم (٢) واليك البيان .

المادة والذرة

١ — أثبتت البحوث والتجارب ان العالم المادي يشتى انواعه واجزائه مكون من عناصر بسيطة ، لان اجزاء المركب لا بد ان تنتهي الى البساطة كالأوكسجين والهيدروجين ، والا فلا اجزاء على الاطلاق .. والجهود الآن مستمرة لاكتشاف عناصر أخرى .. وكل عنصر من عناصر المادة يمكن تقسيمه وتجزئته الى الجزء الاخير الذي لو أمكن تجزئته بطريق او بآخر لانتقل وتحول من عنصره وطبيعته الى طبيعة ثانية . وهذا الجزء هو المسمى بالذرة .

ومعنى هذا ان تكوين المادة يبدأ اول ما يبدأ بالذرة ، وهي اعجب العجب ، فقد شغلت الازدهان ، واثارت الجدل ، وملأت القلوب رهبة وخوفا على حياة الانسانية جمعاء ، لان تحطيمها وتحويلها الى طاقة يحول مدينة كبيرة الى هباء ويياب .. وللذرة علم خاص ، وعلماء مبدعون وملهمون ،

ولكن اكثرهم لا يصغون الى صوت الضمير ! . قال كاتب
معاصر : « سلم آينشتين مفاتيح جهنم للعلماء ، وللحاسة
المجائنين ، وللمجانين من هواة الحرب » .

علماء الذرة

وقال علماء الذرة : انها مكونة من جزئين : أحدهما موجب
وهو البروتون ، وآخر سالب وهو الالكترون ، يدور حول
قطبه كما يدور الكوكب حول الشمس ، وانه يقطع في دورانه
مسافة تبلغ ٣٠٠ ألف كيلومتر في الثانية باعتبار فلكه .

وفي كتاب الالكترون واثره في حياتنا تأليف جين بندق
ترجمة احمد أبو العباس ص ٩ ما نصه بالحرف : « بلغ
الالكترون من الصغر بحيث لم يره انسان قط حتى باستعمال
اعظم المكبرات قوة ، ونستطيع ان نتصور أن البلايين منه
قد لا تصل الى وزن اخف ريشة . وكل شيء في الكون مهما
بدا مختلفا عن غيره من الاشياء يستحيل أن يخلو من
الالكترون » .

واذا كانت كل مادة لا تخلو من الالكترون الدائب السريع
في مسيره ، فمعنى هذا انه لا شيء من الطبيعة يساكن
جامدا ، وان بدا كذلك للعيان . قال روجية جارودي في كتاب
النظرة المادية في المعرفة ترجمة ابراهيم قريط ص ٦٤ ما نصه
بالحرف الواحد : « لقد اكتمل المفهوم الحديث للطبيعة
بخطوطه الكبرى ، فصار منحلا كل ما كان صلبا ، ومتحركا كل
ما كان ثابتا ، وفانيا كل ما كان أزليا ، وثبت ان الطبيعة
تتحرك في سيالة ودائرة ابديتين » .

وهذه العبارة او النظرية الحديثة هي التفسير الصحيح

الصريح لقوله تعالى : « وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء انه خبير بما تفعلون — ٨٨ النمل » .

فهل هذا الذي اكتشفه العلم الحديث وقالته النظرية النسبية — من فطرة محمد (ص) وفهمه ، أو من وحي بيئته وثقافته ، أو من التوراة والانجيل ويحيرى الراهب ؟ . كلا والف كلا . انه من خالق الجبال والطبيعة بمن فيها وما فيها من الكنوز والعناصر التي كلما بلغ العلم منها افقا غابت عنه آمناق وآساق في كون لا حصر له ولا حد « فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون — كالألكترونات — انه لقول رسول كريم — ٤ الحاقة » .

وكل من قرأت له في هذا الموضوع يذكر هذه الجملة : « كل ذرة هي مجموعة شمسية ، أي هي كالشمس تدور حولها كواكب سيارة . وفي مجلة المجلة المصرية السنة التاسعة العدد ٩٩ مقال لمحمد محمود غالي بعنوان الذرة ، جاء فيه أن الكاتب قرأ كتابا صدر في امريكا تأليف جون ني ، ذكر المؤلف أن علي بن ابي طالب اشار الى الذرة بقوله : « اذا فتحت الذرة تجد فيها شمسا » .

وفي ذات يوم تكلم الامام (ع) ما يشبه ذلك . فقال له من حضر وسمع : لقد أعطيت يا امير المؤمنين علم الغيب . فقال : ليس هذا بعلم غيب ، وانما هو تعلم من ذي علم . . علمه الله نبيه فعلمنيه ، ودعا لي بأن يعيه صدري ، وتضم عليه جوانحي .

النسبية العامة

٢ — تنقسم النسبية الى نسبية محدودة وهي التي تختص

بموضوع معين كنسبية الزمان التي تشير اليها بعد قليل ، ونسبية عامة تشمل جميع الحقائق الطبيعية بلا استثناء ، لان المادة في حركة سريعة ودائبة ، ومن المعلوم ان الحركة تغيير ، وان المتغير يتحول من حال الى حال ، والمتحول لا تياس له ، ولا يحكم عليه الا مقيدا ومنسوبا الى شيء آخر .

وفوق ذلك تتحول المادة الى طاقة كابادة هيروشيما التي كانت نتيجة لابادة مقدار صغير من المادة ، حولها العلماء الى طاقة ، وهذه بدورها حولت المدينة الى انقاض ، وايضا تتحول الطاقة نفسها الى طاقة من نوع آخر ، كما يقول العلماء ، اما تحويل الطاقة الى مادة فهو من المسلمات الاولية ، وعلى سبيل المثال : اشعة الشمس تمتصها الاشجار فتتمو وتصبح كتلة لها ثقلها ووزنها . . وقد توصل العلماء الى تخزين هذه الاشعة في بطاريات ، تدفع بالمعجلات ، وتسد الكثير من الحاجات .

هذي هي المادة في واقعها ، على الضد تماما مما تبدو امام اعياننا ، ونعرفه عنها . . حتى الظاهر منها للعيان يختلف من شخص لآخر — مثلا — اذا وقعت حصاة من يد راكب في قطار يسير على خط مستقيم — فانه يرى مسير للحصاة ايضا على خط عامودي ومستقيم ، اما الواقف على الارض فيرى مسيرها منحنيا ، ومعنى هذا ان مسرى الحصاة بالنسبة الى المسافرين غيره بالنسبة الى الواقف .

وهكذا تختلف صور الاشياء المرئية تبعا لحال الراي والشيء الذي يراه ، واذن فمحال على شخصين ان يتفقا على رؤية ظاهرة واحدة اتفاقا كاملا ومن كل وجه ، بل محال ان تتفق رؤيتان لشيء واحد من شخص واحد مع اختلاف احواله وظروفه ، بل ذات الكثير من الناس تتقلب تبعا

للظروف ، فكم رأينا رجالا انتقاء لماء في حال ، تحولوا الى خونة اشقياء في حال ارفع وامنع .. حتى الفولاذ يصير بخارا اذا كان في بيئة ملائمة .

وبكلام أجمع وامنع ان كل اشياء الطبيعة الصلب منها والمائع والنامي والجامد ، ان هي في واقعها المستقل عن معرفتنا الانرات او وحدات او شرارات ، قل ما شئت ، (١) لا وزن لها ولا طول ولا عرض ولا عمق ، اي تستعصي على الملاحظة والقياس ، وهي تدور في فلكها الواسع باستمرار وبلا قرار .. وما دامت هذه هي حال المادة في واقعها فكيف نحكم عليها بأحكام مطلقة وثابتة الى الابد .

اجل ، هي في ظاهرها صلبة وجامدة ، فاذا اردنا الحكم عليها بموجب هذا الظاهر وجب تقييد الحكم منسويا الى حواسنا المحدودة ، وان اردنا التعبير عنها بما هي عليه من حركات وجذب ودفع وتفاعل ، قيدنا التعبير بصفاتها الحالية مع ملاحظة الزمان والمكان .. والمهم ان تعكس اقوالنا عن المادة الاعتراف بوجودها الواقعي المستقل بذاته ، وانها تتغير وتتحول ، وقد يطرا عليها الزوال والانول ، وأنها في حالاتها وصفاتها لا يتعلق وجودها بادراكنا ومعرفتنا .

وعندئذ نكون في اقوالنا موضوعيين وملتزمين بالنسبية الطبيعية الآينشتاينية .

(١) اختلفت كلمات العلماء والفلاسفة في هذه الوحدات ، فمنهم من هبر عنها بحوادث سريعة متتابعة ، وآخر بالتوجعات والاشعاعات ، وثالث بالاشباح الشبيهة بالتي يتحدث عنها الروحانيون . والمراد واحد ، وهو ان اي شيء مادي من الذرة الى المجرة ينطوي على العالم الكبير . وقديما قيل : كل شيء فيه جزء من كل شيء .

الزمان — المكان

قد يسأل متسائل : هل هناك شيء واقعي مستقل بذاته اسمه زمان ، وآخر كذلك اسمه مكان ، تتحرك فيهما الاجسام ، وتحدث الاحداث تهما كاتانيين تهماها — مثلا — بما أردت من شيء ، وان الزمان لا عين له ولا اثر ، وانما هو مجرد تسمية واصطلاح لحالات تمر كالليل والنهار وفصل الصيف والشتاء . وكذلك كلمة المكان تطلق على جسم يمكن ان يحوي شيئا آخر ؟.

الجواب :

كان من قبل في مفهوم الناس ان كلا من الزمان والمكان نوع من الاشياء الفارغة يوضع بها اشياء اخر حتى جاءت النظرية النسبية فنفت الزمان من الاساس ، واعتبرته ملتصحا بالمكان يؤلفان معا حركة واحدة ونسبجا واحدا كما سنوضح ، وايضا نفت المكان المطلق الثابت الذي لا يتغير ولا يتبدل ، واثبتت المكان المقيد والمحدد بحال معينة ، لانه في حركة دائمة دائبة — مثلا — اذا أردت ان تحدد جبلا أو بلدا في نقطة معينة تعذر عليك ان تحددته بقول مطلق دون قيد ، لان الارض تدور حول الشمس ، وعليه يكون البلد أو الجبل محاذيا لكوكب معين في هذه اللحظة الخاصة — على فرض ثبوته — وفي اللحظة الثانية يكون محاذيا لكوكب آخر . . وهكذا الى غير نهاية ، واذا تعذر التحديد المطلق يتعين التحديد النسبي المقيد ، فنقول — مثلا — كان البلد المسمى بغداد في الدقيقة الاولى من الساعة كذا محاذيا لعطارد . وهذا معنى نسبية المكان .

ما الزمان فلا وجود له اطلاقا كما اشرنا ، غاية ما في

الامر ان الانسان اراد ان يرتب اعماله ويضبط السابق منها واللاحق ، فلم يجد قياسا لذلك اسهل وافضل من دوران الارض حيث تدور حول نفسها في اليوم دورة كاملة ، فجزا الانسان هذه الدورة الى ٢٤ جزءا ، واخترع الساعة كرمز الى دورة الارض بالثواني والدقائق والساعات المشار اليها بانتقال العقرب من رقم الى رقم ، ثم اطلق على هذه العملية اسم الزمان ، ومعنى هذا في جوهره ان الزمان هو دورة الارض او الساعة ، بل عقربها ، ولا شيء وراء ذلك .

وهذا عين ما اراده آينشتين بقوله : (الزمان — مكان) .

ويعد ، فقد عكفت على قراءة ما كتب عن الزمان عند آينشتين عشرات الصفحات ، وبذلت في ذلك جهدا مضنيا امدًا غير قصير ، وما انتفعت بشيء مما قرأت كما استفدت بهذه العبارة الجامعة المانعة على ايجازها : « ما السنون والفصول والايام الا مقاييس لمكان الارض من الشمس والنجوم » .

وحيا الله كل من سهل العسير على عباد الله وعياله ، وراحهم من العناء والبلاء .

البعد الرابع

البعد في اللغة : ضد القرب ، والمراد به هنا ما يقاس طولًا وعرضًا وعمقًا ، وهذه الأبعاد من أخص خصائص المكان حيث لا قياس ولا هندسة من غير مكان . وحصر الأولون أبعاد الجسم بطوله وعرضه وارتفاعه . ولكن آينشتين أضاف اليها بعدا رابعا ، وهو الزمان ، لان كل ظاهرة طبيعية لا بد ان تجري في المكان والزمان معا ، ولا سبيل الى فصل

احدهما عن الآخر . كيف وهل من الممكن أن يجري ويحدث شيء بلا حيز وآن ؟.

وعليه فإذا أردت أن تقيس أي جسم فيلزمك أن تذكر مقدار طوله وعرضه وعمقه والزمان الذي جرى فيه القياس والتحديد ، لان المادة كل لحظة هي في شأن ، فقد تنتقل من عنصر الى ضده ، وقد تنمو أو تذبل .. الى غير ذلك من الطواريء ، واذا فلا يمكن الحكم على أي شيء من أشياء المادة حكما مطلقا بلا أي قيد ، بل يجب أن تكون كل أحكامنا نسبية ومقيدة بزمان المحكوم عليه حين الحكم مع ملاحظة مقوماته وخصائصه . وهذا هو بالذات ما تعنيه النظرية النسبية .

ومجمل القول ان النظرية النسبية ترى كل اشياء الطبيعة وقائع وحوادث من الذرات الى المجرات .. وممن أقوال آينشتين : ان الذرة الصغيرة هي صورة عن عالم الانلاك الكبير ، ومنسجمة مع قوانين الطبيعة ونواميسها .. ليس العالم سوى مادة متحركة ومتغيرة .

وعليه فكل الاحكام على الطبيعة واشيائها يجب أن تكون نسبية وآنية لا مطلقة ونهائية .

وهناك جوانب كثيرة للنسبية ، تركت الحديث عن بعضها ، لاني غير مؤهل لمعرفة ، وبعضها الآخر يتطلب فهمه وادراكه جهدا مضنيا من أمثالي .. وحسبي من النظرية النسبية ما عرضت وأبدت .. ومع هذا أخشى أن يكون بعيدا عن دقة العلم .. ولكنه شيء قد يقرب القارئ الى هذه النظرية العالمية الحاسمة .. حتى آينشتين قال بصراحة وبلا تواضع :

ان علمي نقطة من بحر . وهو سبحانه المسؤول ان يزيدنا
نهما وعلمنا .

اهم المصادر

١ — تكوين العقل الحديث تأليف جون هارمان ترجمة
جورج طعمة ج ٢ .

٢ — النظرية المادية في المعرفة تأليف جارودي ترجمة
ابراهيم قريط .

٣ — مناهج الفلسفة تأليف ول ديوارنت ترجمة ابراهيم
بيومي ج ١ .

٤ — الفلسفة بنظرة علمية تأليف راسل ترجمة زكي نجيب
محمود .

٥ — نحو فلسفة علمية تأليف زكي نجيب محمود .

٦ — الالكترون واثره في حياتنا تأليف جين بندق ترجمة
احمد أبو العباس .

٧ — المجلد الاول من دائرة المعارف اللبنانية .

حول كونفوشيوس وفلسفته

فئات الفلاسفة

من المـ بالفلسفة وتاريخها يلاحظ أن الفلاسفة فئات ثلاث :

١ — فئة تدعم الازواض القائمة ايا كان نوعها ، ويقال لهؤلاء رجعيون ، ومنهم افلاطون وأرسطو حيث اكدا معا بأن الشرفاء الاحرار لا يمارسون اي عمل بأيديهم ، بل ينصرفون الى التأمل العقلي المحض ، وكانت النتيجة لهذه النظرة تقسيم الناس الى صناع وعمال منحطين ، وسادة وارياب عمل ممتازين . ولا أعرف فيلسوفا أكثر رجعية من هيجل — على الرغم من نظريته الديالكتيكية التي جعلته المصدر الاعظم لاتجاهات الفلسفة المعاصرة — لانه اعتبر الفوارق العرقية والاجتماعية امرا محتوما لا مفر منه ، وان كل رغبة في ازالها مآلها الفشل والافاق لا محالة لانها تهرب من وضع تاريخي ضروري بزعمه (١) .

٢ — تهدف الفئة الثانية الى قلب الفاسد من الازواض

(١) خصصت مجلة الفكر المعاصر المصرية العدد ٦٧ للحديث عن — فلسفة هيجل ، واشترك فيه ١٦ كاتباً منهم نؤاد مرسى ، وعنوان كلية الدولة عند هيجل ، ومنها ما فكرناه عنه .

القائمة ، وتتطلع الى ما هو احسن وافضل . ويقال لهؤلاء تقديريون ، ومنهم الفيلسوف الانكليزي جون لوك الذي قال : الاخلاق توجد القانون ، وليس القانون يوجد الاخلاق .

٣ - ترفض الفئة الثالثة فلسفة الفئتين ، وترى أن مهمة الفيلسوف أن يدرك الوضع الحاضر ويفهمه لا أن يقره أو يغيره ، لأن غاية الفلسفة نظرية لا علمية تطبيقية تماما كما يقال : الفن للفن والفهم للفهم ، ويطلق على هؤلاء كلمة محايدون ، وقال الفيلسوف الانكليزي رسل : أنا من هؤلاء ، كما جاء في كتاب رسل يتحدث عن مشكلات العصر ص ١٥٧ .

ولا صلة لهذه التقسيم والتنويع بالعصر والزمان ، فقد يجتمع التقدمي والرجعي والمحايد في عهد واحد ، أو يسبق التقدمي عصره بمئات السنين ، فقد عاش كونفوشيوس في القرن السادس قبل الميلاد ، ومع ذلك ثار على تقاليد قومه وأوضاع عصره ، وفيما يلي نعرض طرفا من تعاليمه .

الانسان اخو الانسان

قال كونفوشيوس : « كل الناس أخوة ، فلا تمييز عنصري ولا مكانة اجتماعية ، فكل انسان هو الانسان ، ولا واحد منهم حيوان وآخر اله » .

وهذا الحكم طبيعي وبديهي ما دام الكل من معدن ومعمل واحد ، وفي طبيعة وماهية واحدة ، وإلى هذا اشار سبحانه بقوله : « يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم

شعوباً وقبائل لتعارفوا أن أكرمكم عند الله اتقاكم — ١٣
الحجرات » . وقوله : « من نكر واثى » يشير الى أن الناس
كلهم أخوة لأم وأب ، وكلمة « لتعارفوا » تومىء الى أن
الاختلاف في البلاد والانساب والالوان ليس جوهرى وفارقاً
اساسياً ، وإنما الهدف منه التآلف والتكاتف على مصلحة
الجميع . ومعنى الآية بجملتها أن كل انسان هو مواطن عالمي
شرقياً كان أم غربياً ، وأن أية حكومة لا تكون ولن تكون
حكومة حقاً وصدقاً في دين الله والانسانية الا اذا كانت عالمية
في مقاصدها وأهدافها ، تحب لغيرها ما تحب لنفسها .

ويؤكد هذا المعنى الحديث الشريف : « الناس سواسية
كأسنان المشط .. لا فضل لعربي على عجمي ، ولا لقرشي
على حبشي الا بالتقوى .. ايها الناس كلكم من آدم ، وآدم
من تراب » . وما دام كل الناس من تراب والى تراب يداسون
بالاقدام ، فعلام يعلو ويفخر بعضهم على بعض ؟

ومن هذا الباب قوله تعالى : « من قتل نفساً بغير نفس
أو فساد في الارض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما
أحيا الناس جميعاً — ٣٢ المائدة » . وبالمناسبة يعتقد اليهود
أن من قتل يهودياً فقد قتل الناس جميعاً ، أما اليهودي فله أن
يقتل من يشاء ولا اثم عليه ، لأن اليهود هم شعب الله المختار
دون العالمين جميعاً .

الحكومة وثقة الشعب

وقال كونفوشيوس : « يستحيل أن يستمر وجود الشعب
الا بوجود حكومة يثق بها » . يريد باستمرار الشعب في وجوده
قوته وازدهاره ، ويريد بثقة الشعب أن يكون من الامة وللامة .

وهذه الحكمة من جوامع الكلمة ، وأعلى ما فيها انها أمنية كل واع ومخلص ، وهي الاصل والباعث على لقائنا مع كونفوشيوس في هذا الفصل . . لقد تكلم العلماء والفلاسفة عن الدولة المثالية وأطالوا ، وبعضهم وضع فيها كتباً خاصة ، فلانفلاطون جمهوريته ، وللفارابي مدينته الفاضلة ، وللعقاد كتابه القيم « فلاسفة الحكم في العصر الحديث » وللفيلسوف الشاعر اقبال والشيوخ محمد عبده وآراء سديدة في الدولة ورئيسها .

والآن (سنة ١٩٧٧) ونار الحرب اللبنانية الاهلية التي اضرمتها الصهيونية واذنابها — لم تهدأ بالكامل — يدور جدال عقيم وستقيم حول الدولة الاصلاح للبنان : العلمانية أم الدينية ؟.

وعلى ضوء الاوضاع الحاضرة وبوحي من المصلحة العامة ، نقول مع الحكماء القديمين : لا حول ولا قوة للشعب الا بحكومة يثق بها . . ومن البديهية بمكان انها لن تنال ثقة الشعب الا ان تكون كفؤاً وأهلاً لممارسة السلطة والقيام بأعبائها على أساس الحق والعدل والمساواة بين جميع المواطنين . وبكلمة ان تكون حكومة بالمشور حقاً وحقيقة ، أما الشكل فلا يهم ، لان الحكومة وسيلة لا غاية ، وأداة لاحقاق الحق لا مجرد زعامة وهراسة ، وبهذا نجد التفسير السليم لقول الامام أمير المؤمنين (ع) : « والله لأسلمن ما سلمت أمور المسلمين ، ولم يكن فيها جور الا علي خاصة » .

لا فضيلة بلا عدل في التوزيع

وقال كونفوشيوس : « الفضيلة استخدام الموارد الطبيعية

في تحسين معيشة الشعوب » . (١) يشر بالموارد الطبيعية الى الانتاج بشتى أنواعه ، ويريد بتحسين معيشة الشعوب توزيع الانتاج بالعدل ، وتنظيمه تنظيمًا مخططًا نبعا لمصلحة الجميع بحيث لا يكون هناك انسان واحد بلا مأوى وغذاء ولا علاج وكساء .

وقد استقرت وتتبع اقوال الفلاسفة وعلماء الاخلاق حين الفت كتاب فلسفة الاخلاق في الاسلام ، وما رايت احدا ادخل في تعريف الخير ومنهوم الفضيلة الانتاج والتوزيع مع العلم بأن العوز والفقر يؤديان الى امهات الرذائل بنص الحديث الشريف : « كاد الفقر يكون كبرا » .

الاحتكار والفقر

ورب متسائل عن السبب الموجب للفقر وجرائمه ؟

الجواب :

قال كونفوشيوس — وكأنه يجيب عن هذا السؤال — ما معناه أن السبب الموجب للفقر ولكثير من المساوىء هو احتكار المحتكرين الطفأة وشغلهم الشاغل بما لهم من امتيازات . . ولولا هؤلاء ومن يقف وراءهم من حكام وسماسرة لما كان هناك مجرمون ، ولترك الناس ابوابهم مفتوحة ليلا ونهارا (١) .

قال كونفوشيوس هذا يوم لا شركات مساهمة ، تحتكر ينابيع الذهب الاسود الذي يتدفق ابحرا في شرقي الارض

(١) مجلة الدراسات الادبية التي تصدر من المجامعة اللبنانية ، مجموعة

السنة الرابعة ص. ١٩٤ .

(٢) المصدر السابق ص ١٩٣ .

وغريها ، وتمتلك مناجم الصلب والمعادن بشتى انواعها ،
وتفرض ارادتها على كل شعب مستضعف بمسا تشاء
وتهوى .. قال هذا حيث لا ماركس ولنين ولا انجلز
وستالين . واذن فمن أين استقى كونفوشيوس هذا الوحي
المشرق ؟ هل نزل عليه من السماء ؟ كلا ، انه ليس نبيا ولا
ادعى النبوة لنفسه ، ثم هل من الضروري ان لا تصدق
الفكرة والنبوءة الا اذا كانت من السماء ؟ واذن بأي شيء
نثبت ان السماء تتكلم وتوحي بالحق والصدق ؟ ولو عَقِلَ
عقلُ العاقل لاستوى الانسان والحيوان .

ان هذا الوحي من نتاج العقل الخالص والقلب السليم ،
وثمره يانعة لفطرة الله التي فطر الناس عليها ، جميع الناس،
وكل عاقل يتجرد عن التقاليد والاهواء يدرك الكثير من الحقائق
تلقائيا بلا تعلم ومعلم ، بل يصبح هو معلما ومصدرا للحكمة
البالغة ، يزجيها الى الناس في كلمات اخاذة نافذة تماما كما
فعل كونفوشيوس .

قاعدة العمل الصالح

وقال له احد تلاميذه : هل من كلمة واحدة تكون قاعدة
لعمل الانسان طيلة حياته ؟

قال كونفوشيوس : اجل ، لا تصنع بالآخرين ما لا تريد
أن يصنعوا بك .. لا تتصور نفسك كبيرا كيلا يصبح الناس
عندك صفارا .. لا فضيلة اسمى من أن تحب جميع الناس
على السواء .. ولا هدف لحكومة الحق الا أن تعمل الخير
للجميع .. ان الانسان هو أهم ما يجب أن يهتم به الانسان .

وهذي هي بالذات رسالة السماء ، وعليها يجب أن
تقوم وترتكز كل الاديان والعلوم والشرائع ، وأي شيء

يبقى للدين والعلم والاخلاق والحضارة لو اهدرنا قيمة الانسان
وكرامته ؟.

وبعد ، فان كونفوشيوس لم يتخرج من جامعة او يحضر
حلقات الدروس او يحصل اية شهادة ، وايضا لم يخترع
شيئا ، او يعتل عرشا ، او ينظم شعرا ، بل كان مواطنا
عاديا ، ومع هذا جعلوه الها ، واقاموا له معبدا ، ونصبوا
له تمثالا من دون العديد من العلماء والشعراء والملوك
والمخترعين .. ولماذا ؟.. لا لشيء الا لانه انسان بالمعنى
الصحيح ، يهون عليه الموت ، ولا يهون عليه ان يتنازل عن
انسانيته .

وهكذا الناس حتى شياطين الانس يعبدون الانسانية
والاستقامة والنزاهة والامانة ولو من وجهة نظرية . ويلعنون
اللؤم والنفاق والشموذة والغش والخيانة . وفي مجلة
العربي الكويتية عدد اغسطس آب سنة ١٩٧٣ ان عدد
الكونفوشيوسيين في الصين ٤٠٠ مليون .

الاتحاد الدولي للجمعيات الفلسفية

المؤتمر الخامس عشر للفلسفة

ليس العالم مجرد حافظ للأصول والقواعد ، ولا المثقف مجرد سارد للوقائع والحوادث ، ولا الفيلسوف مجرد محلل ومحلل ، فعلى كل واحد من هؤلاء واجبات غير الحفظ والسرد ، ومن أهمها أن يحاول تغيير الواقع الى الأفضل ولو بايقاظ الوعي والقضاء على الخرافة ، وأن يشارك المستضعفين آلامهم وأحلامهم ، ولا يدع فرصة تمر الا اغتنمها للعمل من أجلهم . . فكم قرأت عن هيئات تألفت ، ومؤتمرات عقدت لهذا الهدف النبيل في غير بلادنا .

ومن ذلك كلمة مطولة نشرتها مجلة الطليعة المصرية في عدد ديسمبر كانون الاول سنة ١٩٧٣ بعنوان « العلم — التكنولوجيا — الانسان » (١) تحدث كاتبها الدكتور مراد وهبة عن الاتحاد الدولي للجمعيات الفلسفية ومؤتمره الخامس عشر المنعقد في « فارنا — بلغاريا » سنة ١٩٧٢ ، وبلغ عدد المشتركين فيه ١٨٧٧ فيلسوفاً من شتى بلاد العالم ، وتدارسوا موضوعات كثيرة ومهمة جداً ، لأنها من القضايا

(١) المراد بالتكنولوجيا تطبيق العلم على العمل . وهذا المعنى استوحيناه من سياق الكلام الذي استعملت فيه هذه الكلمة ، وقد يكون مخالفاً لما جاء في بعض المعاجم الفلسفية .

الرئيسية وصميم الحياة الاجتماعية ، وكل موضوع منها يتسع لكتاب مستقل .

وعقدت هذا الفصل لاعرض الالهم والاكثر نفعا من تلك القضايا التي طرحها فلاسفة المؤتمر وما قالوه حولها . ثم ادلي بما أرى مؤيدا أو منندا .

بين العلم والفلسفة

وابتدا المؤتمر بالبحث حول قضية الصلة بين العلم والفلسفة ، فمقال بعض الفلاسفة ما معناه ان الفلسفة اذا لم ترجع الى العلم بمعناه الحديث الضيق ، فما هي بشيء ، وكلنا يعلم ان كلمة العلم تطلق على ما يتصل بالانتاج كما أو كيفا ، فان ادت الفلسفة هذه المهمة فمرحبا بها حيث تكون ، وهذا هو الحال ، وإن لم تؤدها فهي مرفوضة ، لانها وهمة بحث .

فاعترض عليه آخر بما معناه ان هذا الراي يحصر المعرفة الانسانية بالعلوم الطبيعية ، ويرفض كل ما يدور في عقل الانسان ، ولا يفسح المجال لعلم الاخلاق وعلم النفس ولا للفن والآداب والفلسفة ! . وهذا هو أفينون الشعوب بالذات .

ونحن مع هذا الفيلسوف المعترض ، وقد سبق لنا الحديث عن ذلك ، وأقمنا الدليل عليه في فصل « المنهج العلمي في الاسلام » من هذا الكتاب ، وفي فلسفة الاخلاق وغيره مما كتبنا والفنا .

ونعطف على ما سبق : ان الفلسفة ترفض كل تقليد واعتقاد تعسفي ، وتصفي لكل ناقد ، وتسترشد بكل خبرة ، وتدعم

كل شيء وعلم نافع ، وتحدد منهجه الخاص به ، ومعنى ان الفلسفة متصلة بالحياة اتصالا مباشرا ، بل هي من صميمها تباما كالمعرفة العلمية ، وانكار ذلك تعسف ومكابرة .

بين الاخلاق والعلم

ثم تحدث فلاسفة المؤتمر عن الصلة بين العلم والاخلاق ، واحتدم النقاش ، وتعددت الاجتهادات ، فبعضهم استبعد وجود العلاقة بين العلم والقيم الروحية ، وقال : ان ميدان العلم هو الكشف عن قوى الطبيعة والتغلب عليها ليستخدامها الانسان في مصلحته وسد حاجاته ، ولا شأن للعلم بالقيم الاخلاقية والاماني البشرية ، اما الاخلاق فميدانها الحياة الاجتماعية والقيم الروحية ونحديد الخير والفضيلة والشر والرذيلة ، ولا شأن لها اطلاقا بالكشف والمخترعات .

ونحن مع الذي ردّ على هذا الفيلسوف وقال ما معناه ان الانسان هو الهدف الاسمى والقيمة العظمى ، وكل شيء ينبغي ان يكون لخير وخدمته بخاصة العلم ، فانه من صنع الانسان وعمله ، ومعنى هذا ان العلم والاخلاق يلتقيان على صعيد واحد ، وهو خدمة الانسان وتحقيق امانيه ورغباته . وبكلام آخر ان العلم يدور في فلك المادة ، وتدور الاخلاق في فلك الروح ، والانسان من جسم وروح ، فالعلم لمتطلبات الاول ، والاخلاق لمتطلبات الثاني .

وقال ثالث ما مضمونه ان العلم قد اتى بأسلحة جهنمية تهدد بازالة العالم من الاساس ، وعلى الفلاسفة ان يقوموا بدورهم في هذه السبيل ، ويطالبوا الدول الكبرى بالكف عن ابتكار الاسلحة الاشد فتكا والاكثر تدميرا . . وهذا هو الحد الادنى من الاخلاق الذي يجب ان يتفق عليه جميع الاطراف .

وهذا الفيلسوف الذي نصح الجمعيات الفلسفية أن تقوم بدورها ضد حزب الشيطان ، هو أمريكي ، واسمه « ارشي باهم » ولا أدري لاي حزب ينتمي ، أو بأي دين يدين ، ولكني أعلم علم اليقين أنه انسان بكل ما في هذه الكلمة من معنى الطيبة والصفاء ، فقد رأى الانسان يسعى لتدمير الانسانية جمعاء ، فاعتزم فرصة وجوده في مؤتمر لا يمت الى السياسة والحرب بصلصة ، ودعا دعوة الحق بدافع من ضميره ووجدانه ، وناشد الجمعيات الفلسفية أن تحتج وترفع صوتها ضد الاسلحة التي تتحدى كل حي على وجه الارض .

وكم من مؤتمر عقد باسم الديانة الاسلامية ، والديانة المسيحية . . وفي حزيران من هذه السنة سنة ١٩٧٧ عقد مؤتمر في « قرطبة - اسبانيا » ضم رجالا من الديانتين ، وتكلموا من جملة ما تكلموا حول العداوات بين المسلمين والمسيحيين وعن افتراءات بعض المبشرين على نبي الاسلام (ص) . ودعوا الى المحبة .

وهذا جيد جدا ، ولكن بشرط واحد وهو ان لا يكون تمهيدا وتخطيطا مدبرا للاعتراف بدسائس الصهيونية وعدوان اسرائيل . . ومن قبل ، وفي سنة ١٩٦٥ بالضبط برأ بابا روما اليهود من تبعة صلب السيد المسيح (ع) .

وبيت القصيد في حديثنا هذا أن نتساءل : لماذا تجاهلت كل المؤتمرات الدينية حتى المختلطة - اسلحة الخراب والابادة بالجملة ؟ وما هو السر للسكوت على هذا المنكر ؟ ألم يقتل النبي (ص) بوحى من السماء : « الساكت عن الحق شيطان أخرس ؟ » .

وأخيرا ، فأني مؤنم أو انسان يتجاهل هذه الاسلحة الجهنمية ومن هي في يده - فانه يفقد أهميته وانسانيته فضلا عن دينه وضميره .

الانسان في الولايات المتحدة

وقال الدكتور وهبه في كلمته التي اشرنا اليها في اول هذا الفصل : « وثمة بحث طريف تقدم به هيوارد بارسنز الاميركي عنوانه ازمة تدمير الانسان في الولايات الامركية ، يقرر فيه ان ازمة المجتمع الامركي تكمن في تدمير الانسان ، لان اقتصاده محكوم بفئة قليلة ، وموجهة الى غايات غير انسانية ، ومن شواهد هذه الازمة انتشار الفقر والجاعة بنسبة ٤٠٪ و ٥٠ مليوناً من الاطفال يعانون من اضطرابات عقلية ، و ١٨ مليوناً يدمنون شرب الخمر ، و ٨ ملايين يتعاطون المخدرات ، و ٢٠ مليوناً من الاميين غير المؤهلين للوظائف ، بالاضافة الى تزايد الجرائم وفساد البوليس ورجال القانون .. وهذه كلها شواهد على انهيار منظم للمجتمع الامركي » .

ولا عجب فالى هذا مال كل مجتمع لا همّ واهتمام ولا قصد وهدف لحكامه ونظامه ولزعمائه وتجارته وعلمائه وكل من له حول وقوة الا امتصاص ثروات الشعوب ودمائها ، والى هذه الغاية وحدها يوجهون كل ما في الوطن الامركي من طاقات مادية وادبية .

وفوق هذا ان الثروات المغتصبة من شرق الارض وغربها ، لا ينفق منها اي شيء في تأميم العلاج الطبي او مجانية التعليم — مثلاً — وانها تذهب توالى جيوب المحتكرين الطفافة وسماسرتهم ، وتتكدس في بنوكهم ومصارفهم ، اما بناء السفن الفضائية والاقمار الصناعية ونتاج الاسلحة الجهنمية ، فكل ذلك وما اليه فهو من اموال دافعي الضرائب وكدح المواطنين والمستهلكين .

ابعد هذا يجهل جاهل او يسأل سائل : لماذا تقف الولايات

المتحدة بكل ما لديها من قوة الى جانب الصهيونية واسرائيل ، وتهلل وتكبر لكل خائن وعميل ؟ وهل من عاقل يسأل : لماذا يسمع الانسان بأذنيه ، وينظر بعينه ، ويمشي على رجليه ؟ . ان أعجب العجب ان لا تبارك الولايات المتحدة ، وهذا وضعها ونظامها ودينها ودينتها ، كل عدوان وطغيان ، بل وتحث عليه ، بل وتشترك فيه بكلها وتقلها (١) . ولا أجد مظهرا لهذه الآية الكريمة : « ان الانسان ليظفي ان رآه استغنى — ٧ الملق » اظفى واجلى من الولايات المتحدة ، ومن شك في هذا فليقرأ تاريخها في حرب الشرق الأقصى وفي اليابان وفيقتام .

ومعذرة ايها القاريء ، فاني اكتب هذه الكلمات في صيف سنة ١٩٧٧ واهل بلدي وديني ومذهبي يشردون من جنوب لبنان نساء وأطفالا بثئات الالوف هربا من النار وبعد هلاك الاموال وخراب الديار ، والسبب الاول الصهيونية والولايات المتحدة . وقدima قيل : « وما المسبب لو لم ينجح السبب » .
نحن والراسمالية والشيوعية

وعلى اية حال ، فنحن ضد الراسمالية الطاغية البشعة ، وضد كل نظام يقوم على تنازع البقاء وبقاء الاقذر او فيه شائبة من ظلم واستغلال . . وايضا نرفض الشيوعية لانها ملحدة وكنى ، بل لانها توغل في المادية ، وتشكر الروح نكرانا تاما ، وتنظر الى الانسان على انه مجرد آلة يجب أن يعمل ليعيش ، وتجعل الانتاج الاقتصادي هو الاصل للاديان

(١) توالى غارات اسرائيل العدوانية على جنوب لبنان ، فشكت الحكومة اللبنانية الى مجلس الامن سنة ١٩٧٢ ، فقدمت بعض الدول قرارا لا عقوبة فيه اسرائيل ولا ادانة لها ، وانما هو مجرد رجاء وطلب ان توقف غاراتها الانتقامية ، فاستعملت الولايات المتحدة الفيتو ضد هذا القرار . وقالت لاسرائيل بلسان الحال : زيدي من العدوان اضعافا مضاعفة .

والاخلاق ، وتمنح السلطة لفئة خاصة وهم العمال ، وتسلبهم على حياة الناس بشتى جوانبها ، ولا تسمح لاي مواطن ان يقول لها « لا » وان كان محقا .

اقول هذا عن علم ويعد ان قرأت في هذا الباب عشرات الكتب والمقالات ، واختار للقارئ من مطالعاتي في هذا الموضوع هذه الجملة القصيرة للدكتور طه حسين ، جاءت في كتابه الفتنة الكبرى (عثمان) وهذا نصها :

« قد ضمنتم الرأسمالية للناس شيئا من الحرية ، وقليلًا من المساواة أمام القانون ، ولكنها لم تضمن لهم من العدل الاجتماعي شيئا ، والشيوعية قد ضمنّت للناس قليلا أو كثيرا من العدل الاجتماعي ، فألفت ما بينهم من فروق ، وأتاحت للعاملين منهم أن يعملوا وينتفعوا بثمره عملهم ، وأتاحت للماجزين منهم أن يعيشوا غير معرضين لذلة أو ضعة أو هوان ، ولكنها ضحت في سبيل ذلك بحريتهم كلها فلم تدع لهم منها شيئا ، والفاشية قد ضحت بالحرية والعدل جبيعا » .

أبدا لا يجد الانسان ولن يجد ضمانا لحقوقه الطبيعية الا الاسلام الذي حدد رسالته بهذه الكلمات الثلاث : « ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم — ١٥٧ الاعراف » . والطيبات تعم المال الحلال الذي لا يكون على حساب الآخرين قال سبحانه : « وان ليس للانسان الا ما سعى — ٣٩ النجم » . والخبائث تشمل المال الحرام ومنه الاحتكار والاستغلال .

اما وضع الاتقال والاغلال فانه اشارة الى حرية الانسان وقد استنها قال تعالى : « ولقد كرمنا بني آدم — ٧٠ الاسراء » . والكرامة ترادف الحرية حيث لا كرامة ولا انسانية بلا حرية .

وايضا قال : « بل الانسان على نفسه بصيرة — ١٤ القيامة » .
والمعنى لا سلطان عليه ولا قائد له الا نفسه وعقله وضميره .

١٠ لأم الطبيعة البشرية على العموم
والشمول بلا تمييز في عنصر ولون وجنس ، ووضع الجميع
في مستوى واحد في الحقوق والواجبات ، واعتبر الانسان
من حيث هو انسان القيمة العليا ، وجعل كل شيء لخدمته
حيث قال عز من قائل : « هو الذي خلق لكم ما في الارض
جميعا — ٢٩ البقرة » ولكن الولايات المتحدة جاءت بجديد هو
اسمى واعلى واجدى للانسانية وابتقى ، جاءت بقبلة
« النيوتريون » التي تقتل كل الناس الذين تقع عليهم ، ولا
تمس بأي سوء واذى المؤسسات والمباني والممتلكات . وهكذا
علم الله الانسان ما لم يعلم ليدمر الانسانية في غير الولايات ،
ويبقى لها كل املاكها واموالها !!

حوافز التقدم

مع الفيلسوف زكي نجيب محمود

انصرف الدكتور زكي محمود الى الفلسفة تدريساً وترجمة وتأليفاً ومقالات ، كما يبدو من آثاره ، وقراته في أكثرها أو الكثير منها ، وكان من قبل يدين بتيار من فلسفة ضالة خاطئة ، وبقي عليها سنوات طويلاً ، وانتقدته في بعض ما ألفت ، ثم اهتدى الى الحق ، فاعترف بخطئه صراحة في مقدمة تجديد الفكر العربي وفي مقال بعنوان « عصرنا من فلسفته » المنشور في مجلة العربي العدد ٢٢٢ ، ودأبه في مقالاته ، بخاصة الأسبوعية منها التي تنشرها الاهرام في كل خميس ، أن يسوق امثلة من تجربة الحياة كان قد قراها في الكتب أو الصحف العربية أو الاجنبية ، وينتهي من هذه الامثلة الى اوضاع العرب والمسلمين ، ويوضح امام أعينهم رؤية الاخطاء على ضوء تلك التجارب ، لتكون دليل عمل وانطلاق الى ما هو افضل واكمل .

ومن ذلك مقال بعنوان حوافز التقدم ، نشرته جريدة الاهرام بتاريخ ١٩/٧/١٩٧٤ وأنه لفيد جداً في توجيهاته ، ويفني عن قراءة أكثر من كتاب في موضوعه وفيما يلي عرض خلاصة هذا المقال بعد تجزئته ، وتنسيقه في فقرات ، وأضع الخلاصة أو النص بين قوسين (. . .) وما عداه فهو من كلامي .

عامل التقدم

قال الدكتور زكي : قرات بحثا يستوقف النظر بطرافة منهجه ونتائجه لاستاذ بجامعة « هارفارد » وقد بداه بهذا السؤال : (ما هو العامل الرئيسي لتقدم الفرد او الامة على طريق الحضارة ؟) .

الجواب :

(ذهب الناس في الاجابة عن ذلك الى مذاهب شتى ، فقالت فئة منهم : ان العامل هو البيئة ! . وليس هذا بجواب ، فكثرا ما تكون عوامل البيئة واحدة بين فردين او شعبين ومع ذلك يتقدم احدهما ويتخلف الآخر) .

اما التفاوت بين فردين من بيئة او مدينة او قرية واحدة او في بيت واحد — فهو اظهر من ان يذكر ، وبالأولى ان يحدث ذلك بين قوميتين او امتين يعيشان في بيئة واحدة ، ولا ادري هل القوميات في الهند الآن والصين القيصرية من قبل وأمريكا وأوروبا كلها على مستوى واحد تقدما وحضارة او تقهقرا وجهالة ؟ .

(وقالت فئة ثانية : ان العامل الرئيسي للتقدم او التخلف هو التفاوت في عناصر الطبيعة البشرية ، فمنها العاجز عن التقدم ، ومنها القادر عليه ! . وهذا خطأ واشتباه حيث نجد في جنس البشرية الواحد جماعة تقدمت وأخرى تخلفت ، بل راينا الجماعة الواحدة تتقدم حيناً ، وتتأخر في حين آ .

والشاهد على ذلك تقدم العرب على الغرب أيام زمان ، وتخلفهم عنه في هذا الزمان . . . ومن جملة ما قرات ان احدى الجامعات في انكلترا كانت تشترط ان يكون دارس الطب او

الهندسة ملها باللغة العربية تماما كما تشترط جامعات اليوم
ان يكون ملها بلغة اجنبية . ومعنى هذا ان التقدم او التخلف
لا يرتبط بعنصر وقومية ولا بدين او طائفية .

لا تقدم بلا عمل

وبعد ان رد الاستاذ الباحث الاقوال الباطلة عنده وعندنا
ايضا ، ابدى رايه — على رواية زكي محمود — بقوله :

(الشرط الاول والاساس للتقدم والنجاح هو العمل الجاد
والهمة العازمة التي لا تترك حاملها ليستريح على جنبه الا ان
يرى حياته مليئة بالعمل المنتج الذي لا ينفك يزداد انتاجا عاما
بعد عام ، كأننا في راسه نحلة تطن وتوسع حتى تحول بينه
وبين الاسترخاء البليد ، ومن لم تصبه هذه الحالة المؤرقة
الهلوع على النماء المستمر والارتقاء المتصل ، قد ينظر الى
غيره ممن أصيب بها ، فيظن به الهوس والجنون ، وقد
يتساءل في عجب : فيم هذه العجلة المكروبة ، وعند هذا
المجنون من الرزق ما يكتفيه ؟ . هذه الرغبة الحارقة عند
الانسان في أن يعمل ، وأن يظل عمله يزداد متزادا ثماره
كثرة في الكم وتجويدا في الكيف : هي شرط التقدم الحضاري
عند الفرد والجماعة) .

ولا ريب في حرف واحد من هذا الكلام ، ولكن صاحبه
الاستاذ الباحث تجاهل أهم الأسباب الرئيسية للتخلف
كالاستعمار والصهيونية والشركات الاحتكارية العملاقة ! .
ومن الذي يجهل أن مخططات هذه القوى الشريرة تهدف الى
القضاء على كل نهضة وعلى كل سبب يمت الى التقدم والتطلع
الى الامام ، بصلة ؟ .

ونعود الى قول الاستاذ الباحث : ان التقدم لا ينفك عن العمل الجاد والهمة العازمة ، لنعطف عليه : ان كل واحد منا يود ان يكون شيئاً مذكوراً حياً وميتاً ، ولكن لن ينال شيئاً من ذلك الا بشق الانفس ونعبيد الطريق اليه بتربية النفس طيلة العمر ، فالرحوم عباس محمود العقاد لم يحصل من التعليم المدرسي على أكثر من المستوى الابتدائي ، ومع ذلك تحمل آثاره طابع الخلود ، والسرا أنه اعتمد على تربيته الذاتية .

ومحال أن يكون لحامل الشهادات ثقل ووزن اذا هو اقتصر على ما سمعه من حلقات الدرس ولم يواصل القراءة والمطالعة ، ويتطلع الى مزيد من الثقافة والوعي . قال الامام أمير المؤمنين (ع) : « اعلم الناس من جمع علوم الناس الى علمه » . ومن الطريف قول بعض الفلاسفة : ان الله سبحانه لم يضع ابصارنا في جباهنا دون مؤخرات رؤوسنا الا لنطمح لحياة جديدة ومبتكرة .

وتكلم المفكرون حول التعليم والتربية من عهد كونفوشيوس حتى اليوم واطالوا الكلام ، وفرقوا بينهما في أن التعليم يكون في المدرسة ، اما التربية فطريقها القراءة والمطالعة ، ومن اقوالهم : لا جدوى من تعليم بلا تربية ذاتية . . التربية بلا تعليم خير مليون مرة من تعليم بلا تربية . وضربوا العديد من الامثال على ذلك ، منها أن معركة حامية قامت على صفحات الجرائد المصرية بين زمرة من المعلمين حول الحديث المنسوب الى نبي العقل والعلم ، وهو « اذا وقع الذباب في اناء احدكم فليغمسه فيه ، فان في احدى جناحيه داء وفي الآخر دواء » .

وعلق زكي نجيب على هذه المعركة في جريدة الاهرام

تاريخ ١٢/٥/١٩٧٧ - بقوله : « ثار الجدل حول هذا الحديث ، وامتد الى صفحات الجرائد ، وقرأت تلك المقالات .. كان الموضوع يحتمل الاخذ والرد والدفاع والهجوم .. وهذا ثقافتنا بعدما صنعه لنا محمد عبده ولطفي السيد والعقاد وطه حسين » .

!ما سلامة موسى فقد روى « ان احد خريجي كلية الحقوق بجامعة القاهرة الف كتابا يخبرنا فيه عن العنصرية والجن والشیاطین كيف تتزاج ، وكيف تتوالد ، ولماذا يزيد عددها على عدد الانس » .

ونحمد الله سبحانه الذي كتم عن زكي نجيب محمود وسلامة موسى ما هو اعظم .

احذر العجول الغضوب

لا مفر من التفكير

اكتب هذا الفصل بلا تصميم سابق ، علما بأن التصميم والتفكير يسبق العمل . . والحكاية : اني قررت — بعد الانتهاء من الفصل السابق ان يكون موضوع هذا الفصل « الفلسفة والديانات السماوية » لأن الكثير من الناس يظنون أن الغيب يشقى معانيه خرافة يرفضها العقل . . وقبل الشروع بها كنت قد قصدت وقررت ، وجهه اليّ أحد الشباب هذا السؤال : قال سبحانه : « خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَجَلٍ سَأَرِكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونَ — ٢٧ الانبياء » وإذا كان الإنسان مخلوقا من العجل ومطبوعا عليه كما يدل أول الآية ، فكيف ساغ النهي عنه كما جاء في آخرها ؟ وهل من المعقول أن يترك الإنسان ما هم مقود اليه بفطرته وطبيعته ؟

فقلت له : المراد بالنهي هنا عين المراد بالنهي عن الزنا أو الخمر أو غيرها من المحرمات اذا مالت النفس اليه ، وهو ضبطها بالكبح ، وترويضها بالصبر ، وتحذيرها من عاقبة السوء . . وما ان تركني السائل الى شأنه حتى غرقت في التفكير ، اقلب النظر في العجلة ومساوئها ، وحاولت جهدي ان اطرد هذه الفكرة من خيالي أو اتجاهلها لانصرف الى الكتابة غيما قصدت ، ولكنها تجسدت أمام ناظري كأنها حقيقة ملموسة ، وأملت عليّ هذه السطور العاجلة ، فاستجبت بلا رغبة وطيبة قلب ، وحبذا لو لزمتم الصمت .

وعلى أية حال فان الحديث عن العجلة والحمق والغضب
حديث فلسفي ما دامت مهمة الفلسفة أن تعلمنا كيف نفكر
فيما نمارسه بحياتنا اليومية المألوفة .

العجلة طريق الهلكة

قال رسول الله (ص) : « انما أهلك الناس العجلة ،
ولو ان الناس تثبتوا لم يهلك احد » وهذا الحديث يغني عن
كتاب ضخيم ، فكل ما نفعله على عجل فسرعان ما ينهار .
ومن قواعد الارث في الفقه الاسلامي قاعدة تقول : « من
استعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه » يشير الفقهاء
بذلك الى أن القريب القاتل عمدا لا يرث من مال المقتول ..
وللعجلة مصدران : سرعة الغضب لاتفه شيء ، والقطع
الجازم باللمحة ومجرد التصور بلا روية .. أبدا لا يشك
ولا يظن ، ولا يبحث ويسأل ! ومن يك هذا شأنه فلا دواء له
الا الفرار منه .

وبالمناسبة نشير أن في علم أصول الفقه ثلاثة أبواب :
الاول يبحث عن القطع بالحكم الشرعي وآثاره ، والثاني
يبحث عن الظن به واحكامه ، والثالث يعالج الشك فيه ،
ولاحظت أن بعض من يقرأون هذه البحوث لا يشكون ولا
يظنون في مرحلة العمل ، بخاصة السبة والرديلة ، فانهم
ينسبوننا الى من يشاؤون بلا بحث وتردد تماما كالاطفال ،
ولا غرابة ، فان كثيرا من الكبار نسنا صفار في عواطفهم
وتصرفاتهم ، على ما يحملون من شهادات . وليس بعد العيان
من شاهد .

الغضب حمى الجنون

السُّر مع الغضب ينتهي بصاحبه الى مواطن العطب
وفساد الدين والايمان والقول والعمل بلا علم وروية ،
والإساءة لمن لا ذنب له . سأل رجل النبي (ص) : أي شيء
يخلفني الجنة ؟ فقال له : لا تغضب . ومن أحسن ما قرأت
في هذا الباب قول أرسطو : « سهل على الانسان أن يغضب ،
أما أن يغضب مع الشخص المناسب ، وإلى الحد المناسب ،
وفي الوقت المناسب فهذا ليس في المقدور » .

ولا مسكن لحمى الغضب المجنونة إلا جرعة من صيدلية
الامام أمير المؤمنين (ع) حيث قال : « نجرع الغيظ فاني
لم أر جرعة أظلم منها عاقبة ، ولا الذم مغبة ، ولين لمن
غالظك ، فانه يوشك أن يلين لك ، وخذ على عدوك بالفضل
فانه أظلم الظفرين » . وأيضا قال : « ان لم تكن حليما فتحلم ،
فانه قل من تشبه يقوم الا أوشك أن يكون منهم » .

العفو من شيم الكرام

القصاص عدل ، والعفو فضل ، وهو أقرب الى مرضاة
الله من الاول ، ومرضاته تعالى اتصى الغايات لمن آمن به
حقا وصدقا . قال سبحانه : « وان تعفو أقرب للتقوى — ٢٣٧
البقرة » والمراد بالتقوى العمل بمرضاته ، جلّت عظمته ،
والمعنى أن من عفا عن أخيه لوجه الله تولى هو عقابه بنفسه ،
ويؤيد ذلك الحديث القدسي الذي رواه الكليني في أصول
الكافي : « يا ابن آدم اذا ظلمت بمظلمة فارض بانتصاري
لك ، فان انتصاري لك خير من انتصارك لنفسك » .

ونحوي الحديث : وان ابیت الا أن تثار وتقتص بيدك

فدونك ، على أن لا تتعدى وتتجاوز عن المثل ، ولكن لا يسوغ لك بعد القصاص منه أن تشكوه الى الله ، لان العقوبة لا تتكرر على ذنب واحد . وتجدر الاشارة الى ان المراد بالمظلمة هي الخاصة دون العامة كالكمة النابية وما اشبهه .

أحمق الحمق

أحمق الحمق ان تجتمع في الشخص العجلة وسرعة الغضب ، ومثله لا يسوغ النقاش معه ، بل ولا الحديث بحال ، لانه لا يشك اطلاقا ، بل يجزم ويحكم بلا أساس ، ومن لا يشك يستحيل أن يقنع أو يقتنع ، قال كونفوشيوس : « لا أدري ما أفعل بالانسان الذي لا يشك ولا يسأل نفسه ما يجب أن يفعل » .

وكل ذي عقل ودين وضمير عليه ان يسأل هذا السؤال ، ويبحث عن الاجابة عنه في مظانها ومصادرها ، ومن لا يتهم نفسه ، ويتوقع منها الخطأ فداؤه مستحکم ، ولا دواء له على الإطلاق . فقد روى القمي في سفينة البحار عن السيد المسيح (ع) انه قال : « داويت المرضى فشفيتهم باذن الله ، وأبرأت الأكمه والأبرص باذن الله ، وعالجت الموتى فاحييتهم باذن الله ، وعالجت الأحمق فعجزت عن اصلاحه . فقيل له : وما الأحمق ؟ فقال : المعجب برأيه ونفسه الذي يرى الفضل كله له لا عليه ، ويوجب الحق كله لنفسه ، ولا يوجب عليها حقاً . فذاك هو الأحمق الذي لا حيلة في مداواته .

الفلسفة والديانات السماوية

الفلسفة حلال أو حرام ؟

اختلف الاقدمون : هل طلب الفلسفة وممارستها حلال أو حرام ؟ وإذا أمعنا النظر في اقوال المختلفين من العرب والمسلمين لم نجد أي خلاف فيما بينهم على المبدأ العام ، وهو وجوب النظر وطلب المعرفة من مصادرها ، وإنما الصراع في تطبيق المبدأ لا في صحته ، وإن الفلسفة اليونانية وغيرها من الفلسفات الدخيلة هل تؤدي إلى الشك والالحاد ، أو إلى دعم الإيمان ورسوخه ، أو لا ذا ولا ذاك — على الأقل — ؟.

والجواب عن هذا السؤال لا يحتاج إلى تبيان وبرهان أكثر من القول بأن الحكم في ذلك يتبع ويخضع لنوع الفلسفة وأهدافها ، فالتيارات والفلسفات القائمة على الإلحاد والقائلة بأن المادة هي الموجود الوحيد كالماركسية والوضعية ، أو الداعية إلى التحرر من كل قيد كالإباحية والوجودية ، أو الهادفة إلى الاستغلال والاحتكار كالصهيونية والأمبريالية ، أو القائلة بوحدة الوجود وإن مجموع الوجود الطبيعي هو الله ، كل هذه الفلسفات والنزعات حرام محرمة ومرفوضة من الأساس .

أما الفلسفة النزيهة السليمة التي ترفض كل جهالة وضلالة ، وتردها بالمنطق القويم ، فهي من صميم الدين

الحنيف ، واي عاقل يحرم فلسفة تحرم ما حرم الله ، وتحلل ما أحل . لقد حدث القرآن الكريم على النظر والتفكير ، وحرم التعصب والتقليد . وهذي عين الفلسفة التي حلها وقال بها الفلاسفة المؤمنون السابقون منهم واللاحقون .

ان الاصل الاول للدين الحنيف هو العقل وخالق العقل ، وايضا الاساس الاول للفلسفة الصحيحة هو العقل ، وما دام مصدر الدين والفلسفة واحدا يسوغ ، وهذي هي الحال ، وصف الدين الالهي السماوي بأنه عقلي ، والفلسفة الصحيحة بأنها الهية سهاوية . . اللهم الا ان ترفض صراحه او ضمنا العقل كمصدر لها ولبيادئها واحكامها ، والمعروف بين الناس ان الديانات السماوية ثلاث : الاسلامية والنصرانية واليهودية . وفيما يلي ننظر ونرى : هل هذه الديانات تقوم كلها على أساس العقل ، او انها ترفضه بالكامل ، او بعضها تعترف به وبعضها ترفضه ؟.

الاقايم الثلاثة في الكتاب المقدس

الكتاب المقدس عند المسيحيين يعم ويشمل العهد القديم (اي التوراة) والعهد الجديد (اي الاناجيل الاربعة) وأعمال الرسل (اي رسائل الحوارين) . ولهذا الكتاب المقدس فهرس يرشد الى مكان الكلمات ، أشبه بالمعجم المفهرس للقرآن الكريم ، وايضا له قاموس ، يدل على الكلمات أين هي ؟ ويبين معانيها ، وما يتصل بها بايجاز بحيث يغني القارئ عن مراجعة الشروح والتفسير اذا هو اقتنع بالكفاف ، وقد اشترك في وضع هذا القاموس ٢٧ من اللاهوتيين وذوي الاختصاص . وأتمنى لو أن نخبة من ذوي الكفاءة المسلمين اشتركوا في وضع قاموس القرآن الكريم

• على غرار قاموس الكتاب المقدس •

وجاء في هذا القاموس ص ١٠٧ وما بعدها ما نصه بالحرف الواحد : « الله واحد ، وهو ثلاثة أقانيم متساوية في الجوهر : الله الأب ، والله الابن ، والله روح القدس ، فالأب هو الذي خلق العالم بواسطة الابن ، والابن هو الذي أتم الفداء وقام به ، والروح القدس هو الذي يطهر القلب والحياة ، غير أن الاقانيم يشتركون معا في جميع الاعمال الالهية » .

وفي المعجم الفلسفي للأب الدكتور جيل صليا : « ان الاقنوم هو الجوهر والشخص ، والاقانيم الثلاثة جواهر متميزة ، والاقنوم عند اللاهوتيين يطلق على اتحاد الطبيعة الانسانية بالطبيعة الالهية » .

ويلاحظ من وجهة عقلية ان الواحد من حيث هو غير الثلاثة من حيث هي ، واذن فلا يسوغ بمنطق البديهة أن يقال : « الله واحد وهو ثلاثة » .

ثانيا : ان الخالق لا يتحد مع المخلوق (أي الانسان) ولا يماثله ولا يكون أحدهما جزءا من الآخر ولا هما معا جزأين لشيء ثالث .

ثالثا : ان مفهوم الاله ينفي بذاته وطبيعته أن يكون له شريك في أي عمل حيث لا يخلو الواقع من أحد فرضين : إما أن يكون أحد الالهين قادرا على خلق الكون وتدبيره ، وإما أن يعجز عن ذلك ، فان كان قادرا يكون وجود الثاني عبثا ولزوم ما لا يلزم ، والاله منزّه عن النقص والعبثية ، وان يك عاجزا احتاج الى كميل ومعين .

ولكن الكنيسة بخاصة القديمة لا تبعا بعقل وعلم ، وتعترف صراحة بأن الدين فوق العقل ، وأن ما يخالف ظاهر النصوص فهو بدعة وضلالة ، وعلى هذا الاساس قتلت الكنيسة وحرقت العديد من العلماء والفلاسفة تحت عنوان الهرطقة والزندقة ، واستمرت على ذلك ازمانا طويلا وقرونا متعاقبة.

ولو ان الكنيسة على ثقة من ديانتها قوة وصدقا لشجعت العلم والعلماء ، وباركت الفلسفة والفلاسفة ، وناقشت المخطيء منهم بالحكمة والموعظة الحسنة . ونخمن هذه الفقرة بكلمة جاءت في مقال بعنوان « كيركجورد في قبضة هيجل » نشرته مجلة الفكر المعاصر العدد ٦٧ سبتمبر ايلول سنة ١٩٧٠ وهي « على المسيحي ان يؤمن بلا عقل ، بل ان الايمان يزداد كمالا وسهوا كلما ازداد معارضة للعقل » .

وبعد ، فان سر الاسرار لنفوس المسيحية او الكنيسة من العقل ، يكمن في الاتانيم الثلاثة التي يرفضها القلب والعقل مع انها الحجر الاساس في هذه الديانة ، وما وجد اتباعها سبيلا للخلاص من هذه الورطة المحيرة الا القول بأن الدين فوق العقل والفلسفة .. ولكن هذا الحل يحتاج ايضا الى حل للقول المأثور : حدث المرء بما لا يليق ، فان لاق له فلا عقل له علما بأن المسيحيين عقلاء .

اله اسرائيل

والحديث عن الفلسفة اليهودية والعنصرية الصهيونية ، يتسع لاكثر من مجلد . ونكتفي هنا بكلمة موجزة عن اله اسرائيل وحقيقته ومهمته كما هو في الديانة اليهودية ، لان فلسفتها وجميع تعاليمها ترتكز على طبيعة هذا الاله وصفاته .

ومجمل القول فيه — كما هو عند اسرائيل — انه اعجب من ان يتصوره عقل ، انه صهيوني يعادي الانسانية فيأمر بالدمار وحرق القرى والمدن بمن فيها حتى الاطفال .. فيما عدا الذهب والفضة والنحاس والحديد ، لان هذه الاموال للاله الراسمالي الاكبر .. وايضا هذا الاله عنصري قبلي على غرار اصنام بعض القبائل في الجاهلية .. ولا يعنيه من امر الخلق الا حل مشكلات اليهود ، ومن اجل ذلك سخر لهم الكون بمن فيه من انسان غير اليهودي وما فيه من كائنات وانعام .

وتورد التوراة فيما تورد عن هذا الامتياز في سفر يشوع الاصحاح ٦ مقرة ٢٤ ، خطبا مع بني اسرائيل : « احرقوا المدينة مع كل ما بها .. انما الفضة والذهب وآنية النحاس والحديد اجعلوها في خزانة بيت الرب » . وفي سفر التثنية الاصحاح ١٤ : « قد اختارك الرب لكي تكون له شعبا خاصا فوق الشعوب على وجه الارض » . وفي سفر العدد الاصحاح ٣١ مقرة ١٢ : « خذوا كل الغنيمة وكل النهب من الناس والبهائم » .

وفوق ذلك ان الله تصارع مع يعقوب الليل بطوله فمعجز عنه ، بل عجز عن التخلص والفرار منه ، وبالتالي لم يجد الرب بدا من الرجاء والتوسل الى يعقوب كي يمن عليه بالاطلاق ، فقال له مستعطفا : « اطلقني لقد طلع الفجر ، فقال له يعقوب : لا اطلقك ان لم تباركني .. فباركه الرب ، وسماه اسرائيل (١) ومعنى اسرائيل في العبرية القوة ضد الله ، كما نقل العارفون بهذه اللغة .

(١) التوراة سفر التكوين الاصحاح ٣٢ مقرة ٢٢ — ٢٩ .

وتشير هذه الفلسفة أو هذه الخرافة أن اليهودي لا غالب له حتى الله يعجز عنه ! . وقد جاء هذا المعنى في القرآن الكريم بنص أبين وأوضح في الآية ٦٤ من المائدة : « وقالت اليهود يد الله مغلولة ، غلّت أيديهم ولعنوا بما قالوا » .. وفي الآية ٨١ من آل عمران : « قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء » .

وهذه الديانة السفاكة الأفاكة نابعة من الطبيعة الصهيونية وفلسفتها ، ولا صلة لها إطلاقاً بأي وحي أو علم أو عقل وضمير .. فقد روى الاسرائيليون أنفسهم ان التوراة المتداولة الآن هي من صنع أحبار اليهود بعد عودتهم من الاسر البابلي الى ارض كنعان (انظر الرحلة المدرسية للشيخ جواد البلاغي ، واطهار الحق للشيخ رحمة الله الهندي ، وفلسفة التوحيد والولاية فصل اهل الكتاب يعترفون بتحريف كتابهم لحمد جواد مغنية ، وموسوعة لاروس ، ورسالة لسيجهوند فرويد « وذكرنا المصدرين الآخرين رواية لا دراية .

ولا ادري : كيف جمع المسيحيون بين الايمان برب التوراة (أي اله اسرائيل السفاح الضاري) والايمان برب الانجيل وهو أرحم الراحمين .

ومن كسل ما تقدم يتبين لنا أن هذا الاخاء واللقاء بين الصهيونية والولايات المتحدة — ليس من باب الصفة ، بل من باب المشاركة والالتحام في المبدأ والهدف والنظام ، وقد ظهرت هذه الحقيقة بوضوح على لسان بيغن رئيس وزراء اسرائيل الحالي بعد زيارته للولايات المتحدة واجتماعه برئيس جمهوريتها حين سألته مراسل صحفي عن نتيجة الاجتماع ، فأجاب بقوله : « اننا نؤمن بحقائق مقدسة مشتركة ، وذلك ما تربينا ووفق بيننا من أول نظرة » .

وبعد ، فقد كانت الكنيسة من قبل تعتقد أن المعطيات العلمية تنافر ظاهر النصوص المقدسة التي تعود الى الطبيعة ونواميسها ، فحدث الاصطدام بينها وبين العلماء والفلاسفة .. ومع الايام ارتفع الستار وظهرت الحقيقة ، وخضعت الكنيسة للامر الواقع ، وقالت للعلماء : لنا حق العقيدة الدينية ولكم حق العلم ، وانتهى كل شيء .

اما الفلسفة اليهودية الصهيونية الضارية ، فلا نهاية لها ما دامت نصوص التوراة ثابتة على امرها بالخراب والدمار والسلب والنهب .. وعلى اساس هذا النص ضم بالامس القريب رئيس وزراء اسرائيل الضفة الغربية وقطاع غزة الى دولة اسرائيل ، وقاتل بصراحة ووقاحة : « من التوراة نطلق والى التوراة نعود » . وتقول التوراة : ان الله اعطى الارض للشعب اليهودي .

الاسلام والعقل

تقدم الكلام اكثر من مرة عن مكانة العقل في الاسلام ، والحديث عنه عين الحديث عن العلم ، لان العلم من صنع العقل وثماره . وتسأل : هل الدين والايمان بالله أيضا من نتاج العقل وآثاره ، أو أن الدين ، كل دين ، ينبع من مصدر آخر لا يمت الى العقل بسبب ؟.

الجواب :

هناك من يقول : ان الاديان بشتى ألوانها مصدرها اللاشعور واللامعتول ، وان الانسان يكره على العقيدة الدينية من حيث لا يشعر عن طريق المحيط أو التربية أو أي عامل آخر غير العقل والفكر والتأمل .. وقد يكون لهؤلاء

بعض العذر ، لان اكثر الاديان على هذا الوصف ، ومنها ما
اشرنا اليه قبل قليل .

ولكن العاقل ، بخاصة اذا كان من اهل الفكر ، لا يعطي
حكم الخاص للعام والجزء للكل ، واي عاقل يقول : انا اعرف
من هم شيوخ النجف وهو لا يعرف منهم الا معلما او اثنين !
ومثله تماما الحكم المطلق على جميع الاديان من خلال دين
او اكثر ؟ وقد تعجل ماركس وتورط حين قال : الدين افبيون
الشعوب وهو لا يعرف عن الاسلام شيئا ، وكان عليه ان
يخصص بها رأى وعلم ولا يطلق ويعمم .

ان الدين على انواع ، منها بلا حجة واساس معقول ،
ومنها نتيجة التعقل والتفكير والتدبر كالاسلام . واليك
الدليل :

١ - اوجب الاسلام النظر العقلي كوسيلة للايمان
الصحيح ، وندد في العديد من الآيات القرآنية
والاحاديث النبوية بالتقليد والمقلدين ، واثنى على
العلم واهله ، ونذكر هذه الآية على سبيل المثال :
« انما يخشى الله من عباده العلماء » - ٢٨ فاطر »
والمراد بالعلماء هنا هم المعنيون بقوله تعالى :
« ويفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت
هذا باطلا - ١٩١ آل عمران » . ينظرون الى
الكون وما فيه من اسرار وحكمة ونظام ، فتأخذهم
الدهشة ويتساءلون : من أين هذا العلم والصنع
الحكم ؟ وكيف حدث ؟ ولن هذه القدرة الخارقة ؟
ولا يجدون جوابا تركن اليه القلوب السليمة وتتنع
به العقول النيرة الا انه من صنع قدير عليم ، يقول
للشيء كن فيكون .

أما خشنية العلماء منه تعالى فانها تشير الى العالم بالله حقا وصدقنا لا يستعمل علمه الا في طاعة الله ومرضاته ، وفي خدمة الإنسان وسد حاجاته ، ولا فضيلة أسمى من هذه وأرفع عند الله والناس . ومحل الشاهد أن الايمان الصحيح في نظر الاسلام هو ما جاء نتيجة النظر العقلي والمنهج العلمي ، ويؤيد مكانة العلم والعقل في الاسلام هذا الحديث الشريف : « توزن دماء الشهداء مع مداد العلماء فيرجح مداد العلماء على دماء الشهداء » .

٢ — يقر الاسلام كل ما فيه خير وصلاح ، ويبارك كل جديد مفيد حتى ولو لم يرد فيه نص ، ولا يسوغ بحال أن ينسب اليه أي شيء يجلب الشر والأذى لمخلوق أو ينافر العقل بجهة من الجهات .

٣ — الإنسان في دين الاسلام حر طليق في حدود العدل والمساواة ، وهو وحده المسؤول عن تصرفاته أمام الله بلا واسطة ، وإذا بحث عن الحق واستقصى جهده للوصول اليه فأخطاه فهو معذور ، بل ومأجور أيضا على ما بذل من جهد . قال رسول الله (ص) : « إذا أصاب المجتهد فله أجران ، وإذا أخطأ فله أجر » . وعلق كاتب معاصر على هذا الحديث بقوله : « هل رأيت أحدا يؤجر على الخطأ ، ويحرص على ممارسة الحرية العقلية أكثر من ذلك ؟ نحن نفهم أن المرء يثاب إذا أجاد ، وإن غاية ما يتوقعه إذا أخطأ أن يُغفر له وإن لا يعاقب ، ولكن الذي يبحث ويجتهد هو وحده الذي يؤجر إذا أخطأ ، لأن الاسلام يلح في دعوته على ممارسة الحرية العقلية ، والكثير من آيات القرآن تثبت هذه الدعوة ،

وتتساءل : افلا تتفكرون ؟ افلا تعقلون ؟ » .

لا اسلام بلا عقل

ومن المؤسف ان فئة منا نحن حماة الاسلام ، دين العقل والعلم والحياة ان يقول فرد من افرادها باسم هذا الدين : العقل داء ومفسدة ، وآخر ينفي الايمان عن الذي يطلب الحجة العقلية كشرط للطاعة ، وثالث يزعم بان الاسلام بعيد وغريب عن كل العلوم ! . فقد نشرت مجلة العربي الكويتية في العدد ٢٢٥ تاريخ آب ١٩٧٧ كلمة بعنوان العقل في قفص الاتهام ، جاء فيه ما نصه بالحرف الواحد :

« واحد من علمائنا في مركز رفيع خصص فصلا كاملا في كتاب آخر صدر له ، يهاجم فيه العقل ، ويعتبره مفسدة للقلب وجراثومة ضارة يجب ان تُعْبَأَ الجهود من أجل القضاء عليها قبل ان يستفحل الداء ، وينتشر البلاء على أمة المسلمين ، فتشيع بينهم والعياذ بالله آفة استخدام العقل » ! .

وعلى قول هذا « الرفيع » تكون الآيات القرآنية في تمجيد العقل كلها منسوخة ، والاحاديث القدسية والنبوية كلها موضوعة ! . ولا يريد المبشرون ضد الاسلام واعداؤه اكثر من ذلك . . قال سبحانه للعقل في حديث قدسي متواتر عند الشيعة والسنة : « ما خلقت خلقا أحب علي منك ، بك ائيب ، وبك اعاقب » . وقال الرسول الاعظم (ص) : لكل شيء دعاية ، ودعاية المؤمن عقله (١) وقال هذا « الرفيع » : كلا ، ان العقل داء وباء وجراثومة ضارة بدين الاسلام ، وصدق الله العلي العظيم : « ان شر الدواب الصم البكم النين لا يعقلون — ٢٢ الانفال » .

(١) احياء العلوم للغزالي ج ١ ص ٨٣ .

وايضاً جاء في هذه الكلمة : « قال أبو الأعلى المودودي الهندي في كتابه نحن والحضارة الغربية : الايمان وطلب الحجة العقلية كشرط من شروط الطاعة امران متناقضان لا يسوّغ العقل السليم اجتماعهما أبداً ، فالذي هو مؤمن لا يمكن أن يكون طالباً للحجة » .

ونسأل هذا القائل : هل كان خليل الرحمن مؤمناً أو غير مؤمن حين قال رب أرني كيف تحيي الموتى ؟ فان اختار الاول ناقض نفسه بنفسه ، وان قال بالثاني فقد جحد وخالف نص القرآن الكريم : « قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطئن قلبي — ٢٦٠ البقرة » بأن السذي خلقتني واختارني لرسالته هو دون سواه يخاطبني ، وما على عيني أو في أذني غطاء وغشاوة .

ولا ادري : لماذا هذا الاصرار والتركيز على تجميد الاسلام وتحجيره ، والابتعاد به عن نور العقل وأسباب التقدم والنطور على أساس الوحي ومبادئه ؟. وهل هذا لمصلحة الاسلام والتبشير بعظمته ومرونته ؟.

وفي مجلة الهلال المصرية تاريخ اكتوبر تشرين الاول سنة ١٩٧٣ كلمة بعنوان كيف نرقى بالتشريع المعاصر ؟ جاء فيها : « ان حكم الاسلام ينطلق من أساس الايمان بالغيب .. والحقيقة ان الفارق المميز بين الحكم الديني وبين الحكم الوضعي هو الايمان بالغيب ، بل هو الفارق بين التعاليم الدينية وبين العلوم المختلفة » .

اريت الى هذا المنطق ؟ : أبدا لا يرقى التشريع المعاصر الا بالابتعاد عن كل العلوم والرجوع الى الغيب (أي الوحي) وكانّ وحي الله وكتابه عدو للعلم والعقل ! معاذ الله . كيف

ولا شيء بعد العلم والعقل الا الضلالة والخرافة .. تعالى
الله عن ذلك علوا كبيرا .

ولو صدق هذا الكاتب في زعمه لما كان للاسلام حضارة
وثقافة ، ولا شيء اسمه علوم اسلامية .. ورحم الله علماء
السلف الذين اجمعوا قولا واحدا على ان علم الزراعة
والصناعة والطب والهندسة وكل ما هو ضروري للحياة —
واجب كفائي لان ما لا يتم الواجب الا به فهو واجب . وهذه
القاعدة يحفظها الصغار من الطلبة ، ولكن الكاتب ذهل
عنها .. اللهم الا ان يدعي ان على الناس ان يزرعوا ويصنعوا
ويتطببوا وراء الطبيعة !.

واخيرا نتساءل : هل جاء هذا الانتظام والانسجام بين
هذا الكاتب وزميليه السابقين — من باب الصدفة ، او ان
الهدف من تعاضدهم وتكاتفهم هو بث الوعي الديني والارشاد
والنورة على الفساد والالحاد ؟. وطريف ان يعلن علماء الغرب
ان الاسلام وضع أسس الحضارة في الشرق والغرب ، ثم
يتفق هؤلاء الثلاثة على ان الاسلام ابعد ما يكون عن العلم
والعقل !.

القرآن وكلمة الغيب

ولعل من المفيد — بعد الاشارة الى الغيب — ان نتحدث
حول هذه الكلمة بايجاز ، وهي تستعمل لغة وعرفا في الجهل
و ضد الحضور ، يقال : غاب فلان عن البيت اي لم يحضر
فيه ، وحفظت شيئا وغابت عنك اشياء اي جهلت بها . ولم
يتجاوز القرآن هذين المعنيين ، ومن ذلك « الذين يؤمنون
بالغيب » حيث اراد سبحانه الآخرة الغائبة عن الاعين .
« اني أعلم غيب السموات والارض » اي ما غاب من

أسرارها عن الخلق . « ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك »
 وذلك اشارة الى من مضى من عباد الله . . الى غير ذلك
 من المعاني التي لا تناقض حكم العقل وتنافره .

وهل من المعتول ان يصطدم الاسلام مع العقل ، وهو
 الطريق الى معرفة الله واثبات نبوة محمد (ص) وصدق
 القرآن الكريم واعجازه . . ومن هنا قال علماء الدين الحنيف :
 اذا تعارض العقل مع ظاهر الشرع اخذنا بما دل عليه العقل ،
 واولنا ذلك الظاهر بما لا يصطدم مع العقل ، ان امكن والا
 وجب الانتظار حتى تنكشف الحقيقة بطريق او بآخر .

وخير ما نختم به هذا الفصل قول برناردشو الشهير : « ان
 دين محمد هو الدين الوحيد الحائز على اهلية الهضم لأطوار
 الحياة المختلفة لكل الناس . . ان محمدا يجب ان يدعى منقذ
 الانسانية ، ولو تولى رجل مثله زعامة العالم الحديث لنجح
 في حل مشكلاته بطريقة تجلب الى العالم السلام . بهذه الروح
 يجب ان يفهم محمد ، فهو اكمل البشر من الفابريسن
 والحاضرين ، ولا يتصور وجود مثله في الاتيين » .

المادية والواقعية والمثالية

المادية

المادة هي التي تشغل حيزا من مكان . والمادية في الاصطلاح الحديث تعني ان المادة هي الموجود الحقيقي الوحيد والاصل وكل ما عداها فرع . . بها يفسر العقل والروح والحياة والانسانية وكل ما يحتاج الى تفسير ، اذ لا شيء فوقها على الاطلاق ، وهي ازلية لا اول لاولها ، وابدية لا آخر لآخرها .

ويتلخص دليل الماديين بأن المادة هي وحدها التي ترى بالعين ، وتلمس باليد ، ولا وجود الا لمن هو على هذا الوصف . وهذا الزعم — كما ترى — مبصرة وليس بدليل ، لانها تتخذ من المدلول دليلا ومن النتيجة قياسا . وتتضح هذه الحقيقة من الحوار الآتي :

قال بعض الطلاب للماديين : لقد فسرتم كل شيء بالمادة ، فباي شيء تفسرون المادة ؟

قالوا : هي في غنى عن كل تفسير ، لانها من اوضح الواضحات .

قال : اجل ، ان المادة واضحة بوجودها ، ما في ذلك ريب ، ولكن من الذي اوجدها ؟

قالوا : هي واجبة الوجود لا تحتاج الى موجد .

قال : من الذي يدير الكون والطبيعة هذه الإدارة المحكمة ،
ويدبرها هذا التدبير المنظم بوضع كل جزء في مكانه الملائم
والمتفق مع جميع الأجزاء محققا للغرض المقصود من وجوده ؟

قالوا : في البدء كانت الطبيعة ذرات رقيقة ولطيفة ، يطلق
عليها كلمة الأثير (١) وكانت هذه الذرات تسبح وتموج في
أطراف الفضاء ، ودامت على هذا المنوال ملايين الملايين من
السنين ، وبهذه الحركة الدائبة الطويلة الأمد تطورت الذرات
إلى أشكال واللوان وكائنات وحلقات متنوعة .. منها الكواكب
والانعام والحشرات والانسان الخ .
قال : ومن الذي رأى هذه الذرات اللطيفة ، وحضر طوائفها
وأطرافها وشهد تطورها الآلي إلى هذا النظام والانسجام
والجمال والكمال ؟

قالوا : أبدا ، ما من أحد رأى وشاهد .. ولكن أيا كان
السبب فلا يمكن أن يكون عن قصد وتصميم ومن فعال
لما يريد !

أرايت إلى هذا المنطق ؟ نظام بلا منظم معقول ومقبول ،
أما النظام بمنظم فسخف وخرافة ! . ولماذا يا « عقلاء » ؟
لأنه ما من أحد فرد صمد يمكن أن يصنع هذا الكون العظيم !

ومن قبل قال الكافرون « هذا ساحر كذاب جعل الآلهة لها
واحدا ان هذا لشيء عجاب — ٥ ص » .

وهكذا ينتهي الماديون في كل أقوالهم إلى المصادر والقول
بالظن والتخرص تماما كأهل الجاهلية الجاهلاء . وفي العدد
الأول من السنة الأولى لمجلة عالم الفكر الكويتية ص ١٣٤

(١) قالوا في تفسير هذا الأثير : « هو شيء لا لون له ولا كثافة ، ونخالف
صفاته الصفات التي نعرفها في المادة » .

ما نصه بالحرف : « ان الماديين الذين يزعمون انه لا وجود
الا للمادة قليلون بين المفكرين ، وهم في الحقيقة ليسوا اصحاب
مذهب في تفسير الكون ، بل هم اصحاب رأي في طبيعة
الوجود ، وهو رأي سطحي تعسفي وغير نقدي ، لان المادة
كما نراها لا تفسر شيئا ، وليست علة حقيقة لشيء » .

وللمادية اقسام واصناف كالذرية والاقتصادية والتاريخية
والجدلية والساذجة والنقدية . والكلام عنها يستوعب مجلدا
ضخما . وقد نشير الى بعض اقسامها فيما يأتي .

الواقعية

أبعد شيء عن خاطر العاقل أن يشك ويتردد في الشيء
الذي يراه ويحسه ، وايضا لا يشك في أن هذه الاعيان
الخارجية قد وجدت وجودا مستقلا عن عقله وعلمه وعلم
غيره ، ولا اظن أحدا من هذا السواد وهؤلاء الناس يتصور ،
أن هناك من يشك في وجود الشمس والارض والقمر وجودا
مستقلا عن عقول الخلق — مثلا — أو يقول : كل ما غاب
ومن غاب عن علمي وعلم الآخرين فلا عين له ولا أثر . . أما
ادراكنا واحساسنا بوجود شيء من الأشياء فهو مجرد صورة
له وانعكاس عنه تماما كصور الوجه التي تراه العين في المرآة .

وهذا هو معنى الواقعية ، معناها بكل وضوح وبساطة
أن في الواقع والخارج أشياء لا يناط وجودها ويرتبط بأي
علم وتصور الا بعلم خالقها وارادته (١) .

وقديما قال الفلاسفة وأهل المنطق : العلم هو صورة

(١) قسم بعضهم المثالية الى ذاتية تنكر وجود المادة ، وتأتي الإشارة
اليها ، والى موضوعية تعترف بوجود المادة ، ولكن تسندها الى مبدأ لا
مادي ، وهو الله كما يقول المؤمنون ، أو السى العقل المطلق كما يقول
آخرون ، وترتكبا الإشارة الى هذه لاثما تندرج تحت الواقعية ، وتنتزج بها .

الشيء عند العقل ، ومن المعلوم بالبديهية أن الصورة فرع والشيء المتصور أصل ، ولكن أهل التحقيق والنظر يسمون هذه الصورة أو هذه المعرفة بالواقعية الساذجة أي أن السواد الأعظم من الناس هم الذين يرون هذه الصورة علما حقا وواقعا ، وعلى هذا الأساس يتفاهمون في حياتهم اليومية المألوفة بلا تحقيق وتمحيص .

وهذا خطأ واشتباه ، لأن الكثير من المراثيات تبدو لآعيننا عن بعد أصغر حجما وأقصر طولاً من واقعها ، وكذلك نرى المربع مدورا من مكان بعيد ، وعليه فلا يسوغ القول أو الحكم بأن ادراكنا لأي شيء هو صورة طبق الأصل عنه ، بل يجب أن نقف من هذا الإدراك أو هذه الصورة موقف الناقد والناقص فننظر : هل هي من صلب الواقع قطعا أو على الأرجح أو مرددة بين السلب والإيجاب حيث لا وسيلة للترجيح ، ثم نصدر الحكم على الإدراك العقلي والصورة الذهنية تبعا لنتيجة النقد والتمحيص ، فان انتهينا إلى القطع واليقين بأن هذه الصورة الذهنية الموجودة الآن هي طبق الأصل عن الواقع رتبنا جميع آثاره بلا تردد حتى يثبت العكس والا توقفنا عن الحكم . وقد نعود إلى هذا الموضوع لسبب أو لآخر .

المثالية

للمثالية معان شتى ، منها المثالية الذاتية أو اللامادية ، وعننا نتحدث في هذه الفقرة ، وخلصتها أنه لا وجود لأي شيء في الخارج إلا إذا أدركه عقل من العقول ، وما لا يدركه عقل يستحيل أن يكون موجودا — مثلا — السمك موجود في البحر لأننا نعلم بذلك ، ولو لم نعلم به لم يوجد ، ومن أخص خصائص هذه المثالية القول بأن الروح أصل والمادة فرع على

العكس من الفلسفة المادية القائلة بأن المادة أصل والروح فرع . وسبقت الإشارة الى ذلك في النقرة الاولى من هذا الفصل .

ويتلخص دليل المثاليين بأن ما من أحد يستطيع ادراك اي شيء منفصل عن ادراكه واحساسه ، فكيف يؤمن بوجوده ؟ وهل ينسظم العلم من الجهل أو من مقدور الانسان ان ينفصل عن احساسه وانفعاله ؟

ورد الواقعيون على هذه المثالية بما يلي :

١ — ان تصور الشيء والعلم به لا يأتي جزافا وبلا سبب ، وانما هو انعكاس مسبب عن الواقع العياني الملموس ، وهذا الواقع هو الاصل والسبب ، فما الذي جعل المسبب سببا ، والسبب مسببا ؟

٢ — فارق بعيد بين الشيء المحسوس وبين الاحساس به ، فالاول عين من الاعيان الخارجية المستقلة عن رؤية العين وعمل الفكر ، والثاني موقف تأملي عقلي واحساس داخلي صرف ، فاین هذا من ذاك ؟

٣ — اذا نفينا وجود المادة قبل العلم بها ماي شيء يبقى للمكتشفات العلمية ؟ فنيوتن لم يخلق الجاذبية بعلمه والاطباء لم يخترعوا الدواء ، لقد كان كل شيء موجودا من قبل ، والعقل اكتشفه واستخدمه في مصالح الخلق . . الى غير ذلك من الردود والنقوض . وكان الفيلسوف باركلي من انصار المثالية الذاتية ،

موجودا فيها من قبل ؟.

والفيلسوف جونسون من انصار الواقعية ، فقيل لهذا : بماذا تفنّد فلسفة باركلي القائلة بعدم وجود الاشياء الخارجية ؟ فركل حجرا برجله وقال : افندها بهذا ، وكيف اتبل فكرة تقول : الشمس لا وجود لها اذا توارت عن الاعين ، او ان اللحم الدفين في الفطيرة سيقفز الى الوجود بمجرد ان افتحها دو أن يكون .

وبعد ، فنحن نعلم بوجود هذا الكون المحسوس بالعيان والوجدان ، وأيضا نعلم علم اليقين انه ينطوي على اسرار وآفاق لا يبلغها العد والاحصاء ، وانه كلما بلغنا منها أفقا غابت عنا آفاق وآفاق . . حتى اكثر الاشياء وضوحا في أفهامنا تبطن أسرارها لا نعرف عنها شيئا ، بل نجهل الكثير الكثير مما تحمله ارواحنا وأجسامنا من آيات ومعجزات ، وهي التي اشار اليها القائل : « وفيك انطوى العالم الأكبر » .

ابعد هذا هل يجزؤ احد على القول بأنه لا عين ولا اثر لما يغرب عن علمه او علم مخلوق مثله حتى ولو كان مثقال ذرة في الارض ولا في السموات ؟.

حول العلوم الانسانية

بين الكون والطبيعة

تطلق كلمة الكون على العالم بما فيه ومن فيه من مادة وطاقة أو جسم وروح أو الظاهر منه والباطن ، قل ما شئت ، ولا تطلق كلمة كائن على ما يدل عليه اسم الجلالة لأن كلمة كائن توهم الى حدوثه .

وتطلق كلمة طبيعة على السجية والصفات الذاتية المقابلة للمكتسبة ، أما العلوم الطبيعية فانها تبحث في المادة واحوالها حية كانت أو جامدة ، وتسمى ايضا بالعلوم التجريبية ، لان طريقة البحث فيها الملاحظة والاستقراء والاختبار .

العلوم الانسانية

العلوم الطبيعية يدل اسمها عليها لان موضوعها الطبيعة ، وكذلك العلوم الانسانية لان المراد بكلمة انسانية مجموع خصائص الجنس البشري التي تميزه عن سائر الاحياء في الطبيعة .

وللعلوم الانسانية اقسام : منها علم التاريخ ، ويبحث في الوقائع والحوادث الماضية ، وعلم النفس ، وموضوعه نشاط النفس واحوالها وصفاتها الذاتية ، وعلم الاجتماع ، ويتناول الحياة الاجتماعية وما تخضع له من قوانين ، وعلم الاخلاق ،

وهو مجموعة من المبادئ التي ينبغي أن يجري السلوك البشري على مقتضاها ، وعلم الاقتصاد ، ويبحث في انتاج الثروة وتوزيعها واستهلاكها .. الى غير ذلك مما يتصل بحياة البشر كالتشريع والسياسة .

منهج العلوم الانسانية

كان في سالف الأزمان للعلوم الانسانية مقامها الاعلى والأرضى يوم كان للقيم الاخلاقية وزن وشأن ، وكانت هذه الحكمة : « اعرف نفسك » هي الهدف والرسالة لكل عالم ومعناها ظاهر وواضح ، وهو يجب أن تفهم وتعرف ما لك وما عليك لكي تتقف عند حدك ، ولا تتجاوزه الى غير ححك .

ولما تقدمت العلوم الطبيعية ، وطغت المادة على كل شيء — تخلت العلوم الانسانية ، وتزعزع ايمان الاكثرية الغالبة بكل فضيلة ومعرفة الا اذا كانت عملية و « شبيهة » وما عداها سخف وخرافة .. وعلى هذا الاساس قالت بعض الفئات المعاصرة : يجب أن تتحرر العلوم الانسانية من النظريات الفلسفية ، وتخضع للحس والتجربة تماما كالعلوم الطبيعية .

وهذا القول على عمومه واطلاقه بعيد عن الصواب ، لان طبيعة موضوع العلم هي التي تحدد المنهج الملائم لبحثه ودراسته ، فالعلم الطبيعي يعتمد على التجربة ، والرياضيات على العقل ، والتاريخ على النقل والاثار ، ويخطئ من يعتقد أن التجربة هي الطريق الوحيد الى المعرفة ، أو أن النظر العقلي الفلسفي اقل شأنًا من العلم العملي ، قال رسل في كتاب الفلسفة بنظرة علمية : « ليست النتائج التي تنتهي اليها الفلسفة بالمختلفة من حيث الاساس عن النتائج التي يصل اليها العلم » .

وننتج العلوم الانسانية منها ما ننفهي اليه عن طريق الحس
والتجربة كعلم الاقتصاد ، ومنها ما نقوصل اليه عن طريق
العقل او الضمير كالقيم الاجتماعية ، ومعنى هذا ان العلوم
الانسانية تتقبل الفلسفة والعلم بمعناه الحديث ، وانهما
يعيشان فيها جنباً الى جنب .

نقد الفلسفة

وقال بعض المتأخرين : ليست الفلسفة في شيء من العلم
والمعرفة ، بل هي مجرد تفكير وتأمل يخضع لاهواء الفيلسوف
ومزاجه او لظرفه وأحداث عصره أو لتربيته وعقيدته الموروثة .

الجواب :

هذا اعتراف من غير شعور بأن الذنب ذنب الفيلسوف لا
ذنب الفلسفة . . فان الشرط الاول والاساس في كل باحث
عالم كان ام فيلسوفا ان يتنزه عن الميول والمصالح الخاصة ،
ويتخلص من كل المعتقدات والآراء السابقة ، ويقف موقف
الناقد والممتحن لكل ما يمر بخاطره .

هذا الى ان كل العلماء والفلاسفة معرضون للخطأ مهما
تجردوا وحققوا ، فكم من عالم متمكن ومتثبت حكم على الباطل
بأنه حق ، وعلى الحق بأنه باطل من حيث يظن العكس ، ومن
أجل هذا يحسب العالم الراسخ دائماً حساب الخطأ المحتمل ،
ويقرر أحكامه على سبيل التقريب لا على سبيل اليقين .

علماء الغرب والرياء

يتق اهل الشرق او جلهم بعلماء الغرب أكثر بكثير من علماء

الشرق وفلاسفته ، لأن أقوال الغربيين وآراءهم — كما يزعمون — تقسوم على التجربة العلمية لا على الحدس والتخمين . . وعلى هذا الأساس صدق العديد من شبابتنا دارون في قوله : أن أصل الإنسان قرد لا شيء الا مجرد زعمه هو بأن منهجه علمي ! . ويبرور الايام ثبت لكل الناس أن في علماء الغرب مدلسين ومرائين ، وفيما يلي نعرض — على سبيل المثال — بعض انكار هؤلاء المزيين .

في سنة ١٩٧١ مات عالم بريطاني شهير ، اسمه سيريل بيرت ، وكان يتمتع بقدر هائل من الاحترام في كل الاوساط ، وكان ينشر آراء بالغة الاهمية مدعيا انها نتيجة التجارب والاختبارات ، وبعد موته تبين انه كان يكذب ويخدع ، وأنه نشر العديد من المقالات المزورة ، ووقعها بأسماء وهمية لمؤلفين وباحثين لا عين لهم ولا اثر ، يمدحونه ويثنون على جهوده وصحة آرائه ونظرياته .

وليست هذي هي المرة الاولى من علماء الغرب في تزوير العلم رغبة في حب الظهور والشهرة ، فمنذ ربيع قرن ألف فابنز وكلاز ككتابا في المزورين والدجالين من علماء الغرب ، وقد شهدت السنوات الاخيرة اكتشافات قلبت الآراء السائدة حول أصل الإنسان وأنه قرد ، وكثير من العلماء الآن يعيدون تقديراتهم السابقة حول علاقة القرابة بين الإنسان والقردة العليا (١) .

(١) من مقال مطول بعنوان ماذا يحدث في علوم الإنسان والمجتمع ، نشرته مجلة عالم الفكر الكويتية في العدد الاول من المجلد الثامن .

قوى الشر والعلوم الانسانية

دأبنا في كل أو جل ما نكتب أن نثير بأدنى مناسبة الى وحشية الحضارة في هذا العصر وافتراسها حقوق الانسان وامتناسها دماء الشعوب واغتصابها الاثوات والثروات بكل وسيلة وسبيل ، ايماناً منا وايقاناً ، بأن الاسلام في جوهره الصافي يربط الدين بالحياة ، ويمدها بكل قوة ، ويذب عنها بكل سلاح ، ويحتم على كل من قال : لا إله إلا الله ، ومحمد رسول الله أن يجاهد في هذه السبيل بكل ما يملك ، ولا يخشى في الحق لومة لائم ، بخاصة المسلم الصالح ، وبوجه اخص من ظهر امام الناس بجبته وعمامته .

وفيما تقدم من صفحات هذا الكتاب ذكرنا — لبعض المناسبات — أن قوى الشر في هذا العصر اتجهت بالعلوم الطبيعية الى أسلحة الفناء والابادة ، والآن ، ونحن نتكلم عن العلوم الانسانية التي تهدف بطبيعتها الى خدمة الانسان ومصلحته ، نشير : كيف صرفت قوى الشر هذه العلوم عن طبيعتها ، وانحرفت بها الى صياغة الانسان المعاصر صياغة ملائمة لاطباعها واهدافها .

لقد استغل طغاة الاختكار والاستعمار في هذا العصر العلوم الانسانية وثمارها في التمكن لأجهزة الدعاية المضللة ومناهج التعليم لخلق المواطن المطيع للسيطرة الاستغلالية . . وايضا تستغل هذه الثمار والنتائج في ممارسة الارهاب والتعذيب الوحشي واكتشاف أنصر الطرق لالغاء ارادة الاشخاص المعادين للانظمة الجائرة ، ولم تعد الاشكال الانتقامية في القرون الوسطى الا لعبة من لعب الاطفال

بالقياس الى العلم المنظم الذي يقتل الناس من عقيدة الى عقيدة ومن موقف الى موقف .

وقد شاع وذاع ان الولايات المتحدة تسخر عددا كبيرا من العلماء المتخصصين بالعلوم الانسانية بشكل واضح وعلى نطاق واسع ، وتجندهم لدراسة القبائل وكل بلاد العالم ، وتستعملهم في خدمة اهدافها ، وتلحق العديد منهم بالمخابرات العسكرية وبالسفارات (١) .

اقرا باسم ربك

وخير ما نختم به هذا الفصل كلمة طيبة من مقال للدكتور عبد العزيز كامل بعنوان النبي والعلم ، نشرته مجلة الهلال المصرية في العدد العاشر من سنتها الـ ٨٠ ، ونذكر نص الدكتور المسلم عبد العزيز بين قوسين (. . .) وما عداه فهو من قلمنا لمجرد التوضيح .

قال : (اقرا باسم ربك . ولننقف قليلا عند هذا الامر القرائي الاول لنرى فيه بعض توجيهات الله لنا في طلب العلم) . سواء اكان من العلوم الطبيعية ام الانسانية ام الرياضية .

(وان اكبر تكريم للعلم هو الامر الاول الذي انزله الله على رسوله) . ذهب اكثر المفسرين والعلماء والرواة الى ان اول ما نزل على رسول الله (ص) . اقرا باسم ربك

(١) كتاب المخبرات الامريكية ، نشرته مجلة الحوادث البيروتية في اعداد متتابعة سنة ١٩٧٧ ، ومجلة الكاتب المصرية العدد ١٠١ من السنة التاسعة ، ومجلة عالم الفكر الكويتية العدد الاول من المجلد الاول وغير ذلك .

الذي خلق .. اقرا وريك الاكرم الذي علم بالقلم . وعليه
يكون الواجب الاول في الاسلام هو العلم ، ثم الايمان والعمل ،
ولا فضيلة اسمى من هذه واعظم .

(اقرا باسم ريك . ونحن في حياتنا نرى أنواعا كثيرة من
القراءة ، فقد تكون القراءة باسم التسلط والهوى والشهوة
والاستعلاء الكاذب ، قراءة الدول الاستعمارية ، وما عدها
من علم وضعته في خدمة عدوانها الاستعماري ، قراءه
الاستعمار الامريكي في ارض فيتنام ، وقراءة اسرائيل في
فلسطين والارض العربية السليبية ، كل اولئك علم وقراءة ،
ولكنها ليست باسم الله ، ويبدو من ذلك ضرورة ربط العلم في
الاسلام بهدنه الأخلاقي ، ان يكون باسم الله ، وان يكون في
خدمة الانسان ، بل لو تعمقنا في هذا الامر الاول (اي اقرا)
لوجدنا فيه عمقا عميقا في قول الله باسم ريك ، ولم يقل
باسم الله ، لان لفظ رب يدل على التربية والرعاية) .

ولماذا اوجب الاسلام العلم اولا وقبل الايمان والعمل ؟
لانه لا خير في اي دين او مبدا او عمل ياباه العلم والعقل ،
وايضا لا خير في علم ياباه ويلغنه العقل والضمير والانسانية
جميعا .

وختاما فان الدين الذي يحث على طلب العلم ، ويعتبره
الاول والاساس - لا يطلب منه الدليل على صحته وصحته ،
لانه يحمل هذا الدليل في صلب تكوينه وطبيعته .

فلسفة الآخرة وجمال الدين الأفغاني

تحدث العلماء والفلاسفة عن الآخرة قديما وحديثا ، ووضعوا فيها وفي اثباتها الكتب الطوال والقصار وما بين ذلك . . وشاركهم بنصيب ، ولله الحمد ، واعتقد جازما ان ما كتبه حكيم الشرق السيد جمال الدين الافغاني في هذا الباب — على ايجازه — هو اعظم نفعا واقتوى تأثيرا في القلوب والعقول مما كتب الفلاسفة والعلماء مجتمعين . . ولا ارى عملا انتفع به في موقف العرض والحساب وموضع الثواب والعقاب ، خيرا وافضل من المساهمة في نشر ما قاله هذا العظيم واذاعه . قال فقيد الدين والانسانية :

« الاعتقاد بأن الانسان انما ورد في هذه الحياة الدنيا لاستحصال كمال يهيئه للعروج الى عالم ارفع وأوسع من هذا العالم الدنيوي ، والانتقال من دار ضيقة الساحات ، كثيرة المكروهات ، جديرة أن تسمى بيت الأحزان وقرار الآلام — الى دار نسيحة الساحات خالية من المؤلمات ، لا تنقضي سعادتها ، ولا تنتهي مدتها . »

« فهذه العقيدة اعظم صارف للانسان عن الوحوش المفترسة في معيشتها والثيران البرية في حالتها ، والهوام التي لا تستطيع دفع مضرة ولا الوقاية من عادية ، ولا تهتدي طريقا لحفظ حياتها ، ونقضي آجالها في دهشة الفزع ووحشة الانفراد ، هذه العقيدة اشد زاجرا لأبناء الانسان عن التقاطع

المؤدي لامتراس بعضهم بعضا كما يقع بين الاسود الكاسرة ،
والوحوش الضارية ، والكلاب العاقرة ، واشد مانع يدفع
صاحبها عن مشكلة الحيوانات في خسائس الصفات » .

« وهذه العقيدة أحجى حاد للفكر في حركاته ، وانجح داع
للعقل في استعمال قوته ، واقتوى فاعل في تهذيب النفوس ،
وتطهيرها من دنس الرذائل ، وان شئت فارم بنظر العقل الى
قوم لا يعتقدون بالبعث : كيف لا يتسابقون الى شرائف الامور
وفضائل الصفات . . ان من مقتضيات الجزم بأن الانسان ما
ورد هذا العالم الا ليتزود منه كما لا يعرج به الى عالم ارفع ،
ويرتحل به الى دار اوسع ، وجنات امرع — ان اشرقت هذه
العقيدة قلبه بنبعث بحكمتها ، وينساق بحانيها للاضاءة
بالعلوم الحقة والمعارف الصافية ، وينصرف همه الى الخير
وتهذيب نفسه وتطهيرها من دنس الرذائل ، ويناله التقصير
في تقويم ملكاته النفسية ، وينزع لكسب المال من الوجوه
المشروعة متنكبا عن طريق الخيانة ، ووسائل الكذب والحيلة ،
معرضا عن ابواب الرشوة ، مترفعا عن الملق الكليبي ، والخداع
الثعلبي ، ثم ينفق ما كسب في الوجه الذي يليق وعلى الوجه
الذي ينبغي ، ولا يأتي فيه باطلا ، ولا يغفل حقا عابا أو
خاصا » .

« ان هذا الاعتقاد اشد ركن لقوام الهيئة الاجتماعية التي
لا عماد لها الا معرفة كل ذي حق حقه وحقوق الآخرين عليه ،
والقيام على صراط العدل المستقيم ، وهذا الاعتقاد انجح
الضرائع لتوثيق الروابط بين الامم ، اذ لا عقد لها الا مراعاة
الصدق ، والخضوع لسلطان العدل في الوقوف عند حدود
المعاملات ، هذا الاعتقاد نفحة من روح الرحمة الازلية ، تهب
على القلوب ببرد الهدوء والمسالمة ، فان المسالمة ثمرة العدل

والمحبة ، وهما زهر الاخلاق والسجايا الحسنة .. كل ذلك وغير ذلك من الفضائل هو من ثمار العتيدة باليوم الآخر « (١) .

ان قاتل هذه الكلمة هو العدو الاول للظلم والباطل وهو الذي ركل بحذائه منصب الصدر الاعظم في بلده افغانستان ومال لبريطانيا حين عرضت ان تعينه سلطانا على السودان : « هل تملكين السودان حتى تبعني اليه بسلطان ؟ . ان تخوف بريطانيا من اعزل مثلي لدليل على ضعف شوكتها ، وانها في الحقيقة اضعف من الشعوب التي تستذلها » .

وهنا سؤال يطرح نفسه ، وهو-لقد رأينا شعوبا لا تؤمن باليوم الآخر ، علما بانها ارمى واكثر حضارة من بعض الشعوب التي تؤمن به على عكس ما قال السيد الامغاني ؟

الجواب :

ان ما ذكر السيد من آثار الايمان باليوم الآخر وثماره هو بنفسه يدل على ان مراده بالايمان عين ما اراده الامام أمير المؤمنين (ع) بقوله : « بالايمان يستدل على الصالحات ، وبالصالحات يستدل على الايمان » . ومعنى هذا أن العمل الصالح امتداد للايمان ، وان الايمان مصدر العمل الصالح ، وان من يدعي الايمان ولا يعمل فهو اما جاهل بجهله ، واما مخادع كذاب .

وبعد ، فان الايمان الحق باليوم الآخر هو المدد الذي لا ينضب مسينه لكل مكرمة وفضيلة ، والرابط الوثيق بين الله

(١) هذا النص مقتبس من رسالة الرد على الدهريين للسيد المفكر المصلح ، ومنشور في مجلة العربي الكويتية العدد ٢٢٢ بعنوان اثر العقائد الدينية في تقدم البشرية .

والانسان ، ومن لا يؤمن به فقد قطع كل الصلات والعلاقات
بينه وبين خالقه ، وإذا عمل الخير لوجه الخير والانسانية فهو
اجير مأجور ، ما في ذلك ريب ، لقوله سبحانه : « هل جزاء
الاحسان الا الاحسان — ٦٠ الرحمن » . ولكن الاجير المأجور
شيء ، والقريب من الله شيء آخر . وهل كل من يعمل لك
باجر هو قريب منك وحبيب ؟

فلسفة الالحاد في العصر الراهن

كان الناس امة واحدة

هناك نظرية تقول : ان الطفل منذ سن مبكرة يمي ومؤمن فطريا وآليا بوجود قوة عليا يلجأ اليها للحماية وهو يحترمها ويعبدها بطريقة غريزية ، ولكن النظرية الاكثر شيوعا تقول : ان الانسان يولد لا متدينا ولا ملحدا ، وكل ما يملكه من شيء هو الاستعداد لذا وذاك ، وانه يتكيف تبعا لتربيته وبيئته . والى هذا تشير الآية ١٩ من يونس : « وما كان الناس الا امة واحدة — لا ضالين ولا مهتدين — فاختلفوا » . وما اكثر الخلافات والحماقات ! فبعث الله النبيين ليحكموا بين الناس فيها اختلفوا فيه ، وروى صاحب مجمع البيان هذا المعنى عن اهل البيت (ع) في تفسير الآية ٢١٣ من البقرة .

اجل ، لا عذر لذي وعي وعقل في كفره بالخالق ووجوده حتى ولو جهل دعوة الانبياء ما دام لله في كل شيء من أشياء الكون آية تنطق بوجوده وعظمته . فقد نقل ناقل عن كتاب « بحث عن العقل الانساني » للفيلسوف الانكليزي جون لوك ما يلي :

« ان كان الله لم يعطنا افكارا فطرية عن ذاته ، ولم يطبع حروفا أصيلة في عقولنا نستطيع بها أن نقرأ وجوده ، فانه بما أودعه في عقولنا من ملكات لم يجعل وجوده بلا شيء يشهد له ، لان لنا الاحساس والادراك والعقل ، فلا نحتاج الى

برهان واضح على وجوده ما دمننا نحمل ذاتنا معنا ، ولا نحن نستطيع ان نشكو من جهلنا في هذه النقطة ، لان لنا من كثرة الوسائل لمعرفة بقدر ما يلزم للغاية من وجودنا »

اسباب الالحاد

وقد يسأل سائل : اذا كانت الدلائل والآيات البينات على وجود الله سبحانه بهذه الكثرة الكاثرة مع الوضوح والظهور - فكيف انتشر الالحاد في كل عصر ومصر ؟ .

الجواب :

١ - ان مجرد ظهور الدلائل امام الاعين لا يجدي شيئا اذا كانت القلوب والمعتول منصرفة عنها ، قال بعض الفلاسفة : « طالما حدث لي ان اطلقت في كل ناحية لأخذ منظاري وهو امام عيني ، وهذه حقيقة كثيرا ما تحدث للفلاسفة ، فليس في مستطاعنا اذن القول من شخص انه يدرك هذا الشيء لمجرد انه ينظر اليه ببصره » .

فالهم الانتباه والتفكير ، القلب والعقل ، وليس العين وحدها .. واكثر الجاحدين او الكثير منهم في تسفل شاغل بعيشهم عن النظر الى الكون وعجائبه وفظاهه ، ثم الاستنتاج السليم مما يرون ويشاهدون . ومن هنا قال سبحانه اكثر من مرة : افلا تتفكرون ؟ افلا تعقلون ؟ .

٢ - ان بعض الملحدين يعتمدون محاربة الايمان بالله لا لشيء الا لان اسمه دين ا .

٣ — قال آينشتاين : « اشد الامور غموضا في الكون انه غير غامض » . ولعله أراد ان كل شيء في الكون غني وعلمي بتنسيقه وتنظيمه واحكامه ، وهذا ظاهر للعيان ، ولا ينكره جاحد مهما بلغ به انعناد ، امسا الفيوض فنسره ان خالق العالم ليس كمثله شيء ، يرى ولا يرى الا بخلقه وآثاره .

٤ — اقبال الشباب على كل دعوة وفلسفة تقول : لماذا الدين والثواب ؟ ولماذا الإنسانية والقيم الروحية ؟ فعلى الانسان ان يتحرر من كل قنينة وقيد ، وأن يعمل لنفسه في هذه الحياة ، فانها كل الحياة ، واهم المذاهب الفلسفية في العصر الراهن وأكثرها شيوعا واتباعا — تهدف الى هذه الغاية ، وهي اربعة : الوضعية المنطقية ، والبراجماتية ، والوجودية ، والمادية الجدلية ، واذا اختلفت هذه المذاهب في جانب أو أكثر ، فانها جميعا تهدف الى شيء واحد ، وهي ان تجعل الدنيا هي الاولى والاخرة .

وفي الصفحات الآتية نتكلم عن كل مذهب من هذه المذاهب في فصل مستقل ، ونحاول جهدنا ان نعرض أمام القارئ صورة واضحة عنه ، ثم نعقب عليه بما نرى ، وبخاصة فيما لا يلتئم وينسجم مع الاسلام ومبادئه .

الوضعية المنطقية

معناها

المراد بالوضعية المنطقية هنا التجربة العلمية ، وهي تتخذ من شهادة الحواس وحدها طريقا للعلم والمعرفة ومعيارا للحق والحقيقة ، وتنكر وجود العقل بالمعنى الذي نعرفه في مقابل من يتخذون من العقل وحده أداة ووسيلة للعلم والمعرفة ، ولا يثقون بالحواس كطريق الى المعرفة الصحيحة .

وتحجر هذه الوضعية على الفلسفة أن تتحدث عن الكون او الانسان ، وتعطي عنه نظرة شاملة ، او تعبر عن رأيها في اي شيء من اشياء الطبيعيات او الانسانيات ، وتحصر مهمة الفلسفة بتحليل الكلام تحليللا يميز بين ما له معنى ومضمون ، وبين ما هو فارغ عن المعنى والمحتوى بالرجوع الى الخبرة الحسية ، ويأتي التوضيح .

اقسام القضية

تبدأ الوضعية المنطقية بقضية قبلية لا اصل لها ولا اساس ، وهي ان المادة هي الوجود الوحيد ، وعليه فكلية عقل وروح وآخرة وخير وشر ، كل ذلك وما اليه كلام فارغ من المعنى والجدوى تماما مثل كلمة غول وعنفاء والمربع الدور .

ويقسم الوضعيون القضية الى ثلاثة اقسام ، منها متنييه الكلام الفارغ :

١ — القضية الرياضية وهي التي يكون المحمول فيها عين الموضوع بحيث يصدقها السامع بمجرد النطق بها من غير شاهد من خارجها كقولنا : الاثنان عدد زوجي لا فردي ، او يكذبها كقولنا : الاثنان عدد فردي لا زوجي ، وتسمى هذه القضية تحليلية .

٢ — القضية الطبيعية وهي لا تدل بنفسها على صدقها او كذبها ، لان الموضوع فيها غير المحمول ، ولكن السامع يستطيع ان يتحقق ويتثبت : هل هي صادقة او كاذبة بمعونة الحس والتجربة كقولنا : الحديد يتهدد بالحرارة . فهذه جملة صادقة بالملاحظة والمشاهدة ، وعندما نقول : الحديد لا يتسدد بالحرارة . فنبتعد هذا القول كاذبا لانه خلاف الواقع المحسوس . وتسمى هذه القضية تركيبية .

٣ — القضية الفارغة من المعنى وهي التي لا تحمل في صلبها صدقها او كذبها كما هو شأن القضية الرياضية ، وايضا لا يمكن امتحانها واختبارها بالمشاهدة او التجربة كالقضية الطبيعية حيث لا عين ولا اثر لدلولها في الخارج مثل العقل يدرك والروح تشعر ، فهل من احد رأى شيئا اسمه عقل او روح ؟

والفرق بين الكلام الكاذب والكلام الفارغ — ما زال الحديث للوضعيين — ان الاول يمكن ان يكون صادقا بموافقة الواقع ، اما الثاني فلا واقع له على الاطلاق ، فكيف يوصف بصدق او بكذب ؟ واذن هو كلام فارغ . ويتعبير آخر ان التقابل بين الصدق والكذب تماما كالتقابل بين الاعمى والبصير ، فلا يقال هذا اعمى الا لمن شأنه ان يكون بصيرا ، اما

الحجر — مثلا — فلا يتصف بالعمى ، وإن وصفه
واصف بذلك فكلامه لغو وعيث ، وهكذا كلمة عقل
ونفس وخلود وما اشبه في الوضعية المنطقية .

ملاحظات

ويلاحظ على الوضعية والوضعيين :

١ — من البداهة يمكن أنه لا يسوغ لماعقل على وجه
الارض أن يثبت شيئا أو ينفيه بلسان جازم حازم الا
بدليل ، أما أن يثبت أو ينفي بلا دليل ومعرفة فهذا
النفي أو الإثبات هو الكلام الفارغ . . والمعرفة لا
نخلو من أحد فرضين : حسية أو عقلية تبعا لطبيعة
الموضوع ، فإن كان من النوع الظاهر المحسوس
اعتمدنا في اثباته على المعرفة الحسية ، وإن يك كامنا
وراء الحس ، ولا أثر نعرفه له فلا ننفيه ولا نثبت ،
وإن ظهرت آثاره للحواس والعيان انتقل العقل منها
الى وجود المؤثر تماما كما انتقل نيوتن من سقوط
التفاحة على الارض الى وجود الجاذبية .

فالدليل الذي نعتد عليه في اثبات ما غاب عن
الحس هو فعله وآثاره ، وبهذا صرح العديد من
العلماء والفلاسفة ، ومنهم على سبيل المثال آينشتين
الذي قال « هناك عالم موضوعي وحقيقي وراء
الحواس » (١) وفي كتاب المنطق للدكتور جويل

(١) من مقال بعنوان ماخ وآينشتين ، نشرته مجلة عالم الفكر الكويتية في
العدد الثاني من المجلد الثاني .

صليبا ص ٣٩٥ أن جوفروا قال : « أبداً لا نسلم بأن الحقيقة محصورة فيما يقع تحت الحواس من حوائث » .

• ان الانسان يحمل في اعمائه العديد مسن المعاني والفرائز ، ولا احد يجزؤ على انكارها ، لان افعالها وآثارها ظاهرة في كل مجال من مجالات الحياة ومنها قفزة الانسان من الارض الى القمر مع العلم بأن الفرائز والملاكات لا تقع تحت الحواس ، ولا تتكشف بأية وسيلة حتى بالمحليل والمجهر .

• ان هذه الجملة : « اذا لم تكن القضية رياضية أو طبيعية فهي كلام فارغ » التي قالها أنصار الوضعية المنطقية — ليست رياضية ولا طبيعية ، واذن هي كلام فارغ .

أرايت الى هذا التهافت والتناقض من الوضعيين المتجسد في التحذير من الكلام الفارغ بكلام فارغ ، على مبدئهم ومنطقهم ؟ .

بن والقيم الاخلاقية

انصار الوضعية : ان العبارات الاخلاقية لا تحكي موجود في الخارج ، بل هي مجرد انشاء يقال بصيغة لا تفعل ، واي كلام ليس له مدلول محسوس في الخارج الطبيعية ، او دل على نفسه بنفسه كالقضية — فهو كلام فارغ ، وبكلمة ان القيم مجرد امان انسانية ، ولا شأن لها بعلم او فلسفة ! .

الجواب :

ان القيم الاخلاقية تعليم وتوجيه الى حياة افضل ، فاذا كان هذا التوجيه كلاما فارغا فعلياً ان نرفض دعوة الاتبهاء والمفكرين والمصلحين ، وان نهتم المدارس والمسارح والجامعات ، ونلغي جميع الشرائع والارشادات ، ونعيش في الغاب والمغاور مع الوحوش والطيور الكواسر . وهذا بالفعل هو الكلام الفارغ .

فلسفة التحليل

وايضاً حجرّ الوضعيون على الفلسفة ان تحل اية مشكلة او تكشف عن اية حقيقة ، لانها تتعدى الحواس الى ما وراءها ، ولا شيء وراءها الا مضغ الهواء — كما يزعمون — واذا سألهم سائل : وماذا نصنع بهذه الصفحات المسهبية في مجلدات الفلسفة ؟ اجابوه : القها طعماً للنار . وان قال لهم : هل عندكم من بديل ؟ قالوا : اجل ، عندنا فلسفة التوضيح والتحليل .

وخلاصة هذه الفلسفة انها نقول للفيلسوف : اياك ان تتفلسف ، لان الفلسفة ليست ميداناً للعقل والفكر والتأمل . . ابداً لا يحق لك ان تشك وتنتقد وتبدي رأيك في اي شيء ، بل عليك ان تتف موقف الحياد من كل شيء ! . واذا قال الفيلسوف للوضعيين المنطقيين : واذاً فماذا اصنع وانا مثقل بهذه القيود ؟ قالوا له : تحلل وتوضح معاني الالفاظ والمصطلحات التي يستعملها علماء الرياضة مثل نقطة وضلع ومستوى . . وعلماء الطبيعة مثل ذرة وموجة والكثرون . . اجل لا بأس ان تفسر ايضاً العبارات التي يقولها الناس في حياتهم اليومية.

هذي هي فلسفة التحليل عند الوضعيين المنطقيين ، تترجم كلمة الى كلمة أخرى مساوية لها في المعنى ، شأنها في ذلك شأن المعاجم اللغوية .. وحاول زكي نجيب أن يخلق لها امتيازاً ومفضلة على القواميس والمعاجم ، فقال في كتاب خرافة الميتافيزيقا ص ١٤٧ : « ليس المراد بالتحليل الترجمة من لغة العبارة الاولى الى لغة العبارة الثانية ، بل لا بد ان تجيء الثانية أكثر ابرازاً للعناصر التي تنطوي عليها العبارة الاولى » .

وهذا اعتراف صريح بأن التحليل معجم فلسفي تهاهما كقاموس اللغة ، ولا فرق الا في زيادة الشرح والتوضيح .. وهكذا خرج الدكتور من باب القاموس ، وتسرب اليه من النائذة .

والعجيب الغريب في فلاسفة التحليل انهم ينكرون الفلسفة بالفلسفة ، ويذهلون عن هذه الحقيقة : « من أكر الفلسفة فقد تفلسف » !. واعتذر احدثهم بقوله : ان الفلاسفة وعلماء الدين والأخلاق يخطئون في بعض ما يرون ، لانهم يتجاوزون الى ما وراءه ، وتحفظا من الخطأ والأشتباه حصروا طريق المعرفة بالمشاهدة والتجربة ، وعزلنا الفلسفة عن العقل الخالص ، وأخضعناها للتحليل العلمي الحسي .

الجواب :

أيضا علماء الطبيعة يخطئون في تجاربهم الحسية لا لشيء الا لانهم بشر تماما كعلماء الدين والأخلاق ، وما أكثر الأمثلة على ذلك ، ومنها ان المادة كانت في نظرهم صلبة متماسكة ، وانتقوا الآن قولاً واحداً على انها مجموعة من ذرات وكهارب سالبة وموجبة ، ومنها انهم ثاروا على النظرية النسبية ، ثم

أصبحت عندهم قدس الاقداس . قال جون هرمان في كتابه
مدخل الى الفلسفة ترجمة الدكتور ملحم قريمان ص ٧٤
طبعة ١٩٦٣ :

« لا يدعي الأسلوب العلمي (أي الحس والتجربة) العصمة
من الخطأ ، بل هو أبرز ما يتميز به عن الأساليب الأخرى ،
وهذا يفسر تقدم العلم ، اذ من الواضح أن تقدمه لم يكن
ممكنا لو رضي بنتائج التي حصل عليها من قبل ، ولا يمكن
أن تكون ثمة نهاية لعملية اختبار النظريات العلمية وفحصها » .

وتتلخص هذه العبارة بجملة واحدة هي أن المعرفة الحسية
ليست بأفضل من المعرفة العقلية الفلسفية ، وهذا المعنى
ذكره رسل في كتاب الفلسفة بنظرة عصرية ترجمة الدكتور
زكي نجيب محمود ، وأيضا فيه ما نصه بالحرف : « أن احتمال
وقوعنا بالخطأ يظل قائما لاننا بشر غير معصومين ، وللفلسفة
أن ندعي لنفسها حقا ، وهو أنها تحاول أن تحصر امكان
التعرض للخطأ في أضيق دائرة ممكنة ، بل ربما ضيقت دائرة
الخطأ المتحمل الى حد يمكن تجاوزه ، وليس في مقدور البشر
أن يبلغ درجة أعلى من هذه الدرجة في الكمال » .

والاشتراكيون يرفضون فلسفة التحليل ، لأنها لا تصلح
سلاحا نضاليا للثورة الاجتماعية ، بل تقف عقبة في سبيلها ،
أما نحن فنرفضها بالخصوص ، لأنها تكبل العقل وتقيد ،
وأيضا نرفض معها كل فلسفة مادية بلا استثناء ، لأن الانسان
لا يحيا بالعلم المعلمي وحده ، وفي الوقت نفسه نرحب بأية
فكرة تلتصق بالحياة ، وتسير بها الى الرخاء والهناء والحرية
والكرامة والامن والامان لجميع الناس على السواء .

لقد نزل الاسلام من السماء الى الارض لهداية الانسان
وسعادته ، ومن أجل هذا امتن عليه سبحانه بقوله : « ولقد

كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات
وقضيناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً — ٧٠ الاسراء » .
وأيضا من أجل هذا حارب الاسلام الظلم والفقر والاستغلال
والجهل والخرافات ، وكل ما يعوق الحياة عن النمو والتقدم .
هذا هو الاسلام في حقيقته وجوهره ، ومن مُكثّر فيه بعيدا عن
هذه الحقيقة وهذا الجوهر فهو جاهل أو مضلل .

البراغماتية

الرغبة والرغبة

كل انسان يفعل او يترك رغبة في منفعة او رهبة من
مضرة حتى الانبياء كانوا يدعون الله رغبا ورهبا كما في الآية
٩٠ من سورة الانبياء ، ولا ضرر في شيء من ذلك ما دام
الانسان بطبعه وكيانه مطبوعا على الدفاع عن نفسه والعمل
على مصلحتها ودرء الضرر عنها ، وعلى هذا الاساس تقوم
الشرائع والمبادئ السماوية والانسانية .

أبدا لا فرق بين انسان وآخر في العمل لمصلحته ، وإنما
الفرق بين من يعمل لها وهو مؤمن بالتعاون والاخاء والمشاركة
والمساواة ، بل وبالتضحية بحياته لغاية من الغايات النبيلة ،
ويتصرف ضمن هذا النطاق ولا يتجاوزه بحال ، وبين من يعمل
لمصلحته بلا حدود وقيود ، ولا يفهم الا بلغة خذ كل شيء ان
استطعت ولا تعط أي شيء ، فان عجزت فخذ أكثر مما تعطي
تماما كالتاجر . وهذا هو البراجماني كما يتضح بعد قليل .

وبهذه المناسبة نشير الى أن الاسلام ينظر الى العلم على
انه طريق وتخطيط للعمل المطلوب ، والى الايمان على انه
التزام واحساس بالمسؤولية عنه ، ومعنى هذا أن الهدف الاول
لكل من العلم والايمان هو العمل ، وان الايمان وحده أو العلم
وحده تماما كالشجرة بلا ثمرة والمصنع بلا صناعة . . ونندد

سبحانه بمن لا يعمل الا لمصلحته الذاتية بلا قيد وشرط ، ومعتة في الآية ٢٣ من الجاثية بأنه عبد لهواه ، وفي الآية ١١ من الحج بأنه يعبد الله على حرف ، اي على شرط ان يقبض ثمن عبادته في الدنيا لا في الآخرة ، ويدل على ارادة هذا المعنى قوله تعالى : « فان اصابه خير اطمان به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه » .

هذي هي البراجماتية

اصل هذه الكلمة يوناني ، وقد اشتقت من براغما او براجما ، ومعناه العمل .. والبراجماتية في العصر الراهن مذهب او منهج ، ويتلخص بأنه ينكر الواقع وحكم العقل ، ويقيس الحق والصدق والخير والواجب بما يحقق للفرد او الجماعة من ميول ورغبات ، فالشيء الواحد يكون حقا وخيرا بالنسبة الى من يفتنح به ، وشرا وباطلا اذا تضرر منه آخر ، ولا يوصف بشيء ان نسب الى حيادي ثالث لا يضره ولا ينفعه .

ومعنى هذا كله انه لا علم وفكر في الواقع ولا حق وصواب ولا دين وأخلاق ولا خير وعدل .. أبدا لا شيء يوصف بشيء يذكر الا الفعل المحسوس الملموس الذي يجلب نفعا أو يدفع ضرا . وحتى يكون القارئ على علم اليقين من هذه الصورة أو هذا المضمون ، نعرض أمامه طرفا من عبارات البراجمانيين بحروفها .

من اقوال البراجماتيين

قال الدكتور زكي نجيب محمود في كتاب حياة الفكر في العالم الجديد ص ١٩٤ : « ثلاثة عمالقة خلقوا الفلسفة البراجماتية خلقا ، واشاعوها في أرجاء العالم طرا بحيث لم

بعد في وسع مثقف الا ان يتابعهم في نتائجهم قبولاً او رفضاً ،
وهؤلاء الثلاثة هم بيرس وجيمس وديوي .

وفي ص ٢٠٢ وما بعدها من الكتاب المذكور : « المنهج الذي
بنى عليه ديوي تفكيره هو أن العقل في سلوك الانسان ذو طابع
معين ، وليس هو الكائن الروحي الكامن في الجسم كما يقول
المثاليون . . ان كل فكرة هي عين الفعل والسلوك المحسوس ،
والفكرة الصائبة هي التي تنتهي بنا الى ما نبتغي ، والفكرة
الخاطئة هي التي لا تؤدي الغاية المقصودة . . أبداً يستحيل
فصل الفكرة عن التطبيق العملي » .

ومعنى هذا بصراحة أن العقل والفكر جزء من السيارة
والطائرة والسفينة ، وليس في دماغ المصمم والمخترع تماماً
كالباب والدولاب ، ووجه من وجوها كالداهان والالوان ! .
وأيضاً معنى هذا أن التخطيط والتصميم ليسا علماً بل ولا شيئاً
حتى ولو كان صحيحاً الا ان يبرز للوجود والعيان ، وكذلك
أفكار العظماء المصلحين الا اذا سمع الناس لهم وأطاعوا ! .
وايضاً معنى هذا انه لا فرق بين الجرائم عن سهو ونسيان
وعن قصد وعمد ما دام الفعل من حيث هو يوجب المؤاخذه
والعقوبة (١) واشتهر عن الرئيس الأمريكي السابق ايزنهاور
انه قال : اذا كانت القنبلة الذرية تحقق لي النصر في الحرب
فان استخدامها حق وواجب ! . وايضاً شاع عن موسوليني
قوله : لقد افادتني البراجماتية ، والفاشية تدين لها بنصيب
كبير .

(١) قانون الولايات المتحدة يدين رب العمل في كل ضرر يحدث للآخرين حتى
ولو كان الضرر ناتجاً عن سبب آخر ، لا يمت الى رب العمل والآلات وادواته
بسبب ترويب أو بعيد .

هذي هي ثمار البراجماتية : فاشية دكتاتورية ارهابية ،
وامبريالية تمثل أعلى مراحل الرأسمالية الاحتكارية .. ولا
يباركها الا جاهل بسماتها وعوراتها ، أو نازي فاشي .

وايضا جاء في كتاب حياة الفكر ص ١٧٨ وما بعدهما :
« قال جينس : كل ما يؤدي الى النتائج المرجوة فهو حق ،
وكل ما لا يؤدي الى هذه النتائج فهو باطل .. ان كلمة الحق
وكلمة النفع مترادفتان ، فنقول عن فكرة : انها حق لانها
نافعة ، وانها مائعة لانها حق ، والقولان في المعنى سواء ..
وايضا هذا هو معيار الأخلاق ، فالذي يجعل الفعل مفضلة
هو انه فعل ناجح » .

وفي كتاب فصول في الفلسفة للفيلسوف جود ترجمة عطية
محمود وماهر كامل ص ٢٦٧ طبعة ١٩٥٦ : تقول البراجماتية :
« الاعتقاد الصادق باختصار هو النافع فقط فيما يتعلق
بالفكر ، كما أن الصواب هو النافع فيما يتعلق بالسلوك .

أرايت الى هذا المنطق ؟ كل شيء مباح ، بل هو خير
ومفضلة وحق وحقيقة وصدق وعدل ما نمت قادرا عليه ! .
ولماذا ؟ أبدا لا لشيء الا لان الحياة فريسة الغانم تهاها كحياة
الوحوش في الغاب ، اما القيم والأخلاق فكلهم فارغ ! واذن
نعلن الانظمة والشرائع ؟ .

لقد اتفق اهل العصور على مجموعة من القيم لان حياة
المجتمع لا تستقيم بدونها ، ولكن البراجماتية تقول : ولماذا
المجتمع والجماعة ؟ فالهم حياة الأقر « الأقدر » اما أصوات
الضعفاء وأنين البؤساء فانها تذهب مع الرياح . ومثلها تماما
عقول العاقرة الا أن تمد الجسور ، وتشيد القصور .

ونحن ايضا نقول : ان العلم بلا فاعلية وعمل ليس بشيء ، حيث لا حياة ولا حضارات إلا بالكفاح والنضال ، وان على الانسان أن يعمل من أجل مصلحته ومنفعته .. وفي نفس الوقت نؤمن بالقيم وحكم العقل ، لان العلم بلا عدل كارثة ، والعمل بلا ضمير سلب ونهب ، ولكن البراجماتية تقول : المهم هو النجاح ، ومتى تحقق صار حقا وعدلا حتما وبالضرورة من أي سبيل كان ويكون ، أما العدل والضمير فكلام فارغ . ومن هذه الفلسفة وأخواتها انطلقت قوى الشر بأسلحتها وثروتها الى أن تفرض سياستها ، وتملي أرائها على كل شعب اقل منها قوة وأضعف صناعة .

ومن جملة ما قرأت أن احدى الشخصيات البارزة في الولايات المتحدة قال ما نصه بالحرف الواحد : « نحن أكثر الدول انتاجا ، وأقواها رأسماليا ، وأغناها آليا ، وعلمنا اذن ان نحزم أمرنا كي نملك غالبية الاسهم في كل الشركات الكبرى التي يطلقون عليها اسم العالمية ، ولا ينبغي أن يكون ذلك الى أجل مسمى ، بل الى الأبد » .

هذي هي البراجماتية نصا وروحا ، وهي في العصر الراهن الاقوى والأعظم حيث تنفذ أحكامها بالسلاح الأشد فتكا والأكثر تدميرا .. من الصواريخ الموجهة الى القنابل النووية ، ومن حرب العقول الالكترونية الى المواد السامة .. الى ما لا نهاية من سلاح جديد أقوى وأمضى .

وان سأل سائل : أين الحق والعدل والدين والضمير ؟ فجوابه : في الأسلحة الجهنمية . وان قال : كيف ؟ واين هيئة الامم ومجلس الامن ؟ فجوابه : تحت أقدام الصهيونية والشركات الاحتكارية .

الوجودية

كتاب المذاهب الوجودية

وضعت كتابا صغيرا في الوجودية ، نشرته دار التعارف ببيروت ، وفي مكتبي لسارتر نبي الوجودية في العصر الراهن ثمانية كتب مترجمة الى اللغة العربية ، ومنها الكتاب الضخم : الوجود والعدم ٩٩٢ صفحة ، اضافة الى ما قرأته عن الوجودية في الصحف والعديد من الكتب .

وحين عزمت العودة الى الوجودية في هذا الفصل ، بحثت في المكاتب عن مصدر آخر ، عسى أن يزيدني علما بها ، او يصحح من فهمي لها ، فعثرت في بعض المكاتب على كتاب في ٣٣٤ صفحة ، اسمه المذاهب الوجودية تأليف (ريجيس جوليفيه) ترجمة فؤاد كامل ، فاشتريته وقرأته ، وما زاد في خبرتي الا من الناحية التاريخية : متى وجدت هذه الفكرة ؟ وكيف تطورت ؟ لان خطة الكتاب — كما يبدو — تاريخية ، وليس هذا من همي واهتمامي ، وكل ما ابتغيه ان اعرف الوجودية كما هي في اذهان شباب اليوم لاخطبهم بلغتهم .

الوجودية واللامعقول

وذكر جوليفيه في مقدمة كتابه المذكور ، السبب الموجب لفلسفة اللامعقول كالوجودية واخواتها ، واطال الكلام ،

ويمكن تلخيصه بما معناه أن كل أنظمة هذا العصر ، وكل الأدوار التي تلعبها قوى الشر من إثارة الحروب والسيطرة على الأقوات والمقدرات وتشكيل العقول بالاعلان الكاذب والدعاية المضللة ، كل أولاء وغيرها كثير — بعيدة أقصى البعد عن العقل والمعقول ، وأذن فلا بدع أن يثمر مثل هذا المجتمع تفلسفا أو أدبا غير معقول .

وفي الترجمة العربية للموسوعة الفلسفية الصادرة في موسكو سنة ١٩٦٧ : « الوجودية رد فعل لا عقلاني ظهرت بعد الحرب العالمية الأولى في ألمانيا وبعدها في فرنسا وبعد الحرب العالمية الثانية في بلاد أخرى ، منها الولايات المتحدة ، وقد أثرت تأثيرا كبيرا على الفن والأدب الحديثين في المجتمع الرأسمالي وفي الإطار العقلي لقطاع كبير من المفكرين » .

وقال جوليفيه في ص ٢٤ وما بعدها : « لقد بدا عالم اليوم وكأنه قد أسلم نفسه للجنون ، ولاح كابها الكون قد فقد معناه ، وأن الحياة باطلة ، وأن الكون خال من اله . . فمس الناس طائفت من جنون ، وأنكروا العقل والقيم الأخلاقية وسهو الإنسان . . وهذا كله قد قياً جواً للتردي في مهاوي اليأس والفوضى . . والدفاع عن الكذب والنفاق ، وانحطاط الأخلاق العميق الذي نشأ عن شيوع السوق السوداء والاتجاهات المضطربة في عصرنا » .

ومن هنا تفجرت ثورة الشباب سنة ١٩٦٨ في أمريكا وأوروبا على الأوضاع ، واهتز لها ضمير العالم كله ، وكان مع هذا الانفجار اضرابات عمالية في أمريكا وإنكلترا وإيطاليا واليابان وغيرها . وأدب اللامعقول وفلسفته نوع من هذا الانفجار والاضراب « لولا أنه غير معقول » وكثيرا ما يقال أدب الرفض أو فلسفة الرفض بدلا من كلمة اللامعقول ، بل تسرب هذا

الرفض أو اللامعقول الى الموسيقى ، على ما قرأت لاني افقد حاسة التمييز بين المعقول من الموسيقى وغير المعقول .

الوجودية منهج لا فلسفة

في القديم كانت الفلسفة مرادفة للعلم بمعناه العام ، ثم انفصلت عنها العلوم واستقلت ، فتمددت الفلسفات وتباينت ، كما رايناها في العصر الراهن ، وتعذر تعريفها على وجه شامل وكامل .. وقد عرفها كل فيلسوف من خلال الفلسفة التي يأخذ بها .

وقال رسل في جواب من قال له ما هي الفلسفة : « هي ما لا نعرف ، لأن المسائل تنقل باستمرار من اختصاص الفلسفة الى اختصاص العلم كلما تقدمت المعرفة ، اي ان الشيء المثبت بالحس يخرج من الفلسفة الى العلم » .

ولعل اقرب تعريف للفلسفة بالمعنى الحديث ان يقال : انها تبحث الموضوعات التي لا تبحثها العلوم الطبيعية ولا العلوم الرياضية ، كعلم ما وراء الطبيعة وعلم النفس والأخلاق .. ومهما يكن فان الوجودية ليست فلسفة ، وانما هي منهج خاص ومحدد لنشاط الانسان الفرد وتصرفاته ، ويتضح ذلك فيما يأتي ، وكان بعض اقطاب الوجودية يأبى ان يقال له : فيلسوف .

الوجوديون المؤمنون

قسم الباحثون ، الوجوديين الى معترفين بالله وجاحدين به .. وبعد ان تتبعت وقرأت اقوال هؤلاء واولئك انتهيت الى ان الجميع بمنزلة سواء من حيث اللامنطق واللامعقول

لان الوجوديين بالكامل يتخذون من ارادتهم وعاطفتهم مقياسا لكل حق وحقيقة ، ولا يعترفون بحكم العقل ولا بنظام او شريعة ارضية كانت ام سماوية ، وعلى سبيل المثال ، ننقل العبارة الآتية لكيركجورد ، وهو من الوجوديين المؤمنين ورائد من رواد الوجودية المؤسسين ، قال ما نصه بالحرف :

« ان النتائج التي نتوصل اليها العاطفة هي وحدها الجديرة بالثقة ، وهي وحدها الكافية في البرهنة » . (من كتاب المذاهب الوجودية ص ٣٩) وفي ص ٤٢ « لماذا اقامة البرهان ؟ .. فان الذي يصدق الحقيقة ، ويقبلها ليس هو العقل الخالص ، بل الانسان الموجود من حيث هو موجود » . يريد من حيث هو حر في فعل ما يشاء بلا رقيب وحسيب .

وقد يصح الايمان عن عاطفة وتقليد اذا كان انعكاسا عن الحق والواقع ، ولكنه لا يجدي شيئا اذا اتخذ المقر بالله من عاطفته وارادته وحرите شريعة للحق والعقل .

الوجودية المعاصرة

وتتلخص الوجودية المعاصرة التي يتعلق الكثير من الشباب بأذيالها — كالآتي :

١ — ان كل فرد من افراد الانسان هو قلعة في نفسه ، وله ان يتصرف وكأنه هو الموجود الوحيد والشئ المائل امامه ، بلا اي شيء كان قبله .. لا خالق ولا شريعة وقانون ، بل لا بشرية ، وتاريخها يتصل بحياة الانسان الموجود بالفعل من قريب او بعيد ، لان الصدفة وحدها هي التي القت به في هذا الوجود القاء ، وتركته وحيدا غريذا لا شيء معه الا حرينه

وارادته ، فهي الحد التام لحقيقته ، والمعيار الوحيد لقيمتها ، وليس ثمة أية قوة وسلطة تحرم عليه أو نحلل له تصرفا أو اعتقادا واتجاها .

٢ — على كل انسان أن يتحرر ويعيد النظر في المجتمع الانساني الذي يعيش فيه ، ولا يلتزم بشيء من التقاليد والعقائد والفلسفات ، لانه مطلق الحرية في اختيار ما يشاء حتى الانتحار ، ولا يؤاخذ بشيء أو يسأل عما يفعل بشرط واحد ، وهو أن لا يعتدي على حرية الآخرين حرصا على حريته هو بالذات .

٣ — ان وجود الانسان في هذه الحياة يرادف اليأس والخوف والتلق والقرص والاشمئزاز والضياع والعبث والتضخم السرطاني والنزيف وفوق ذلك من الآلام .. ولماذا كل هذه الويلات والنكبات والأزمات ؟ أبدا لا شيء الا لأن العالم وجد بلا علم ولا حكمة ولا قانون الا قانون أنه لا يستطيع الا أن يوجد والا أن يفترس كل من فيه وما فيه (١) .

تساؤلات

أبدا لا أرد على الوجوديين بأن مذهبهم هذا خفر والحاد ، وان الايمان بالله يجعل لحياتنا معنى ومن وجودنا قوة ، وانه تعالى قد جعل الدنيا لما بعدها ، وابتلى فيها أهلها ليرى أيهم أحسن عملا ؟ ولا أن أقول للوجوديين : كيف وجد هذا الكون ؟

(١) انظر رواية الغثيا لسارتر ص ١٤٥ وما بعدها والمذاهب الوجودية ص ١٢١ ومقال بعنوان أمراض الفكر في القرن العشرين في مجلة عالم الفكر الكويتية العدد الاول من المجلد الاول .

ومن نظم واحكم ؟ بل اريد ان اتجاوز ذلك الى التساؤلات
الآتية :

اذا كان الكون والانسان والحياة عبثا في لغو وهباء وخواء .
نما هي اذن حقيقة الوجودية ؟ وهل للفرع مصدر الا اصله ؟
وهل الوجودية دعوة اصلاحية او نظرة انسانية الى البائسين
والمعذبين او نظرية علمية ينتفع بها الناس جيلا بعد جيل او
مسرحة للترفيه والتسلية او مجرد فلتة من اللامفهوم
واللامعقول ؟ ثم اذا حررنا الانسان من سلطان العقل وكل
القيم ، وعزلناه عن تاريخ البشرية ونراثها وخلالها . فهل
يبقى له من كيان ووجود ؟ واخيرا ان الحرية لا بد منها ولا غنى
عنها ، ما في ذلك ريب ، ولكن لا بد للحرية أيضا من ذات
تتصف بها ، والفرض انه لا شيء الا العث والضياع ، وعليه
فالحرية مجرد ضياع وخداع !.

وهكذا انكر الوجوديون كل قيمة حرصا على الحرية .
فدمروها وقضوا عليها من حيث يريدون أو لا يريدون ، راوا
الاضاع الفاسدة والسياسة الجائرة والدعايات المضللة
والمجازر التي ائنتت الملايين ، فخرجوا على كل تقليد ، وحكموا
على كل نظام بانه كذب ، وعلى كل قيمة بأنها خرافة ، وعلى
كل دعاية انها مصيدة ، وقالوا : ما دام الامر كذلك ، ولا
طبيب وشفاء فليكن كل فرد امة براسه وعالما بنفسه ، يتولى
أمره كيف يشاء ، ويختار مصيره كما يريد غير مكترث بشيء
على الاطلاق .. فهدموا وما بنوا ، وفرقوا وما جمعوا ، بل
زادوا الخرق انساعا والنار تأججا .

المادية الجدلية

ماركس والفلسفة

قال قائل : ان ماركس ليس فيلسوفا ، بل عالما اجتماعيا .
والصحيح انه غيلسوف حاول أن يكشف عن حقيقة العالم
وطبيعة الانسان وأن يحل المشكلات الاجتماعية ، ولكن فلسفته
تنطلق من المادة وانها هي الموجود الوحيد والواقع الأزلي
الأبدي ، وان ما عداها من عقل وعاطفة واحساس ، هو من
آثارها وانعكاس عنها .

وايضا كل ما في الطبيعة من حركة ونظام وتدبير هو من
صنع المادة واعماقتها ، ولا يمكن أن يكون من خارجها بحال
من الاحوال ، وعليه فيجب أن يفسر الكون بجميع ما فيه ومن
فيه تفسيراً مادياً لا عقلياً ولا دينياً ، ومعنى هذا أن المادة تعي
وتفسر نفسها بنفسها ، وانها هي المدرك والمدرك .

هذا ما قاله ماركس والماركسيون . ولا أدري من أين جاءهم
هذا العلم ؟ هل هو من وحي عقولهم ؟ والفرض — على
منطقهم — أن عقولهم صورة عن المادة الصماء العمياء ، فكيف
وعت ورات واحست ونطقت صورة الشيء الأعمى والأبكم
والأصم من دونه ؟ علما بأن صورة العاقل الناطق والمبصر لا
تعقل ولا تبصر ولا تنطق ، فكيف انعكس الامر في المادة ؟ .

لقد اثبت العلم الحديث ان هذه المادة الني تظهر للعيان جسما صلبا كالحديد وغيره ، هي في واقعها عبارة عن ذرات منحرك وتسير في الثانية بسرعة ٢٩٠ ألف كيلو متر بالنسبة الى عالمها ، وان فيها جذبا ودفعاً وحرارة وكهرباء .. هذا كل ما يعرفه علماء الطبيعة عن المادة ، اما حقيقتها فهي من الالغاز الني اعترف العلماء بالعجز عن حلها .

وسبقت الاشارة الى الرد على المذهب المادي في فصل « المادية والواقعية والمتالية » وغيره ، ولا موجب الى الاعادة والتكرار الا من باب الكلام يجز الكلام .

الجدل الهيجلي

يرى هيجل أن الروح او الفكر المطلق هو الاصل السابق على وجود المادة ، وهي متأخرة عنه وانعكاس له ، على العكس من قول ماركس بأن المادة هي الاصل والكل في الكل ، ويكشف هذا الفكر عن نفسه في ثلاث مراحل من التغير والتطور :

الاولى تكشف عن بعض صفاته ، وقد عبر عنها بعض الفلاسفة بالوضع ، وآخر بعنصر التفكير . والمهم أن نعلم أن الفكر الاصل والاول كان ينطوي على نقيضه ، وأنه ليس واحدا في الظاهر والباطن ومن كل وجه .

المرحلة الثانية لظهور هذا الفكر المطلق الذي لا يقع تحت الحس ، في صورة الطبيعة المحسوسة الملموسة ، اي ان الفكر قد تهمص في ضده المبين له ، وبهذا يجتمع النقيضان في كائن واحد : الفكر المطلق والطبيعة .

المرحلة الثالثة هي مرحلة الدمج والنصالح بين الضدين حيث يصبح كل منهما وجهاً لشيء ثالث نتيجة التضاد والصراع .

وعلى سبيل التقريب الى الفهم نضرب مثالا بالبيضة ، فهي بوضعها الفعلي ليست دجاجة بل ضدا لها ، وكذلك الدجاجة بوضعها الفعلي ليست دجاجة بل ضدا لها ، وكذلك الدجاجة تكمن في أعماق البيضة والا يستحيل أن تخرج من البيضة اذا لم تكن هذه منظوية على تلك ، اما عملية الصراع فتتمثل في أن الدجاجة الكامنة في قلب البيضة تحاول بطبعها الخروج منها في نفس اللحظة التي تحاول البيضة بطبعها أيضا أن تحتفظ بكيانها واستمرار بقائها كما هي ، ويمتد هذا الصراع الى أن تتحول البيضة الى دجاجة تكمن فيها البيضة ، وعندئذ تتم المصالحة ، ويجتمع الشمل .

وبتعبير أجمع وأبلغ « أن الديالكتيك الهيجلي يقوم على ثلاثية الموضوع ، ونقيض الموضوع ، ومركب الموضوع ونقيضه » .

واشتهر عن هيجل أنه قال : « ما هو واقعي هو عقلي ، وما هو عقلي هو واقعي » . يريد أن كل واقعة ملموسة هي داخلة في صميم الفكر والعقل ، وأن بدت بعيدة عنه ، وأن كل حقيقة عقلية هي واقعية ولها معنى معقول ومقبول ، وأن لم يكن محسوسا ولملموسا ، ولا شيء على الإطلاق من أحكام العقل وحقائقه كلام نارغ من المعنى .

ونحن مع هيجل في فلسفته التطورية ، وضده في أن العلم المطلق أو المبدأ الأول يكن في الطبيعة ويستقر فيها بصورة من الصور ، لأن الأول الذي لا أول له فوق الطبيعة ومباين

لها ، ولا صلة بينهما الا علاقة المسبب بالسبب والآخر
بالمؤثر ، وللحديث عن هذا الموضوع مكان آخر .

الجدل الماركسي

واستغل ماركس فلسفة هيغل التطورية بعد ان جعل
عاليها سافلها حيث انتقل هيغل من الفكر الى المادة ، أما
ماركس فقد انتقل من مادة الى مادة ، واشتهر عنه انه قال
بها لفظه أو معناه : « اوقف هيغل الجدل على راسه ، وانا
اوقفنه على رجليه » يريد بالراس هنا المادة لانها الاصل ،
وبالقدمين الفكر لانه الفرع عن المادة في منطق ماركس .

وتجدر الإشارة الى أن الديالكتيك مرادف للجدل الذي لا
يراد به هنا فن المناقشة ولا الحركة بانتقال الشيء من مكان
الى مكان ، بل المراد بالجدل هنا الحركة بالتغير وانتقال الشيء
من حالة الى ضدها كانتقال النواة الى الشجرة والبيضة الى
الدجاجة ، وهذه الحركة أو هذا الانتقال يعم ويشمل كل شيء
« من حبة الرمل الى الشمس ومن دودة الأرض الى الانسان »
على حد تعبير جارودي الماركسي في كتابه النظرية المادية في
المعرفة .

وخلصاً المادية الجدلية عند ماركس ان المادة هي الموجود
الوحيد ، ولا شيء قبلها ولا بعدها ، وكل ما يسمى عقلا وروحا
وعاطفة وحياة وغريزة فهو من ثمار المادة وآثارها كما سبقت
الإشارة ، أما ما في الطبيعة والمادة من تطور وتغير ونظام
وقوانين واحكام وتدبير ، أما كل ذلك وغير ذلك فهو من صنع
المادة وباطنها ، وليس من خارجها على أي فرض من
الفروض !.

نحن والمادية الجدلية

ونحن نتفق مع منطق الجدل الذي يدعو الى تجنب الاوهام والخرافات ، وايضا نحن معه في نظرية الانتقال والتحول ، ولكن نقول : ان الشيء ينطوي على ضده بالقوة لا بالفعل ينص القرآن الكريم في الآية ٨٠ من يس : « الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا انتم منه توقدون » . وفي الآية ١٩ من الروم : « يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي » . الى العديد من الآيات والروايات الاسلامية في هذا الباب .

وفي المجلد الاول من أسفار الملا صدرا فصل مستقل أثبت فيه أن كل اشيء الطبيعة تتجدد وتحرك ، وأن الحركة « عبارة عن خروج الشيء من القوة الى الفعل تدريجا » كخروج الدجاجة من البيضة . وايضا قال : « الانسان يترقى دائما وهو لا يشعر بذلك ، ونقل في هذا الفصل عن ابن العربي ان الموجودات بكاملها تتحرك دنيا وآخرة » .

ونحن وهذه المادية الجدلية على طرفي نقيض ، لانها تتخذ من المادة إليها واحدا ، وبها وحدها يفسر الكون بجميع محتوياته من عقل وقصد وحرية واردة وقوى واكتمال ونواميس ونظام وحكمة وتدبير ! .. ونحن لا نملك اية أداة ووسيلة للادراك والمعرفة في هذا الموضوع الا بديهية العقل ، وهي تأبى وترفض تفسير الكون بنفس الكون لمجرد أن المفسر لا يعرف شيئا عن علته .

وبعد ، فقد كررنا فيها سبق ونعيد الآن كلمة فولتير : « ان فكرة وجود الله فرض ضروري ، لان الفكرة المضادة حماقات »

وهو سبحانه وراء الكون يديره ويديره بما أودع فيه من قوانين كونية ، يسر في حدودها كل ما فيه ومن فيه الى الهدف المطلوب منه من الذرة الصغيرة الى المجرات الكبيرة .

المادية التاريخية

ولا فرق عند الماركسيين بين المادية الجدلية والتاريخية من حيث أن كلا منهما مادية مقابلة للمثالية ، وانما الفرق بينهما ان المادية الجدلية تعم وتشمل كل الظواهر بشتى انواعها كما سبقت الاشارة ، اما المادية التاريخية فانها تختص بالظواهر الاجتماعية ، ويردها ماركس بالكامل الى دوافع واسباب اقتصادية خاصة ، قال في مقدمة كتابه نقد الاقتصاد السياسي : « ان كل حركة من الحركات الاجتماعية والسياسية والروحية ، تتبع نمط الانتاج الاقتصادي » . (المعجم الفلسفي للدكتور صليبا م . د . ي . ١٠) .

ونسأل ماركس واشياعه : ما رايمهم بشهداء العقيدة والحرية ؟ هل استشهدوا في سبيل المدة او من اجل الايمان والكرامة ؟ وبأي شيء يفسرون اريحة الجود والكرم وعاطفة الآباء والأمهات والصوفية والتصوف ؟ وفي سنة ١٩٣٦ تنازل ادوار الثامن عن عرش الامبراطورية البريطانية من اجل امرأة اسمها واليس .

وفي كتاب فلاسفة الحكم للعقاد ص ١٤٨ : « الذين يقولون : ان الانسان يعمل لطلب المنفعة يجهلون انه يقدم على الخسائر وهو عالم بها ، ويهون عليه الموت ، ولا يهون عليه فوات امل من الآمال ، والذين يقولون ان الانسان يعمل ليعيش ينسون أن يسألوا أنفسهم : ترى لماذا يحرص على أن يعيش ؟ فما صلحت الحياة قط على علة واحدة ولا الدنيا قط على فكرة واحدة » .

الطبقة العاملة والرأسمالية

قال ماركس : ان الصراع بين الطبقة العاملة والرأسمالية حتم لا مفر منه ، وان الظفر بالعقبى السائلة الدائمة هي للعمال حيث سيكونون هم انفسهم اصحاب الاموال لا محالة ..
ويلاحظ :

١ — لا عين ولا اثر لهذا الصراع في العديد من البلاد الرأسمالية ، لان ارباب العمل استجابوا لمطالب العمال ، وتسم بينهما التعايش السلمي ، وعاش العامل في مستوى يغبطه عليه عمال البلاد الاشتراكية .

٢ — ان الحق لو العدل او القانون لا يملك بذاته اية قوة تمكنه من التحقيق والتنفيذ ، وانما الانتصار والغلبة لمن يملك القوة والقدرة على البقاء محقا كان أم مبطلا .. وعليه فنبوءة ماركس بأن الطبقة لا بد ان تنتصر ، وان النظام الرأسمالي لا بد ان يندثر — مجرد امان وخيال .

٣ — ان الجدل والديالكتيك لا يتقدم دائما بالمجتمعات الى الامام والحياة الافضل فقد ترجع القهقري بالانقلابات الرجعية ، ومنها اختلاف الدول الاشتراكية الذي بلغ اليوم أشده بين روسيا والصين ، ومن قبل بين تيتو وستالين ، أما الغد فهو طي الكتمان .

المال شيء وليس كل شيء

هذا الفصل

تحدثنا في الفصل السابق مباشرة حول المادية التاريخية ، ونقلنا عن كتاب نقد الاقتصاد السياسي لماركس أنه يرد النشاط البشري وجميع الاعمال الانسانية الى دوافع وأسباب اقتصادية خاصة ، ونحاول في هذا الفصل ان نثبت ان الاقتصاد والمال وحده لا يحل كل مشكلة تواجه الانسان ، ولا يحقق كل ما يبتغيه من حياته ، فهناك التمتع بالصحة والامان ، والتربية السليمة ونمو الشخصية وتطورها ، وتكافؤ الفرص بين الناس والقانون العادل الذي يخضع له الحاكم والمحكوم ، ويضمن الحرية لكل الافراد والمشاركة في توجيه وطنهم الى خير الجميع .

لا بد مع الخبز من ادام

ومن يشك في ان الاقتصاد من اهم عناصر الحياة ومقوماتها ؟ كيف ؟ وهل للحياة غنى عن الخبز ؟ ولكن الخبز شيء وليس كل شيء .. وما من عاقل يجرو على القول بأن المال والانتاج يحل جميع العضلات بشتى اجناسها وانواعها ، بل اذا تضخم وتراكم خلق لاهله عقبات وصعوبات .. فقد تقدم العلم ووسائل الانتاج في العصر الراهن ، وتضاعفت المواد الاستهلاكية كما وكيفا ، فماذا كانت النتيجة ؟.

تحول الانسان الى آلة تستهلك ، وأصبح عبدا لها بعد ان كانت وصيفة له ، وضاعت جميع القيم النبيلة للانسان .. كل شيء متوافر وميسور في الولايات المتحدة .. وايضا كل انواع الرذيلة والجريمة والفسوق والفساد متوافرة ومتكاثرة، وكلما زاد الانتاج والثراء في هذه الولايات زادت الجرائم والمآثم .

وايضا زاد الانتاج والاقتصاد في البلاد الاشتراكية ، ولكن اهلها يشتررون الخبز بالحرية ، ودولها تتعايش بسلام مع حماة الشركات الاحتكارية العالمية ، وتتسلل من خلف هذا التعايش الى زيادة السلب والاستغلال ، واثارة الفتن والمعارك الأهلية وغير الأهلية هنا وهناك ليصفو لها الجو وتتصرف كما تشاء بلا حسيب ورقيب .

وفي المقابل لهذا التعايش والتقارب بين النظام الاشتراكي والراسمالي ، نرى التباعد والعداء اللاهب بين اكبر وأعظم دولتين اشتراكيتين : روسيا والصين ! فأين المباديء والمقاييس ؟ وكيف صار العدو المشترك صديقا ، والصديق عدوا ؟. الصين تلتصق بالولايات المتحدة قائدة الاستعمار الحديث ، وتلتقي معها على صعيد واحد ، وتبتعد عن الروس .. وهؤلاء يتعايشون مع الامريكيين من دون الصين !.

وفي تصوري ان هذه الجريمة الاشتراكية الروسية الصينية تعادل كل الجرائم مجتمعة ، وتتضاعف أمامها جرائم البلاد الرأسمالية بالكامل .. واذا لم تكن هذه الرذائل والويلات في بلاد النظامين من نتاج المال ونمو الاقتصاد شيئا — فان هذا النمو لم يغن عن الموبقات والمشكلات التي يعانيها الفريقان — .

مقياس الحضارة

نشرت جريدة الاهرام المصرية في عددها الصادر بتاريخ ١٢/٤/١٩٧٤ مقالا بهذا العنوان . ولا يريد الكاتب بكلمة الحضارة هنا مجرد التقدم في التصنيع واختراع الآلات وتشديد القصور والحدائق وشق الطرقات ، بل والثقافة والوعي ومكارم الأخلاق والحياة الوادعة الهادئة ، كما اشرنا في الفقرة الاولى ، وكل محتويات المقال تدخل في صلب الموضوع الذي نحن بصدده .

منها ان جماعة من ذوي الكفاءة والاختصاص اجتمعوا سنة ١٩٧٤ وبحثوا عن معيار يقيسون به الهم تقدما وتخلفا ، وانتهوا الى أن المجتمع الانساني لا يحيا حياة العزة والكرامة بالاقتصاد والدخل وحده ، بل لا بد مع ذلك من التعاضد والتعاون بين جميع افراده وفئاته على ما فيه خير وصالح لكل المواطنين من غير فرق بين انسان وانسان .

وكان من جملة ما قاله اولئك العلماء الباحثون : ان دخل افراد المجتمع قد يتغير من حين الى حين ، فهل يدل هذا التغير على تغير حياة المجتمع في تقاليده وعاداته ؟ وايضا قد يختلف دخل الفرد ويتفاوت بين بلد وبلد ، فهل يكون التفاوت بينهما في الحياة الكريمة بمقدار التفاوت في الدخل والاقتصاد ؟

لقد جرت مقارنة احصائية سنة ١٩٧٣ بين عدد من البلدان ، فكان دخل السويد أعلى مستوى من الولايات المتحدة ، وبعدها جاءت كندا ، فسويسرا ، ففرنسا ، فالدنمارك ، فالمانيا الغربية الخ . ثم هبط الدخل في بعض هذه البلاد ، وارتفع في بعضها الآخر ، ولكن الدين والاخلاق

والاداب بقيت على ما كانت دون تقليم او تطعيم ، ومعنى هذا أن الصلة والعلاقة بين الحياة المادية والحياة المعنوية ، ليست كعلاقة المعلول بعلمته التامة ، والمقدمات الكائنية الوافية بنتيجتها الحتمية كما يدعي ماركس وماركسيون .

الاسلام بين اليمين واليسار

يدعي اليمينيون أنهم أنصار الحرية ، وعلى هذا الاساس اختاروا النظام الرأسمالي ، ويدعي اليساريون أنهم أنصار العدل ، ومن أجله حبزوا النظام الاشتراكي ، والاسلام يجمع بين الحرية والعدالة ، ومن هنا أقر العدالة الاجتماعية ، واليه أشار الرسول الأعظم (ص) بقوله : كلكم راع ، وكلكم مسؤول عن رعيته .. المؤمنون كالجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى سائر الاعضاء .

وبما أن التقسيم الى اليسار واليمين يقوم على أساس حرية التصرف في كسب المال وامتلاكه وادخاره أو عدم هذه الحرية — نشير الى أن الاسلام يحترم الملكية تماماً كما يحترم الدماء ؛ قال الرسول الأعظم (ص) : « دماؤكم وأموالكم عليكم حرام » ولكن الاسلام ينظر الى المال على أنه وسيلة لسد الحاجات الضرورية والكمالية ، وما زاد فهو اسراف وتبذير محرم لقوله تعالى : « ولا تبذروا تذبذرا ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين — ٢٧ الاسراء » .

وايضا حرم الاسلام الاستغلال والاحتكار وقال : « من احتكر طعاما يريد به الغلاء فقد برىء من الله ، وبرىء الله منه » . وأحل الاسلام الامتلاك وادخار الفائض من المال لتأمين الحياة في المستقبل البعيد ، قال رسول الله (ص) : « اعمل لأخرتك كأنك تموت غدا ، واعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا » .

والشرط الاساس في الملكية ان تكون من حل لا من غصب
او غش او ربا ، لانه امتلاك بلا مقابل ، اما شرط الاخيار فهو
اداء الواجب المالي كالخمس والزكاة .

والنتيجة الحتمية لهذه التعاليم الاسلامية وغيرها ، ان
الاسلام يرفض النظام الراسمالي الذي يستغل ويحتكر ،
وايضا يرفض النظام الاشتراكي ، لانه يلغي حرية الفرد ،
ويجرده من انسانيته ، وهذا عين الجور والعدوان .

ويقف الاسلام موقفا وسطا : لا اشتراكية تسحق الفرد ،
ولا رأسمالية تستغل وتقسّم الناس الى طبقات على اساس
المال والعيش ، بل تكافل وتضامن بين الفرد والجماعة ، هي
مسؤولة عنه ، وهو مسؤول عنها ، وبهذا يتم الجمع بين
العدل والحرية ، ويمكن التعبير عن ذلك بالعدالة
الاجتماعية (١) .

وبهذه المناسبة نشير الى ما قاله الفيلسوف الانكليزي
الشهير رسل في كتاب المجتمع البشري ترجمة عبد الكريم
احمد ص ١٩٢ :

« اعترف بانني افضل ان ارى العالم كله مسيحيا على ان
أراه ماركسيا ، فانا اعرف الايمان الماركسي أكثر من اي
ايمان آخر .. ولكن لست مستعدا بأي حال من الاحوال ان
اقبل بوجهة نظر من يرى التماسك الاجتماعي مستحيلا » .

(١) قرأت في صفح ١٩٧٧/١/٢٥ أن نقص الغذاء يهدد فقراء العالم ،
والولايات المتحدة ترفض زراعة ٦٠ مليون فدان ، وتدفع تعويضات للمزارعين
لتحافظ على ارتفاع الاسعار ، ولو أخذت بنظام العدالة الاجتماعية حقا وواقعا
لشجعت الزراعة .

ومعنى كلام رجل هذا انه يفضل ان يسود التماسك الاجتماعي بين الناس على ان تسود المسيحية ، لان المسيحيين متعصبون ، بدليل قوله في ص ١٩٣ : « في المعارك الاولى بين المسيحية والاسلام كان المسيحيون هم المتعصبين ، والمسلمون هم المنتصرين ، وقد اخترعت الدعاية المسيحية قصصا عن التعصب الاسلامي ، ولكنها جميعا كاذبة . . فقد تعلم كل مسيحي قصة الخليفة الذي دمر مكتبة الاسكندرية ، وفي الواقع لقد دُمرت هذه المكتبة مرارا ، وكان اول من دمرها هو يوليوس قيصر . . وقد تسامح المسلمون على نقيض المسيحيين مع اهل الكتاب . . وهذا ما سهل عليهم فتوحات كثيرة » .

يريد بقصة الخليفة ان المبشرين ضد الاسلام من المسيحيين قد نسبوا زورا ويهتانا الى عمر بن الخطاب حرق مكتبة الاسكندرية مع العلم بأن اول من احرقتها قيصر المسيحي . وفي كتاب الاسلام والنصرانية للشيخ محمد عبده ان اول من احرقتها قيصر ، ومن بعده بطريرك الاسكندرية بقصد اشارة الفتنة والثورة ، ومن بعده تيوفيل المسيحي ، ثم اتى على البقية سيريل ! . وهكذا يرنكبون اكبر الجرائم ضد العلم والانسانية ، وينسبونها الى المسلمين حقدا وتعصبا .

المنهج المتبع في الرياضيات والطبيعات والفلسفة

المنهج

والمراد بالمنهج مهنا الطريقة المتبعة في دراسة الموضوع ، وهو يتعمد ويتنوع تبعا لتعدد العلم وتنوعه ، ويكلمة منهج كل علم او موضوع بحسبه . وقيل : ينبغي ان تبحث كل العلوم بأسلوب واحد وهو الحس والتجربة ثابا كالعلوم الطبيعية ! . وهذا القول يحجر على العقل ان يترجم عن نفسه ، ويسد باب العلم الا المادي الالهادي .

منهج العلوم الرياضية

ليست الرياضيات علما تجريبيا يفتقر الى مختبرات وآلات، وانما هي علم عقلي مثل « $1 + 1 = 2$ » والرياضيات تم وتشمل الحساب والجبر والهندسة والفلك والميكانيك وهو علم يدرس الزمن والحركة والقوة .

وقال اصحاب المذهب العقلي : ان الحقائق الرياضية هي من ابداع العقل وحده ، ولا تستند الى اذن او عين او اية قوة خارجة عن الذات .

وقال اصحاب المذهب الحسي التجريبي : ان المعاني الرياضية منتزعة من صورة الاشياء المادية المحسوسة ، ترى

العين هذا وذلك ماثلين امامها ، فينتزع العقل الاثنتية منهما مجتمعين مع ان هذه الاثنتية غير موجودة في الخارج وجودا مستقلا .

وسبقت الاشارة ان للعقل احكاما نظرية مستقلة ، واحكاما اخرى هي نتيجة التفاعل بينه وبين ما تراه العين من اشياء الطبيعة . وعلى اية حال فان المنهج الرياضي هو استنباط عقلي لحقيقة من حقيقة سابقة عليها كالمثال السابق والاتي في الفقرة التالية .

الاستدلال الرياضي والقياس المنطقي

الاستدلال الرياضي صادق ابدا ودائما حتما وبالضرورة ، ويستحيل الكذب في حقه ، لان النتيجة تنبع وتتبع مقدمة واحدة تنطوي على نفس النتيجة مثل « المتساويان لثالث متساويان » فالمقدمة : المتساويان لثالث ، والنتيجة : متساويان .

اما نتيجة القياس المنطقي فانها تصدر من مقدمتين او اكثر ، ولا تصدق على كل حال ، بل تدور مدار مقدماتها صدقا او كذبا ، ومثال الصانقة : سقراط انسان ، وكل انسان فان ، فسقراط فان . ومثال الكاذبة : سقراط فيلسوف ، وكل فيلسوف يعيش مئة سنة ، فسقراط عاش مئة سنة .

دفع الطبيعيات

تخضع الطبيعيات بشتى انواعها للملاحظة والتجربة ، وهذا هو السبب الاساس لحاجتها الى المختبرات والالات على عكس الرياضيات ، وقسموا العلوم الطبيعية الى قسمين اساسيين :

١ - العلوم الفيزيائية والكيميائية ، وتبحث في ظواهر المادة الجامدة فقط .

٢ - العلوم الحيوية ، وتبحث في الكائنات الحية وتطورها .

ويدخل في كل من هذين القسمين علوم فرعية ومختلفة ، تدرس في الجامعات ، وقد ينسخ بعضها ويصبح في خبر كان حيث تُغني عنه علوم جديدة لم تكن في الحسبان ، فقد اثبت العلم الحديث أن الكون آخذ في التوسع بسرعة فائقة ، ونص القرآن الكريم على ذلك بصراحة ووضوح في الآية ٤٧ من الذاريات : « والسماء بئيناها بأيد وانا لموسعون » .

وأخيرا فان منهج الطبيعيات هو الحس والتجربة والفرض عندما يكون السبب غير واضح . (انظر فصل المنهج العلمي في الاسلام من هذا الكتاب ، مقرة ضرورة الفرض) . وزيادة في التوضيح نجل فيما يلي وجه الفرق بين المنهج الرياضي والطبيعي .

بين المنهج الرياضي والطبيعي

مما تقدم يتبين معنا أن المنهج الرياضي لا يشترط فيه شيء سوى اتساق الفكر مع نفسه بغض النظر عن الواقع ، وانه لا داعي الى الاستقراء وتكرار الأمثلة للاختبار والتثبت ، لان القضايا الرياضية قطعية وتحليلية ، تحمل صدقها في صلب تكوينها ، ولا تقبل شكاً ولا نقداً بأية حال ، واي عاقل يشك ان المثلث له ثلاثة اضلاع ، وان الواحد نصف الاثنين ؟ .

أما القضايا الطبيعية فصدقها مرهون بموافقتها للواقع

المستقل عنها والخارج عن حدودها مثل هذه النبتة فيها مادة
سلمة حيث لا شيء يدل على الصدق أو الكذب الا التجربة
والاختبار ، ومن هنا اتفق العلماء على أن الحقيقة الطبيعية
لا تثبت الا اذا توافرت فيها الشروط التالية :

- ١ — الملاحظة والتجربة .
- ٢ — تكرار التجربة على عدد غير قليل من الامراد .
- ٣ — ان تكون نتيجة التجربة واحدة .
- ٤ — استنتاج الحقيقة الطبيعية بشرط ان يكون عموماً
وشمولها لكل فرد على سبيل الرجحان لا على سبيل
الجزم والقطع اذ من الجائز ان لا يكون جميع الامراد
على نسق واحد .

الفلسفة منهج المناهج

لا احد يشك في ان العلوم الرياضية والطبيعية هي الاساس
والمقياس لنمو الحياة وتطورها نحو الرقي والرخاء ، فقد كان
للعلم وما زال تأثيره العميق في حياة الانسان المادية والاجتماعية
والثقافية ، بل يستحيل العيش في عصرنا الراهن بدون العلم .

اما الفلسفة فقد حامت الشكوك حولها حتى قيل : هي من
لغو الحديث ، وقال آخر : انها تعتقد الواضحات ، وتعجز
عن حل المشكلات . وتقدم مثل هذا القول مع نقده ورده في
نصل الوضعية المنطقية مقرة فلسفة التحليل . وقال رسل في
كتاب الفلسفة بنظرة علمية (الفصل الاول) ما نصه بالحرف :

« هناك طائفة من المشكلات يجد الناس في بحثها لذة ، ومع ذلك هي ليست مما تبحثه العلوم في يومنا الحاضر ، وهي مشكلات تتميز كلها بأنها تثير الشك فيما يقع عند عامة الناس موقع التسليم ، فإذا أردت إزالة هذه الشكوك ، لم يكن لك بد من دراسة خاصة هي التي نطلق عليها اسم الفلسفة » .

ومعنى هذا الكلام أن أي شيء لا يمت بصلة إلى العلوم الطبيعية والرياضية لا ينبغي الخوض فيه بحال ، ولكن الناس يجدون متعة في الحديث عما وراء الطبيعة ومصدر الإنسان بعد الموت والتوفيق بين العقل والوحي ، وما إلى ذلك مما تبحثه الفلسفة ، فأوجدوها للكلام عن هذه الأمور والأهمي كلام فارغ عند رسل ، لأنه من أنصار الوضعية المنطقية التي لا تؤمن بوجود شيء إطلاقاً إلا إذا لمست اليد أو رآته العين . (انظر فصل الوضعية المنطقية من هذا الكتاب) .

وقرأت للفلسفة العديد من التعريفات ، وخلاصة كل ما قيل أو يمكن أن يقال في تعريفها أن الفلسفة هي العلم العقلي المنظم الذي يبحث عن الدعائم الأولى للمعرفة أيًا كان نوعها ، وعلى ذلك تكون الفلسفة هي المنهج والتخطيط العقلي لكل تفكير قويم علماً كان أو منهجاً أو أي شيء لا غنى له عن العقل والتكامل ، وعلى ذلك فلا منهج للفلسفة لأنها هي المبدأ الأول لكل منهج ، وما عداها من المناهج مجرد فروع عنها ، ولو كان لها منهج لكان هو الأسبق في التفكير والعقل ، وذلك خلاف الفرض .

ويدعم هذا ويؤكدّه قول الفيلسوف الإنكليزي سبنسر : إن حظيرة الفلسفة تعم وتشمل الآلة والطبيعة والإنسان .. فهي تجمع هذه الحقائق وتكملها .. وقد شبه بعضهم العلم بنهر يجري في أرض مستوية واضحة ، ولكنه مجهول المنبع والمصب ،

والفلسفة هي التي تكشف عن منابع العلم ، وتجلو لنا الغامض
من نتائجه » .

بين المعرفة الفلسفية والعلمية

ونذكر أحد الفلاسفة ثلاثة وجوه للفرق بين المعرفة الفلسفية
والعلمية ، نختم بها هذا الفصل .

١ — ان المعرفة الفلسفية لا تقتصر على دراسة الظواهر ،
بل تفocus على الحقائق العميقة ، فتبحث في الوجود
والجوهر ، وتبتغي الوصول الى الحقائق المطلقة .

٢ — المعرفة العلمية تكتفي بدراسة الاسباب المباشرة ،
اما المعرفة الفلسفية فتبحث عن الاسباب التصوي
والمبادئ الاولى .

٣ — المعرفة الفلسفية اكثر تعميما من المعرفة العلمية .
ولكنها تتفق بكاملها على ان اهم مميزات الفلسفة وخصائصها
عن الحقيقة على قدر الطاقة العاقلة من الانسان ، وهذه
الطاقة والقدرة هي المصدر والاساس لكل ما يقتنع به
الفيلسوف من حقائق . وعليه يسوغ لك ان تسمي هذه القدرة
العقلية منهجا عاما ننخرج تحته كل المناهج ايا كان نوعها .

السبب والمسبب

معنى السببية واقسامها

توجد السببية وتتحقق بين شيئين اذا كان بينهما علاقة ضرورية تستدعي وجود أحدهما عند وجود الآخر ، وتنقسم السببية الى اقسام تبعاً لنوع الموضوع وطبيعته ، واليك البيان :

١ — السببية العقلية ، وهي التي يدركها العقل تلقائياً وبلا معونة الحس والتجربة كالتلازم والتلاحم بين وجود البناء ووجود الباني ، والجناية والجاني (١) .

٢ — السببية الانسانية أو الارادية ، قل ما شئت ، وهي العلاقة بين السبب والمسبب اختيارية كالتلازم بين افعال الانسان والرغبة فيها والدافع اليها .

٣ — السببية الطبيعية البديهية التي لا تفتقر معرفتها الى الحس والتجربة كالثمره على الشجرة والجريان في الماء ، فكلنا يعلم بالبديهية أن الماء يجري بطبعه ، وان الشجرة الحية النامية تنورق وتزهو وتثمر آلياً وطبيعياً .

(١) في نهج البلاغة « بالايهان يستدل على الصالحات ، وبالصالحات يستدل على الايمان » والايهان هنا سبب ، والصالحات مسبب ، والقدامى يسمون الاستدلال بالسبب على المسبب البرهان اللبي من (لم) والاستدلال بالمسبب على السبب البرهان الاتي من (ان) المشعده والمراد بها الثبوت والوجود .

وهذه الأقسام الثلاثة ليست محلاً للشك حتى
تثير التساؤل والجدل .

٤ — السببية الطبيعية النظرية التي تحتاج الى الامتحان
والخبرة الحسية . . وانكر هذه السببية العديد من
فلاسفة العصر الراهن تبعاً للفيلسوف المثالي
الانكليزي الذي قال : « لا يمكن أن نستخلص وجود
علاقة بين العلة والمعلول بالحدس أو بالتحليل أو
بالبرهان ، فإذا سبقت ظاهرة ظاهرة أخرى فلا يمكن
أن نستخلص أن الأولى علة والثانية معلول ، وحتى
أشد الأحداث تكراراً لا تعطينا معرفة بقوة خفية
— يريد العلاقة العلية — بها يسبق الشيء الشيء
الآخر » .

ومثل أنصار هيوم للتتابع والتقارن بين ظاهرتين ، بهبوب
الرياح يتبعه اضطراب أمواج البحر واقتلاع الشجر ، أن نك
الرياح عاصفة ، وأيضاً مثلوا بتمدد المعدن بالحرارة ، وما الى
ذلك من الأحداث المتلاصقة المتجاورة في أطراد مستمر . .
وقالوا : لا داعي لافتراض العلاقة السببية في شيء من ذلك ،
وانما نشأت فكرة السببية من العادة ورؤية الاقتران المطرد
لا من نفس الواقع ولا من الفطرة ويديه العقل تماماً كما نشأت
فكرة دوران الشمس حول الأرض من مجرد الرؤية علماً بأن
الأرض هي التي تدور حول الشمس .

الدليل العليل والإجابة عنه

واستدلوا على ذلك بأنهم يشاهدون شيئاً يسمى قوة أو
علاقة بين الظاهرتين ، وكل الذي رأوا ولاحظوا هو اقترانهما
في الوجود ، واقتران الأشياء المحسوسة شيء ، والقوة

والعلاقة الني لا تمتد اليها الخبرة الحسية شيء آخر ، اجل
لا بأس بالقول : ان في أعماق الطبيعة قوانين تربط وتلتصق
حادثة بأخرى في عالم الخارج المحسوس لا في عالم العقل
والادراك بحيث يكون هناك قاعدة كلية وقبلية تقول : لكل
حادثة سبب . أبدا لا شيء فطري وغريزي من هذا النظر ،
لان العقل يمكنه أن يتصور وجود الشيء بلا سبب موجب .
الجواب :

١ — ان الوجود لا ينحصر بما يقع تحت الحواس . فكم
في أنفسنا وفي الأفاق أشياء وقوى هي فوق الحس ،
نؤمن بوجودها عن طريق العلم بآثارها وثمارها
المحسوسة الملموسة ، وسبق القول في ذلك مفصلا .

٢ — ان العقل يدرك بصورة فطرية وقبلية مستقلة عن
الحس والتجربة — ان لكل حادثة سببا ، وان الممكن
ما لم يجب ما لم يوجد ، يدرك العقل ذلك كمبدأ عام
ونظري مجرد ، ثم يأتي دور التطبيق بعد الملاحظة
والتجربة التي نكتشف بواسطتها وجود العلاقة
السببية بين الحادثتين المتشابهتين ، وانها من أفراد
ذاك المبدأ العام .

ومن يرفض هذا المبدأ فإنه يقع لا محالة في مشكلة
الصدفة المستحيلة حيث لا فرض ثالث هناك .

الهندي والارض

في كتاب الفلسفة بنظرة علمية لرسل ترجمة زكي نجيب
محمود ص ١٠٢ ، ما نصه بالحرف : « اننا لا نلاحظ الا
الأحداث في تتابعها المطرد ، ومن اطراد التتابع تتألف القوانين
الطبيعية ، أما لماذا كانت هذه القوانين فشيء لا يأتي عن طريق

الخبرة الحسية ، ولو حاولنا تحليل القوانين لاحتاج التحليل الى تحليل ، وهكذا الى ثالث وهلم جرا ، وعندئذ نكون كالهندي الذي سأل : لماذا لا تسقط الأرض ؟ واجاب نفسه بقوله : لانها تستند الى فيل ، ثم سأل مرة أخرى : ولماذا لا يسقط الفيل ؟ واجاب نفسه : لانه يستند الى سلحفاة ، ولكنه سأل لماذا لا تسقط السلحفاة ؟ فأخذته الريكة وقال : انه قد مل البحث ولا يريد المضي فيه .

اجل لقد عجز هذا الهندي عن المعرفة والادراك بأن الأرض تدور في فلكها بفعل الجاذبية ، ولكن هل يسوغ لعامل ان ينخذ من عجز الهندي دليلا على نفي الجاذبية ؟ ان العالم بحق اذا بحث عن شيء ولم يحط به علما يسأل من هو ادرى واعلم ، ولا يتخذ من جهله دليلا على النفي ، ويقول العلم والمحققون من العلماء : ان الاستقراء شاهد عادل وفاحص ، وانه اصل اصيل لكل قانون من قوانين الطبيعة ، وكلنا يعلم ان اهم ما يمتاز به القانون الطبيعى امران : الاول ان يسقط ما هو خاص من جوانب الموضوع ، ويستبقى ما هو عام منه . الامر الثاني ان يكون على سبيل الحتم والجزم ، ولن يكون كذلك الا على اساس وجود العلاقة السببية ومبدأ العلية حيث لا شيء سواه الا الصدفة وهي مستحيلة كما اشرنا .

وتسأل : واية جدوى من هذا الكلام والخلاف مسا دام الاتفاق قائما بين الجميع على تلازم الظاهرتين أبدا ودائما ؟ وهل من ضرورة الى التحليل والتحليل ؟.

الجواب :

ان ثمرة الخلاف هنا مهمة وخطيرة جدا ، لانه لولا مبدأ العلية والعلاقة السببية لانسد العلم بالقوانين والقواعد

الكلية ، وتعذر التنبؤ بأي شيء ، ومعنى هذا انسداد باب العلوم من الأساس حيث لا علم بلا قوانين ومبادئ عامة ، وفوق ذلك تتعذر إقامة الدليل على وجود الخالق ، لأنه ، وهذا هي الحال ، لا نستطيع أن نثبت وجود قوة وراء الطبيعة تكون علة لوجودها وتبصرها : « يريدون أن يطفئوا نور الله بأنفواهم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون — ٣٢ التوبة » .

الفلسفة القرآنية

دعوة القرآن

القرآن كتاب الله الى عبادہ ، يدعوهم فيه أن يستقيموا على صراط الحق والعدل فيما يقولون ويتصرفون ، ويبشر من اطاع بالخير والثواب ، وينذر العاصي بالشر والعقاب . . فان تجاوز القرآن ذلك فالى ما فيه مثل وعبرة لمن يتذكر او يخشى ، والى هذا أشار سبحانه بقوله : « ويضرب الله الامثال للناس لعلهم ينذكرون — ٢٥ ابراهيم . . وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون — ٢٣ العنكبوت » .

ومن هذه الامثال ما يصلح مادة لعلم التاريخ وآثار الامم الماضية ، او للجغرافيا والفلک ، او لعلم الطبيعة والاخلاق او التشريع وما اشبه ، ومنها ما يصلح مادة للفلسفة كالبحت عما وراء الطبيعة وسبب الخلق وصفات الخالق ، ومصادر المعرفة ومكانة العلم والعقل وحرية الانسان وعلاقته بخالقه ومصيره بعد موته . . الى غير ذلك .

وفيما يلي نعرض طرفا من هذه المواضيع التي تبحث في كتب الفلسفة ، ونفسرها تفسيرا يستقيم مع ظاهر القرآن ومبادئه .

علم الكلام لا يكفي

في سنة ١٩٧٦ درست في دار التبليغ بقم فلسفة الاخلاق

في الاسلام والفقه على المذاهب الخمسة ، وفي ذات ليلة دعاني أحد التجار بطهران الى العشاء ، فأجبت على غير علم مني بأسباب الدعوة ، ولدى وصولي الى بيته رايت ثلة حملة الشهادات العالية ، وما استقر بي الجلوس حتى وجهوا اليّ انواعا من الأسئلة ، واستمر السؤال والجواب من الساعة السابعة مساء الى الواحدة والنصف .

وكان من بينها هذا السؤال : ما رأيك في الكتب التي تتحدث عن الفلسفة الاسلامية ؟ هل تمثل هذه الفلسفة حقا وصدقا ؟

قلت : لا بد أولا من تحديد معنى الفلسفة الاسلامية : هل المراد بها مجرد الدعم والتبرير للديانة الاسلامية والدفاع عنها بمنطق العقل ، أو أن المراد الهدف العام الذي تقاس به جميع قيم الاسلام وتعاليمه دون استثناء ؟ فان أريد المعنى الاول فعلم الكلام الاسلامي يؤدي هذا الغرض ، ما في ذلك ريب ، وان أريد المعنى الثاني فعلم الكلام لا يفي بذلك ، لانه يحامي عن العقيدة وكفى ، ومن هنا سمي بعلم التوحيد أيضا .

الفلسفة القرآنية

ان القرآن بعقيدته وشريعته وجميع مبادئه وتعاليمه ، ينفذ بالحياة البشرية الى الامام ، ويوجه الانسان الى العمل من اجل حياة طيبة دائمة حتى كأنه يعيش أبدا ، قال سبحانه : « يا ايها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم — ٢٤ الانفال » . واستنادا الى هذه الآية يسوغ لنا ان نحدد الاسلام بأنه دين الحياة ، ولا نزيد ، وايضا قال سبحانه : « ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم — أي لحياة افضل — ٩ الاسراء » وايضا قال : « فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها — ٣٠ الروم » .

وكل انسان مطبوع ومنطور على حسب الحياة الافضل والاكمل ، وقد زوده سبحانه بكل المواهب والطاقات والادوات التي تعينه على تحقيق آماله وغاياته القصوى حتى ولو شاء الصعود الى القمر والمريخ ، وقرات من جملة ما قرأت : « لو تعلقت همة بني آدم بما وراء العرش لئالته » . فاذا اهل وتكاسل فلا يلومن الا نفسه « وما ظلمناهم ولكن انفسهم كانوا يظلمون — ١٨ النمل » .

وخلاصة ما نستفيده من هذه الآيات ونظائرها أن الفلسفة او التربية القرآنية تهتم بحياة الانسان حاضره ومستقبله اهتماما يكفل له سد حاجاته المادية والروحية بحيث لو طبق الاسلام كما اراد الله ورسوله لكانت النتيجة لمصلحة العالم كله دعة وامنا . . ابدا حياة بلا مشكلات وويلات . وعن درس وعلم قال الشاعر الفيلسوف الالماني غوته الذي اثرت آراؤه تأثيرا بالغاً في تطور الفكر الاوروبي : « اذا كان هذا هو الاسلام ، افلا نكون كلنا مسلمين ؟ » .

وغريبة الغرائب ان يقول هذا مسيحي الماني ، ويقول معمم أعجم : الاسلام غيب في غيب ! . لقد سبق الاسلام دعوات كثيرة في تاريخ الايمان ، ولكنها جاءت وانتهت دون أن تغرس في الازهان فكرة انسانية عامة حتى جاءت رسالة محمد (ص) فقامت بهذه المهمة على الوجه الاكمل ، ومن هنا ختمت النبوة بسيد الانبياء .

الفلسفة القرآنية واقعية لا مثالية

قال انصار المثالية : ان الفكرة تسبق الواقع ، وان العالم ليس الا امتدادا لما يدور في ادمغتنا ، وقال الواقعيون : العكس

هو الصحيح أي ان الواقع يسبق الفكرة ، وان ادمنغنا ليست سوى امتداد للعالم الخارجي المستقل بذاته ، وهذا عين ما نطق به القرآن : « ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون — ١١٦ الانعام . . ان الظن لا يغني عن الحق شيئا — ٣٦ يونس » أي ان الحق والواقع مستقل عن الفكرة ، وهي انعكاس عنه ، فان كانت مطابقة له فهي صادقة والا فهي تخمين وتضليل .

وليس معنى هذا ان العقل يعجز عن استجلاء الحق والواقع ، كيف ؟ وقد حث القرآن على الأخذ به ، وشبه المقلدين بالانعام حيث قال : « ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا — { الفرقان } — بل المراد ان الموجودات الخارجية مستقلة في وجودها عن العقل والادراك ، وان العقل طريق من طرق العلم بالواقع ، ومن أوضح البديهيات ان الواقع شيء ، وطريق العلم به شيء آخر .

القرآن ومصادر المعرفة

المعرفة انعكاس الواقع في الفكر الانساني — كما قيل — وكثير من الفلاسفة يعتبرون العمل والممارسة جزءا لا يتجزأ من العلم والمعرفة ، وكلام الامام أمير المؤمنين (ع) يوحى بذلك حيث يقول : « العلم يهتف بالعمل ، فان أجابه والا ارنحل عنه » . ومصدر المعرفة : الطريق المؤدي اليها .

ويعقد الماديون انه لا طريق الى الصدق والمعرفة الا الحس والتجربة ، وانه لا يمكن الوصول الى الواقع بالاستدلال العقلي السابق على التجربة بأية حال حيث لا اثر ولا عين الا لما يقع تحت الحواس . وقال المثاليون : لا طريق الى المعرفة الا العقل وحده حيث لا وجود لأي كائن الا في رؤوسنا ما دمنا لا نستطيع

العلم بشيء إلا اذا تحول الى صورة في العقل . وسبق الكلام
عن ذلك في فصل المادية والواقعية والمثالية .

أما القرآن الكريم فيقسم مصادر المعرفة الى ثلاثة اقسام :
العقل ، والتجربة والوحي ، لأن الانسان عينا ترى وعقلا
يدرك ، وفوق كل شيء عليم بكل شيء ، وقد جمع الاقسام
الثلاثة في آية واحدة : « ومن الناس من يجادل في الله بغير
علم ولا هدى ولا كتاب منير — ٨ الحج » . فالعلم اشارة الى
الملاحظة والتجربة ، والهدى الى العقل ، والمراد بالكتاب المنير
الوحي ، والعقل ينصح أخطاء الحس ، والوحي يرشد العقل
الى ما غاب عنه ، لأن عقول الناس متضاربة ، وحكم الوحي
هو العدل والفصل .

مصادر العقيدة الإسلامية

أصول العقيدة الإسلامية ثلاثة : الايمان بالله ورسوله
محمد واليوم الآخر ، والايمان مأخوذ من الامانة ، ومن ذلك
قولهم : الايمان امانة ، ولا دين لمن لا امانة له . وجاء في
الموسوعة الفلسفية السوفياتية ما نصه بالحرف الواحد :
« الايمان ادراك شيء ما على أنه صادق دون برهان ،
والاعتقاد الأعمى جزء جوهري من أي دين ، وبهذا المعنى
لا يوجد اختلاف بين الايمان والخرافة ، ويقف الايمان الديني
على طرفي نقيض مع المعرفة » !.

بل هذا التعميم لكل دين وايمان لا يستند الى برهان ، بل
ويقف مع الواقع على طرفي نقيض (١) فمن استقرا القرآن
يجد العديد من آياته تندد بالجهل والتقليد والتعصب ، وتحث

(١) انظر فصل فلسفة الاديان السماوية من هذا الكتاب .

على اتباع العقل وطلب العلم ، وتعدده فريضة ، وترفع العلماء درجات . واي عاقل يتصور أن يرفع العدو من شأن عدوه ؟ .

وايضا تحدى القرآن خصومه بقوله : « هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين » وكرر هذا التحدي في العديد من السور والآيات ، وزم القائلين بغير علم ، وقال لهم من جملة ما قال : « فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم — ٦٦ آل عمران » . وسبق الكلام حول الآية ٢٨ من فاطر : « انها يخشى الله من عباده العلماء » حيث ربطت الخشية منه تعالى بمعرفته ، وقال الامام امير المؤمنين (ع) : « اول الدين معرفته » جل وعز ، وذهب اكثر علمائنا الى ان التقليد في اصول الدين غير مقبول وان طابق الواقع مع القدرة على التعلم ، ونحن على خلاف هذا الراي . واخيرا ، فهل دين الاسلام بلا برهان ، او قول الموسوعة السوفياتية زور وبهتان ؟ .

ونعود الى عقيدة الاسلام ومصادرها وهي العقل والحس والوحي كما اشرنا في مقرة القرآن ومصادر المعرفة ، ولكن على التفصيل الانى :

١ — ذكر سبحانه في كتابه ان الطريق الى وجوب الايمان به هو النظر الى الكون في جملته حيث يرى العاقل فيه وفي موجوداته اثر الصنعة والترتيب المقصود تماما كما قال ، عز من قائل : « وخلق كل شيء فقدره تقديرا — ٢ الفرقان » . والصنعة تدل على وجود الصانع بحكم العقل وبديهته ، ويتألف هذا الدليل من الاستقراء الحسي والاستنباط العقلي معا ، وعليه يكون الايمان بالله نتيجة يقينية بل وضرورية تماما كالنتيجة الرياضية مع فارق واحد هو ان النتيجة الرياضية تعتمد على العقل وحده ، ولا تستعين بالحس ، اما الايمان بالله فانه يستند الى

العقل والحس معا . ومعنى هذا ان دليل الايمان بالله حجة قائمة ولازمة على منطق المثاليين لمكان العقل وعلى منطق الماديين لمكان الحس والملاحظة .

٢ — وفكر سبحانه في كتابه ان الدليل على الايمان بالتوحيد ونفي الشرك هو بديهية العقل وحكمه آليا بان فساد اللازم يدل على فساد الملزوم ، وأشار سبحانه الى ذلك في الآية ٢٢ من سورة الانبياء : « لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا » .

وقلنا في تفسيرها : اي لو كان في السماء والارض آلهة سوى الله لما استقامتا اطلاقا ولفسد من فيهما وما فيهما ، وذلك انه لو وجد الهان لمكان كل منهما قادرا بحكم كونه الها ، ومن شأن القادر ان يكون مريدا ضد ما يريده الآخر ، وعليه فاذا اراد احدهما خلق شيء ، واراد الآخر خلافه ، فماذا ان يوجد مرادهما معا ، فيلزم ان يكون الشيء الواحد موجودا في الخارج وغير موجود في آن واحد ، وهو محال ، واما ان يوجد مراد احدهما دون الآخر ، وعليه يكون هذا الآخر عاجزا ومغلوبا على امره ! والعاجز لا يكون الها .

وبكلام آخر : لو وجد الهان فماذا ان يكون احدهما قادرا على تدبير العالم ، واما ان لا يكون كذلك ، فان كان قادرا كان وجود الثاني عبثا ولزوم ما لا يلزم ، وان لم يكن قادرا فلا يصلح للالوهية لعجزه من جهة ، وعدم الفائدة من وجوده من جهة ثانية .

٣ — وفكر سبحانه في كتابه ان الطريق الى الايمان بنبوة محمد (ص) هو العقل بواسطة المعجزة الالهية ،

وهي أنه سبحانه تحدى المعاندين وقال لهم بلسان نبيه : « وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين — ٢٤ البقرة » .

فتهاوى المعاندون حين سمعوا كلاما « ما هو من كلام الانس ولا من كلام الجن .. وانه يعلو ولا يعلو عليه » كما قال سيدهم الوليد بن المغيرة وسيد النصيحة والبلاغة في العرب ، ويسمى هذا النسق من الاستدلال بالاستدلال المباشر ، لان النتيجة تستخرج من مقدمة واحدة مباشرة وبلا واسطة ، فاذا استخرجت من مقدمتين أو أكثر سميت بالاستدلال المتشابه .

٤ — اما الايمان بالبعث فدليله أنه ممكن عقلا وثابت الوقوع نقلا فيحب التصديق به ، ومن آيات الايمان قوله تعالى : « وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو اهلون عليه — ٩٠ البقرة » . ومن آيات الوقوع : « وان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور — ٧ الحج » . انظر فصل فمفسلة الآخرة وجمال الدين الامغاني ، من هذا الكتاب ، وكتابتنا الآخرة والعقل

نظرية النبوة

تقدم ان اصول الاسلام ثلاثة : التوحيد والنبوة والبعث ، واذا كانت النبوة أصلا لعقيدة الاسلام فانها فرع عن الايمان بالله ، ومن الناس من يؤمن به تعالى ، وينكر النبوة من الاساس ، ومنهم من يؤمن به وبها ، ويجحد بنبوة محمد (ص) .

وعلى أية حال فإن النبوة سفارة بسين الخالق والخلق
لهدايتهم الى الحق ، ومعنى هذا ان النبي لسان الله وبيانه ،
ويوميء الى ذلك قوله تعالى : « من يطع الرسول فقد اطاع
الله — ٨٠ النساء » . ولا ينال الانسان هذا المنصب الاعلى
الا ان يكون على خلق عظيم كمحمد (ص) : « الله اعلم حيث
يجعل رسالته — ١٢٤ — الانعام » . واظهر صفات النبي
واهمها على الاطلاق قوة الارادة والبعد عن الميول الشخصية
والتفاني في احقاق الحق حتى ولو عارضه الوجود كله بمن
فيه وما فيه تماما كما قال امام العابدين (ع) في وصف جده
سيد الكونين (ص) :

« حارب في رضاك اسرته — الخطاب مع الله سبحانه —
وقطع في احباء دينك رحمه ، واتصى الانئين على جحودهم ،
وقرب الاتصين على استجابتهم لك ، ووالى فيك الابعدين
وعادى الاقربين » . ومثله قول جده الامام امير المؤمنين (ع) :
« ان وليي حمد من اطاع الله وان بعدت لحمته ، وان عدو
محمد من عصى الله وان قرئت قرابته » وقول ولده الامام
الباتر : « والله ما شيعتنا الا من اطاع الله » . والكل وحي
من وحي الله الذي قال : « الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض
عدو الا المتقين — ٦٧ الزخرف » . ان اكرمكم عند الله اتقاكم —
١٣ الحجرات » .

ابداً لا صديق وحبيب ولا ولي وقريب عند من آمن بالله
حقا وصدقا الا من قربه طاعة الله ، ولا بعيد الا من اسعدته
معصية الله . . فهل يتعظ ويعتبر من ينتسب الى دين الله ،
ويتحدث باسمه ، ويتسم بسمته ؟

النبوة ضرورة انسانية

هل تدعو الضرورة الحياتية والانسانية الى وجوب النبوة ؟
 الجواب : أجل ، ولولاها لا يكون لله على الناس الحجة ،
 لانه تعالى يحتج عليهم بما آتاهم ، وبهذا نطق القرآن الكريم :
 « وان من أمة الا خلا — مضى — فيها نذير — ٢٤ فاطر . .
 رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة —
 ١٦٥ . . قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا
 عليهم ملكا من السماء رسولا — ٩٥ الاسراء » .

وتكلم الأوائل والآخر من الفلاسفة وعلماء التوحيد حول
 البعثة وقالوا وأطالوا : تجب لاشتغالها على الرفق
 واللفظ الخ . واقتديت بهم فيما كتبت من قبل ونشرت ، ثم
 انتبهت وتحررت من ريقه التقليد ، وتساعلت : لماذا البحث
 عن دليل على وجوب البعثة ، وهي بنفسها تحمل هذا الدليل
 تماما كالحق والعدل ؟ اليس القصد من البعثة التعليم
 والارشاد الى النهج القويم ؟ واي عاقل يشك ويتساءل : هل
 طلب العلم فرض وواجب ؟ .

ولنفترض — جدلا — ان كلمة البعثة لا تحمل في مفهومها
 الدليل الكافي على وجوبها ، فان سيرة الأنبياء دليل قاطع على
 هذا الوجوب ، لقد حرروا الانسانية من الجاهلية الجهلاء ،
 واخرجوها من الظلمات الى النور ، ولولا وجودهم وجهادهم
 لكان الانسان والحيوان بمنزلة سواء .

وقد سخر السفهاء من دعوة محمد (ص) واستهزأوا به
 وبها ، وقالوا : « يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون —
 ٦ الحجر » . فماذا كانت النتيجة ؟ كانت النتيجة أن يقتل
 ١٨٣

اسم محمد باسم الله ، وأن يبقى ببقائه ، وأن يمتد سلطان
 الاسلام في شرق الارض وغربها ، وأن يحطم المسلمون تيجان
 الأكاسرة والجبابرة ، ويفزوا القياصرة في عقر دارهم ، ويدخل
 الملايين في دين الله أنواجبا عن ايمان وايقان ، وأن تنتشر
 العلوم والفلسفات والفنون بشتى أنواعها حتى أجمع كثير
 من مفكري الغرب أن حضارة العصر الراهن هي عمير
 الحضارة الاسلامية .. وصدق الله العلي العظيم : « ان هو
 الا فكر للعالمين ولتعلمن نباه بعد حين ٨٨ ص » .

قاموس لبعض المصطلحات الفلسفية

بسم الله الرحمن الرحيم

وبعد :

فهذا هو القسم الثاني من الكتاب ، ويحتوي على المصطلحات الفلسفية الأكثر شيوعا واستعمالا ، وقد اخترتها وجمعتها من المعجم الفلسفي لجميل صليبا وكتاب آخر بهذا الاسم ، اشترك في جمعه ووضع مراد وهبة ويوسف كرم ويوسف شلالة ، ومن الموسوعة الفلسفية السوفياتية ترجمة سمير كرم والموسوعة الفلسفية المختصرة الانكليزية ترجمة فؤاد كامل وجلال العشري وعبد الرشيد الصادق ، ومن بعض كتب الفلسفة القديمة والحديثة .

ورببت الكلمات على نهج الحروف الابجدية في اللغة العربية ، وليس لي فيها الا الاختيار والتوضيح والامانة في النقل والاخلاص في القصد ، فان وجد القارئ خطأ في الرواية فهو من غفلتي او من المروي عنه او من المطبعة ، وجل من لا يخطئ ، ولكن القارئ — في الغالب — لا يغفر للمؤلف ، وينسى ما يكابد من صعوبات .

واخيرا ، قد يظن ان النقل والرواية اخف حملا من الانشاء والاجتهاد في الرأي . وهذا حق من وجه واحد ، ولكن الخطا والاشتباه في وجهة النظر والدراسة اخف وأهون بكثير من الخطا في النقل والرواية لانه لا يخلو من أحد غرضين : اما التحريف والتزييف ، واما الجهل مع الغرور والتطفل ، وكلاهما نقص وضلال كبير وخطير .

ونعمود بالله من سبات العقل وقبح الزلل . وبه نستعين .

(١)

الابستمولوجيا

هذه الكلمة مرادفة لنظرية المعرفة في اللغة الانكليزية ، ومعظم الفلاسفة الفرنسيين يطلقونها على فلسفة العلوم وتاريخها الفلسفي .

الابيقورية

نسبة الى الفيلسوف اليوناني ابيقور (٣٤٢ — ٢٧٠ ق.م) والابيقورية مذهب هذا الفيلسوف تقوم على طلب المتع العقلية واللذة الزوجية حيث لا سبيل للخلاص من الآلام الا بالسكينة والطمأنينة ، ولا طريق اليها الا بالانصراف الى التفكير والتأمل من اجل الوصول الى معرفة الحقيقة ، وكثير الكلام حول ابيقور ومذهبه ، وقيل : انه رجل الهوى والشهوات . وكثير من الفلاسفة ينزهونه عن ذلك ، ويفسرون مذهبهم بما ذكرنا .

الانثولوجيا

علم اجتماعي يفسر الظواهر من احوال الشعوب ، ويدرس انماط حياتها المادية والروحية .

الارستقراطية

كلمة يونانية وهي ضد الديمقراطية ، لانها حكومة طبقة

معينة ومحدودة ، تستولي على السلطة عن طريق الوراثة ونحوها .

الاستبطان

يطلق على معان منها دراسة الصفات النفسية بالتجربة والاختبار ، ومنها عملية التذكر للماضي القريب والبعيد .

الاستقراء

وهو في اللغة : تتبع الأمور لمعرفة أحوالها وخواصها ، وفي الاصطلاح : الحكم على الكلي بما تحقق في أفرادها وجزئياته ، فإن عم التتبع والفحص جميع الأفراد والجزئيات كان الاستقراء تاما ، وإن وقف عند عدد محدود من الأفراد والجزئيات كان الاستقراء ناقصا .

الاستنباط

استخراج المعنى من النص أو النتيجة من مقدماتها بعد الفرض أنها صحيحة .

الاسطقس

لفظ يوناني ، يرادف كلمة العنصر والاصل ، وجمعه اسطقسات ، وهي عند قدماء الفلاسفة العناصر الأربعة : النار والماء والتراب والهواء .

الاشراق

هو في اصطلاح الفلاسفة ظهور الانوار العقلية وفيضانها على النفس الكاملة بعد تحررها من المواد الجسدية . (انظر فصل حول فلسفة الاشراق) .

الإضافة

هي المقولة الرابعة من مقولات أرسطو العشر ، وعرفوها بنسبة شيء الى آخر تستدعي نسبة هذا الآخر الى ذلك الشيء كالأبوة والبنوة ، فان نسبة الابن الى الاب معناها نسبة الاب الى الابن .

الاقتصاد

مأخوذ من القصد ، ومعنى القصد : الاستقامة على الطريق ، وعلم الاقتصاد السياسي يبحث في انتاج الثروة وتوزيعها واستهلاكها ، وتطلق الثروة على كل ما له قيمة في التبادل .

الاقتنوم

هو الأصل والشخص والجوهر ، وعند قدماء الفلاسفة هو الحقيقة الوجودية ، والاتانيم الثلاثة عند المسيحيين : الاب والابن وروح القدس .

اكاديمية

هي مدرسة أسسها افلاطون تطل على بستان اكاديموس، وهو بطل قديم فنُسبت اليه المدرسة :

الامبريالية

أخذت هذه الكلمة من كلمة امبراطور ، وتستعمل الآن في أعلى مراحل الاحتكار والاستعمار الجديد الذي يضغط على الشعوب المستضعفة سياسيا ، ويحاصرها اقتصاديا ، ويؤلب عليها الاباع والاذناب بالانقلابات الرجعية وايقاظ الفتن والقتال وما الى ذلك حتى تستسلم بكل ما تملك من اقوات ومقدرات لارادة المحتكرين والمستغلين .

الانفصال

هو عند دروين قانون طبيعي ، يعني تنازع البقاء ، وبقاء
الاقوى .

الانحلال

تطور مطلوب من الصحيح الى الفاسد ، ومن التمام والكمال
الى النقص والانحلال .

الانطولوجيا

تعني هذه الكلمة الامور العامة التي تشمل جميع
الموجودات : الواجب والممكن والجوهر والعرض . هذا ما
جاء في كتاب المعجم الفلسفي لمراد وهبة وصاحبيه نقلا عن
تعريفات الجرجاني .

الانفية

اصطلاح فلسفي قديم ، معناه تحقق الوجود العيني .

الاوليات

هي الاشياء الضرورية اليقينية ، وتسمى البديهيات
والمبادئ الاولى .

الايديولوجية

جاء في الموسوعة الفلسفية السوفياتية أن هذه الكلمة
تعني نسقا من الإنكار والآراء السياسية والقانونية والأخلاقية

والجمالية والدينية والفلسفية .

ايروس

هو اله الحب عند اليونانيين ، ثم توسعوا في معناه ،
واطلقوه على كل هوى وامنية .

ايس

في القواميس العربية ايس من الشيء بمعنى ينس منه
وقنط ، واستعمل الفلاسفة كلمة ايس في الوجود والموجود
ضد ليس .

ايساغوجي

كلمة يونانية ، معناها المدخل او المقدمة ، وهي اسم
كتاب ، يحتوي على الكليات الخمس التي تبحث في علم
المنطق ، وهي (١) الجنس ويشمل انواعا مختلفة كالحیوان
يعمم الانسان والفرس (٢) النوع كالانسان يصدق على
الرجل والمرأة (٣) الفصل كالناطق يميز الانسان عن الناهق
والصاهل (٤) الخاصة كالضاحك (٥) العرض كالفائم

ايكولوجيا

كلمة يونانية الاصل ، واطلقت على العلم الحيواني
والنباتي ، وهو فرع من علم الحياة الذي يبحث في العلاقة
بين البيئة والكائنات الحية .

(ب)

بابوفية

حركة ثورة فرنسية قامت في القرن الثامن عشر ، واتخذت اسمها من زعيمها غراشوس بابوف .

البراغماتية

انظر فصل البراغماتية من هذا الكتاب .

البرجوازية

طبقة متوسطة بين النبلاء وابناء الشعب العاديين ، ويتميز انفرادها بثقافتهم ودخلهم وممارستهم لأحدى المهن الحرة ، أما في اصطلاح الماركسيين فالبرجوازيون هم الذين يمثلون النظام الرأسمالي . (المعجم الفلسفي لجميل صليبا) .

البرهان

لا يطلق القدياء لفظ برهان الا على الاستنتاج العقلي الذي تلزم فيه النتيجة عن المبادئ اضطراراً ، أما المحدثون فيطلقون هذا اللفظ على الحجة العقلية والتجريبية معا . (صليبا) .

البنم

وجعه ابعاد ، والأبعاد الثلاثة هي الطول والعرض

والعمق . واضاف اليها آينشتين بعدا رابعا وهو الزمان .
(انظر فصل نافذة على النظرية النسبية) .

البيئية

بكسر الباء وسكون النون وفتح الياء ، وهي عند الفلاسفة
ترتيب الأجزاء المختلفة التي يتألف منها الشيء .

البيرونية

نسبة الى الفيلسوف اليوناني بيرون الأيلي ، ويذهب هذا
الفيلسوف الى أن الحقيقة لا يستطيع أحد ادراكها والعلم
بها ، وعليه فمن الأفضل التوقف عن الحكم على أي شيء
من الأشياء .

(ت)

التالي

للقضية الشرطية جزءان المقدم ويقابله التالي ، ومثاله :
فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . فيعمل المقدم ، ويره التالي .

التاليه

منه ديني . ، ومنه طبيعي ، والاول يؤمن بالله والوحي ،
والثاني يؤمن بالله دون الوحي .

التاوية

فلسفة أو عقيدة صينية تعارض النسلط والقهر ، وتدعو
أن يعيش الناس على الطبيعة تماما كما كان الانسان البدائي .

التجريد

من أخص خصائص التجريد أن يبحث الشيء من حيث هو
وبصورة عامة دون النظر الى جوانبه وصفاته الخاصة ، فاذا
استخرجت النتيجة من دليل مسلم به تكون النتيجة صحيحة
ومسلما بها أيضا سواء أمكن تطبيقها أم تعذر ذلك — مثلا —
إذا بحثنا : هل للمادة صلابة وسكينة كما تبدو للعيان أو هي
ذرات متحركة ؟ جرى البحث فيها بغض النظر عن كونها حية
أو غير حية ، وإذا بحثنا اللون وصلته بالبصر جرى البحث

فيه بصرف النظر من كونه أبيض أو أسود .
وبكلمة التجريد مقابل للتشخيص الحسي في الخارج .

التحول

نظرية علمية تقول : الأشياء في تطور مستمر بخاصة الأنواع
الحية .

التصوف

طريقة سلوكية ، قوامها التتشف والتخلي عن الرذائل
والتخلي بالفضائل .

التضاييف

ان يتوقف تصور أحد الشينين على تصور الآخر كالفوقية
والتحية والإبوة والبنوة .

التعمية

مذهب سياسي يعارض نشر المعرفة والثقافة في جميع
فئات الشعب لما قد ينشأ عنها من وعي يضر بالسياسة
المستقرة ، ويقابل التعمية حركة التنوير .

التكنوقراطية

اتجاه ظهر حديثا في الولايات المتحدة وبعض البلاد الاوربية
ومؤداه ان الرأسمالية والاحتكارات الصناعية لا عيب فيها ،
وانما العيب في ادارة الدولة ورجالها السياسيين ، تمامها كما
نقول نحن : ليس الذنب ذنب الاسلام ، وانما الذنب ذنب
المسلمين .

التكنولوجيا

هذه الكلمة العلمية والفلسفية الصق الكلمات بالحياة ،
واكثرها استعمالا بحكم معناها الشامل ، وقد راجعت في
تفسيرها العديد من المصادر فما وجدت فيها بلغة الكفاف الا
ما جاء في مقال علمي قيم للدكتور فؤاد صروف بعنوان التقدم
العلمي الحديث ، ويتلخص ما قال :

بأية كلمة نعبر عن دراسات الانماء والتكامل بكل ما تنطوي
عليه من البحوث العلمية في الصناعة والزراعة والنقل وغير
ذلك مما يدل على مستوى حضاري يفرق بين المتقدم والمتخلف
من الشعوب ؟ الجواب عن ذلك بكلمة تكنولوجيا او تكنولوجيا.

وايضا قال صروف : جاء في مجلة ترقية العلم التي يصدرها
المجمع البريطاني لترقية العلوم ، مقال مستفيض في التفاعل
العمراني ، قال كاتبه من جملة ما قال : ان لفظ تكنولوجيا
يعني علم الصناعة بشتى انواعها اذا اطلقت ، اما اذا
اضفت وقلت : تكنولوجيا الزجاج او تكنولوجيا النفط او
تكنولوجيا الفضاء او تكنولوجيا الطاقة ، فالاول يعني علوم
صناعة الزجاج على اختلافها ، والثاني علوم صناعة النفط ،
والثالث علوم الصناعة الفضائية ، والرابع يدخل في نطاقه
كل ما يمت الى توليد الطاقة بسبب . وعلى هذا الغرار سائر
العلوم .

التبائيا

هي ظاهرة نفسية ، تقوم على الاتصال بين نفس ونفس
على ما بينهما من البعد بحيث يفهم كل منهما مراد الآخر مباشرة
وبلا واسطة .

وقد انكر ذلك جميع العلماء .

التيوقراطية

هذه الكلمة يونانية ، وتعني الدولة الدينية .
وفي كتاب السلطان لرسل ترجمة خيري حماد ص ٨٣ :
« نرى اليوم في الولايات المتحدة اجلالا للمحكمة العليا يضاهي
ما كانت تنظر به اوربا للبابوات في القرون الوسطى ، وكل من
درس الدستور الامريكي يعرف تماما ان المحكمة العليا ليست
الا جزءا من القوى المنشغلة في حماية الفئة الحاكمة » .

ومن المعلوم للقاصي والداني ان الفئة الحاكمة هناك
منشغلة في حماية الشركات الاحتكارية ، والجدير ان هذه
الشركات هي السلطة القضائية والسلطة التنفيذية في الولايات
المتحدة ! .

(ث)

الثقافة

وهي في اللغة : الحذاقة ، وبالمعنى الذي نفهمه الآن أن يتمدى العالم حدود اختصاصه بعلم من العلوم الى الاطلاع والالمام بالتراث وما يمكن العلم به من جديد مفيد ، بخاصة الافكار والتيارات السائدة في عصره على أن ينظر اليها والى الحياة والمجتمع نظرة صحيحة تأييدا أو تنفيذا .

أما العالم الذي يقف عند مهنته ، ويجهد على دروسه فهو تهما كالأعرج يسير على قدم واحدة .
الثلاثي

وهو عند هيجل التطور على ثلاث مراحل : القضية ونقيض القضية والمركب . (انظر فصل المادية الجدلية) .

الثقوية

أو الاثنينية هي فرقة تدين بالهين : إله الخير وإله الشر ، لأن في العالم خيرا وشرا ونورا وظلمة ، ومن يخلق الخير والنور لا يخلق الشر والظلمة ، وكذلك من يخلق الظلمة والشر لا يخلق النور والخير . وكان المسلمون الأوائل يشيرون الى من يرى هذا الرأي بكلمة زنديق .

وأبطلنا هذه الشبهة في كتابنا فلسفة التوحيد والولاية فصل الخير والشر .

(ج)

الجانبية

وهي ما في الأجسام من قوة الجذب كما في المغناطيس ، وقد اكتشفها نيوتن (١٦٤٣ — ١٧٢٧) وهو عالم طبيعي انكليزي ، ولاكتشاف هذه النظرية تأثير كبير في عالم الصناعة .

الجبر

هو علم من العلوم الرياضية ، والفرق بينه وبين علم الحساب ان هذا العلم يعبر عنه بالأرقام المعلومة ، اما علم الجبر فيعبر عنه بالحروف التي لا يعرفها الا اهل الاختصاص .

الجبرية

هي المذهب القائل بأن الانسان مسير لا مخير .

الجدل

هو في الاصل فن الحوار والمناقشة ، وعند سقراط تنفيذ رأي الخصم باستدراجه بالقاء الأسئلة عليه الى أن يجيب بعبارة تناقض قوله ، فيستسلم مرغما .

والجدل عند المنطقيين القدامى قياس مؤلف من مقدمات يلزم من القول بها التصديق بقول آخر .

والتطور الجدلي عند هيجل فكري بحث ، وعند ماركس
مادي صرف .

الجشطلت

لفظ الماني معناه الشكل او الصورة ، ومعنى الصورة هنا
الصورة الخارجية من جهة ، والبنية الباطنية والتنظيم الداخلي
من جهة ثانية (صليا) .

الجوهر

قال قدماء الفلاسفة : ينقسم الوجود — ما عدا واجب
الوجود — الى جوهر وهو القائم بذاته ، ولا يفترق وجوده الى
موضوع كالانسان والحجر ، والى عرض وهو ما يفترق وجوده
الى موضوع كالسواد والحركة .

اما فلاسفة العصر الراهن فينكرون هذا التقسيم ،
ويقولون : لا احد يعرف حقيقة المادة ، وغاية ما يمكن العلم
بها انها عبارة عن ذرات تسبح في فلكها بسرعة ٢٩٠ ألف
كيلومتر في الثانية ، وانها تتغير وتتحول الى عكسها ، وعليه
فلا ندري ماذا تكون عليه المادة في المستقبل بدقة تامة ،
« فالعالم الطبيعي كما يراه العلم المعاصر ليس محدد المسار
على سبيل القطع الذي لا يحيد قيد شعرة عما رسم له ، كما
كان يظن من قبل » .

(ح)

الحتمية

هي المبدأ القائل بخضوع الاشياء لمبدأ العلية وللقوانين الضرورية ، وبهذه الحتمية يتنبأ الطبيب بما سيحدث من الأمراض عن طريق العلم بأسبابها . . وأيضاً بهذه الحتمية توضع القوانين العلمية القائمة على الاستقراء ، ولولاها لانسد باب العلوم .

وفي الموسوعة الفلسفية السوفياتية ما نصه بالحرف الواحد :

« وقد ظهرت الافكار الحتمية في الفلسفة القديمة ، وكان اكثر الذين سلموا بها الذريون القدماء . وجرت البرهنة على مفهوم الحتمية على يد العلم الطبيعي والفلسفة المادية عند بيكون وغاليلو وديكارت ونيوتن ولومونوسوف ولابلاس وسبنوزا والفلاسفة الماديين الفرنسيين في القرن الثامن عشر . . فقد اعتقد هؤلاء المفكرون أن أشكال السببية مطلقة ، ووجدوا بين السببية والضرورة ، وأنكروا الطبيعة الموضوعية للصدفة » .

وما دام الشيوعيون وغيرهم من الماديين ، ينكرون الصدفة ويؤمنون بمبدأ العلية في كل شيء من الذرة الصغيرة الى المجرات الكبيرة — فلماذا ينكرون علة الكون العجيب ويقولون : وجد من باب الصدفة ؟. ان الاعتقاد بمبدأ العلية يلزم

الجاحد حتماً بانكار مبدا العلية والا ناقض نفسه بنفسه ،
وخالف فطرته وعقله هو بالذات لا عقل سواه من حيث لا
يحس ويشعر ! .

ويمكن الجواب عن هذا الاشكال بأن الماديين اعترفوا بمبدا
العية حيث نظروا اليه من رؤوسهم ، وأنكروا علة الكون
حيث فكروا بأقدامهم التي وطؤا بها المادة ، واذا اختلفت
الحيثية زال التناقض ! .

الحس المشترك

وسمي بالمشترك حيث يشترك فيه الكبير والصغير والجاهل
والعالم ، بل الانسان والحيوان في كثير من المحسوسات ،
ومنه ما نكون على يقين من وجوده بالحس الظاهر كالطعم
واللون والريح ، ومنه ما يدرك بالحس الباطن كالجوع
والشبع واللذة والألم .

وهذا الحس لا يتوقف وجوده على حس آخر ، لانه الأصل
والاساس ، وايضا لا يتطور بالاستعمال والنكرار ، على
العكس من العقل الذي ينمو ويتقدم بالدرس والروية
والممارسة .

حلم اليقظة

وهو هذيان المخيلة المريضة حيث ينفصل الانسان عن
نفسه وواقعه وعن العالم بكامله ، ويرتقي الى عالم الوهم
يبنى فيه الدور والقصور ، ويستوي على عرش الأمر والنهي
وهو في النقيض والحضيض .

وما اكثر هذا النوع في كل زمان ومكان ، وايام دراستي في

النجف الأشرف رأيت بعض افراده ، فكان المستشفئ هو
من العجب والغرور والزلل والعثور .

حيوية المادة

تشير هذه الكلمة الى المذهب القائل بأن المادة حية ،
وانها تملك العقل والاحساس ، وكان على هذا المذهب
الماديون اليونانيون الأول وبعض الماديين الفرنسيين (الموسوعة
الفلسفية السوفياتية) .

(خ)

الخاصة

وصف خارج عن ماهية الموصوف ، ولكن يختص بها دون غيرها ، ومن هنا سمي بالخاصة ، وايضا لا يمكن استقلاله بنفسه ، ولذا كان عرضا لا ذاتا . وقد يكون ملازما لكل افراد النوع كالضحك وقد يكون ملازما لبعض افراده دون بعض مثل الكرم والحدة .

الخلاء

وهو عند الفلاسفة خلو المكان من مادة جسمية تشغله ، وبعضهم قال بجواز هذا الخلاء ، اما المحققون فقالوا بالامتلأ ، واستحالة الخلاء .

الخليبة

وهي العنصر الذي تبنى منه اعضاء وانسجة الكائنات الحية .

(د)

الدور

وهو توقف وجود أحد الشئيين على وجود الآخر ، ومثاله
قول الشاعر :

مسألة الدور جرت
بيني وبين من احب
لولا مشيبي ما جئنا
لولا جفاه لم اشب

فكل من وجود شبيب الشاعر وجفاء الحبيب متوقف على
وجود الآخر ، وهذا هو الدور المحال .

الديمقراطية

كلمة يونانية ، ومعناها سيادة الشعب بارادة الشعب
لمصالح الشعب بلا تمييز بين فئاته وافراده . وتقابلها
الاستقراطية .

الديناميكا

تسم من علم الميكانيكا ، يبحث في الحركات المادية من جهة
علاقتها بالقوى التي تحدثها . (صليا) .

(ذ)

الذرة

هي أصغر جزيئات العنصر الكيميائي ، وهي نسق معقد يتألف من نواة مركزية ثقيلة ذات شحنة موجبة محاطة باطار من جزيئات خفيفة ذات شحنة سالبة ، تتحرك في مدارات حول النواة ، وتعرف بالالكترونات والنواة الذرية معقدة في بنائها . (الموسوعة الفلسفية السوفياتية) .

الذكاء

قالوا : الناس تتفاوت في الذكاء كما وكيف . ومثال الفهم في الكم أن يستوعب دروسه بانتقان ، ويحسن من الحوار والنقاش والكتابة والخطابة ، ولكنه لا يهتدي الى العيش سبيلا . ومثال الفهم في الكيف أن يعمى عن الدرس كجدي الأخرس ، أما بسبل العيش فهو الامتاذ الاعلم والاقدر .

الذوق

نكر أصحاب معاجم الفلسفة الذوق ، وقال بعضهم : هو توة ادراكية للطائف الكلام ومحاسنه ، وقال آخر : هو المتدرة على فهم الجميل والتبجح ، وقال الثالث : انه القوة الحاكمة على القيم الجمالية .

وعلى اية حال فان الذوق السليم غير العقل والعاطفة ، لان العقل يتطلع الى الحقيقة ، ومن جلها يحقق ويحلل وينقب ، والعاطفة تؤثر المنفعة الخاصة ، أما الذوق السليم فبينه وبين الحسن والجمال رابطة وثيقة وتفاعيل وتجاذب طبيعي وفطري ، لا يحتاج الى درس ويحث وامعان وتفكير .

(ر)

راس المال

هو مال ينتج مالا أرضا كان أو شجرا متجرا أو بنساء أو مصنعا أو نقودا والراسمالية تقوم على الملكية الخاصة لوسائل الانتاج .

الرواقية

مدرسة فلسفية تنسب الى الفيلسوف اليوناني زينون (حوالي ٤٩٠ — ٤٣٠ ق.م) وكان يعلم تلاميذه في رواق وهو سقف في مقدم البيت .

ومن تعاليم الرواقية ان الحكيم لا يحزن على ما فات ، ولا يفرح بما هو آت ، وان السعادة هي الفضيلة .

الرومانسية

اتجاه في الأدب يتميز بالتحدي للمنطق ، وتطعيم الحس والحريّة والتلقائية ، ويعتلق بفكرة الحياة واللانهاية . (صليبا) .

الرياضيات

علوم موضوعها الحساب والجبر والهندسة ونحوها .

(ز)

الزرادشتية

دين فارسي قديم ، ينسب الى زرادشت ، والشيء الرئيسي فيه عقيدة الصراع بين اله الخير « مازادو » واله الشر « اهرمان » .

الزمان

اختلف الفلاسفة : هل الزمان والمكان حقيقتان او انهما لا يوجدان الا في ذهن الانسان ؟ (انظر فصل نافذة على النظرية النسبية) .

الزماني

هو الموجود في الزمان ، وهو مضاد للأبدي ، لأن الزماني يدل على التغيير ، والأبدي يدل على الثبات .

(س)

السبب

ويطلق عادة على كل ما له تأثير بجهة من الجهات ، والسبب العام مرادف للعلّة التي يلزم من جودها الوجود ومن عدمها العدم ، والسبب الناقص يلزم من عدمه عدم المسبب ، ولا يلزم من وجوده الوجود .

السريالية

تستعمل هذه الكلمة في الأدب اللامعتول واللااخلاق « ومعظم انصار هذا الأدب يمدحون التناقض والجنون ، ويفوصون على اللاشعور لاستخراج ككوزه ، ويتفتنون في وصف الرغبات الجامحة والأحلام العجيبة » (صليبا نقلا عن كتاب أندره بريتون) .

السلوكية

قال الدكتور صليبا في المعجم الفلسفي : « السلوكية طريقة علمية ومذهب فلسفي معا ، فهي علمية لأنها تطبق المنهج التجريبي ، وهي مذهب فلسفي لأنها ترد العمليات الذهنية الى أسباب مادية » .

وبكلمة ان السلوكية تبطل كل ما هو داخلي ، ولا تأخذ الا بالمحسوس الملموس .

سيرنيتكا

اطلق المتأخرون هذا اللفظ على مجموع النظريات والدراسات المتعلقة بعمليات الاتصال بين أجزاء الكائن الحي

أو أجزاء الآلة . وأيضا أطلقوه على الأعمال التقنية التي يتم
بها إنشاء آلات ذاتية الحركة . (صليبا) .

السيكولوجيا

هي علم النفس البشرية .

(ش)

الشخصانية

وتعني الشخصانية أن الفرد هو القيمة المطلقة والاسمى والعنصر الروحي للوجود ، وأن مصلحته فوق مصلحة الجماعة علما بأنها تتألف من الأفراد .

الشك

وهو على قسمين : الاول الشك المذهبي ، ويسمى انصاره الشكك واللاادريين ، ويوجبون الامساك عن كل حكم سلبا وإيجابا ، لأن كل قضية تقبل التدليل عليها للسلب والإيجاب بقوة متساوية كما يزعمون .

الشك الثاني المنهجي أو العلمي ، وهو أن يتجرد صاحبه من معلوماته برغبته وأرادته ، ويشك فيها حتى كأنه لا يعلم شيئا ، ويتخذ من شكه هذا وسيلة الى البحث والدراسة العلمية حتى يصل الى المعرفة الصادقة وعلم اليقين .

وبكلمة أن الشك المذهبي غاية في نفسه ، والشك المنهجي وسيلة الى العلم .

الشتوتوية

وهي ديانة يابانية ، والعنصر الرئيسي فيها عبادة الارواح المتعددة التي تتجسد في الحيوانات والنباتات وغيرها من ظواهر الطبيعة ، ومن دين الشتوتوية أن العلاقة بين الالهة والناس تحدث عن طريق الامبراطور الذي يسمونه ميكادو . (الموسوعة الفلسفية السوفياتية) .

(ص)

الصراع من أجل البقاء

وهو القانون « الغريب » القائل بتنازع البقاء بين الأحياء وبقاء « الأقدر » لا الأفضل الأكل ! .

الصورة

ولها معان شتى ، وهي عند الفلاسفة جسمية ونوعية والنوعية تمام حقيقة الشيء وماهيته ، ومن أقوالهم : صورة الشيء هي ماهيته التي بها هو ما هو . ولنا أن نعطف عليه : الهولوى هي البدن ، والصورة هي الروح ، وفي ذاكرتي قول فيلسوف قديم : الهولوى لفظ ، والصورة معناه . وقال الملا صدرا في الأسفار : « الصورة مسا يكون به الشيء هو هو بالفعل » .

الصورية

مذهب فلسفي يرمي الى انكار الناحية المادية وتأثيرها في المعرفة ، ولا يعتد الا بالصور الذهنية .

الصورة

انتقال الشيء من حالة الى أخرى ، وهو عند هيجل من صميم الوجود ، والسبب الاول لتطوره . (أنظر فصل المادية الجدلية) .

(ض)

الضد

الضد صفة وجودية ، يمتنع وجوده مع وجود ضده المانع له كالنور والظلمة ، ولا يمتنع ارتقاعهما معا اذا كان لهما ثالث كالألوان ، فقد يكون الشيء لا أسود ولا أبيض ، بل احمر او اصفر ، وهذا هو الفرق بين الضدين والنقيضين ، لان النقيضين لا يجتمعان ولا يرتفعان اطلاقا كالوجود والمعدم .

الضرورة

وهي مقابلة للجواز ، ومرادفة للحتمية . وسبقت الاشارة اليها .

الضمير

تكلّموا كثيرا عن الضمير ، وبعضهم عبّر عنه بالذات العليا ، وآخر بالقوة الحاكمة ، وثالث بالملكة التي تحدد موقف الانسان من سلوكه ا . وكل ذلك تفسير للظلمة بالبهمة .

والذي نراه ان الضمير هو نفس الشعور بالوخز والتأنيب اذا فعلت ما تندم على فعله ، ونفس الاحساس بالطمأنينة والغبطة اذا فعلت ما تراه ربحا ونجاحا . نقول هذا ونحن على علم بأنه يختلف تبعا للأشخاص ووجهات النظر ، ولكن لا نركن الى سواء .

(ط)

الطفرة

ان يتغير الشيء ، وينتقل من صفته الى صفة اعلى بلا مراحل تدريجية ، وكان يُظن من قبل ان الطفرة بهذا المعنى محال ، ومع الايام تبين انها قد حدثت بالفعل ، قال رسل في كتابه الفلسفة بنظرة علمية ترجمة الدكتور زكي نجيب ص ٢٥٩ : « ان في الطبيعة تغيرات مفاجئة تحدث قفزة من حالة الى حالة اخرى بغير اجتياز الحالات المتوسطة بين الطرفين » .

الطوبساوية

نقيض الواقعية حيث تخلق بالخيال الى الاوهام والمثل العليا كتحقيق السلام العام والتقدم المستمر والمساواة الطبيعية . . الى ما تشتهي النفس ، وتلد الأعين من كل شيء في هذه الحياة الدنيا .

الطوطمية

من اقدم اشكال الديانات في المجتمع البدائي ، وتقوم على عبادة نوع من الحيوانات او الاشياء او الظواهر على اساس انها تمد الخلق بالطعام ، ولا تزال الطوطمية منتشرة بين القبائل الاصلية في استراليا وامريكا الشمالية والجنوبية ومليزيا وبولونيا وافريقيا . (الموسوعة الفلسفية السوفياتية) .

(ظ)

الظاهرة

تطلق على كل ما يبحث فيه العلم من الحقائق التجريبية .

الظاهرية

طائفة من النتهاء يأخذون بظواهر النص حتى ولو خالف
بديهية العقل .

والظاهرية من الفلاسفة ينكرون معنى الجوهر ، ويقولون :
ان الوجود الحقيقي مؤلف من الظواهر فقط . (صليبا) .

(ع)

العالم

العالم كل المخلوقات ، وعالم الطبيعة الأشياء المادية ،
والعالم الأكبر : السموات والأرض وما بينهما (أي الكون
كله) والعالم الأصغر : الأرض بكل من وما فيها وعليها .

العبرية

وأحسن ما قرأت في تعريف العبري أنه هو الذي يعكس
المطالب الاجتماعية ذات الأهمية الحيوية .

العقل

نسب إلى أفلاطون وأرسطو الفرق بين العقل والفكر في
أن الأول يستدل ويستنتج ، والثاني يكشف عن أسباب
الظواهر . ونحن لا نجد أي فرق بينهما ، على أنه لا ثمرة عملية
لهذا الفرق .

والعقلي نسبة إلى العقل ، والعقلاني نسبة إلى من يؤمن
بحكم العقل ، ويستدل به على صحة المعتقد .

العلم

كل من العلم والجهل لا يحتاج إلى حد ، لأنه يعرف بمجرد
التصور ، ولو احتاج العلم إلى تعريف لوجب التعريف بالعلم ،
وإن احتاج هذا الثاني إلى علم ، وهكذا إلى ما لا نهاية .

والعلوم التطبيقية تطلق على الصناعة والطب والزراعة ،
وكل علم له أثر ملموس ، أما العلوم المعيارية فهي المؤلفة من
أحكام انشائية كعلم المنطق والأخلاق والجمال .

(غ)

الغائية

ومبدأ الغائية هو القول بأن كل موجود يسير الى غاية مصينة وليس الانسان وحده كذلك ، وهذا المبدأ أحد الالة على وجود الخالق ، ويسمى الدليل الغائي .

الغنوصية

كلمة يونانية ، تطلق على نزعة صوفية تهدف الى ادراك الأسرار الالهية مباشرة وبلا واسطة . وفي الموسوعة السوفياتية ان الغنوصية تمزج المسيحية بالديانات الشرقية القديمة والافلاطونية الحديثة والفيثاغورية .

(ف)

الفاشية

دكتاتورية ارهابية تأسست كنظام في ايطاليا سنة ١٩٢٢ ثم في ألمانيا سنة ١٩٣٣ .

فسيولوجيا

علم وظائف الاعضاء الحية .

فنتازيا

يطلق هذا اللفظ على كل تخيل وهمي متحرر من قيود

العقل ، او على كل رغبة لا تستند الى سبب معقول . (ميلييا) .

الفوضوية

ظهر المذهب الفوضوي في القرن السابع عشر الميلادي
بزعامة مفكر انكليزي ، اسمه « ونستاتلي » ويرمي هذا
المذهب الى الغاء الدولة بشتى أنواعها ومظاهرها ، وايجاد
مجتمع خال من القهر والارغام ، اما المصالح العامة فيتولاها
جباة من اهل الامانة والثقة على غرار مجالس الحسبة
والبلدية .

الفيزياء

وعلم الفيزياء موضوعه المادة الجامدة ، ومن بحوثه الحركة
والثقل والضغط والحرارة والضوء والصوت والكهرباء .

الفيض

الفيض حق لا ريب فيه ، ومعناه في غايبة الوضوح
والبسطة ، وهو ان الله سبحانه وتعالى يفيض عنه كل
الوجود بارادته فيضانا مباينا لذاته القدسية ، وبهذا انطلقت
الآية ١٦ من الرعد : « قل الله خالق كل شيء وهو الواحد
القهار » .

وابى بعض الفلاسفة الا اثاره التشبهات مثل ان الله واحد،
والواحد لا يصدر عنه الا واحد بطريق مباشر ، علما بأن
الصادرات التي نراها فضلا عما غلب عنا — لا يبلغها
الاحصاء .

ولكي يجدوا حلا لهذه المشكلة الشائكة ابتدعوا فكرة العقل العشر ، وسموها بنظرية الفيض ، وخلصتها بأن الله قد فاض عنه عقل واحد فقط ، فوجد فيه ثنائية الامكان بالذات والوجوب بالغير ، وعن هذا العقل فاض عقل ثان ، وعنه فاض ثالث .. وهكذا تتابع فيضان العقل حتى تالفت هيئة من عشرة وزعت فيما بينها صناعة الكون وخلقه ! .

ولا ادري باي عقل نفسر هذه العقل ؟ ثانيا يقول القرآن الكريم : الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار . ويقول اصحاب هذه النظرية : كلا ، الله خلق العقل الاول فقط ، وما عداه من صنع العقل العشر ! فتعالى الله عما يشكرون . ومن هنا رفض علماء الاسلام هذا النوع من الفيض ، وعملوا بالحديث الشريف : « تفكروا في خلق الله ، ولا تفكروا في ذات الله » .

(ق)

القيمة الفاضلة

هي اصل اصيل العقيدة الماركسية ، وخلصتها ان السلعة من حيث هي لا قيمة لها على الاطلاق ذهبا كانت او خشبا ، وانما تقاس القيمة بعمل الانسان — مثلا — تلاوة الذهب لا تقدر بالسعر المعروف للذهب ، بل بما يبذله الصائغ من جهد في صياغتها ، ولكن العامل لا يأخذ قيمة عمله بالكامل ، بل يأخذ بعضها ، وما زاد فهو لرب العمل بلا مقابل ، وهو سلب ونهب ! .

والملاحظ ان هذه النظرية على عكس ما يراه العقل ، وجرت عليه سيرة العقلاء قديما وحديثا حيث يتقنون السلعة بما لها من نفع ومائدة في مفهومهم . ولو صحت هذه النظرة

الماركسية لكأنت الأرض المخصبة التي تعطي الكثير بالعمل
اليسير أقل ثمنا وقيمة من الأرض المحبة التي تعطي اليسير
بالعمل الكثير . وهكذا سائر السلع ووسائل الإنتاج .

القيوم

هو القائم في ذاته الفني في وجوده وجميع صفاته عن كل
شيء ، وليس ذلك إلا الله وحده جل وعز .

(ك)

الكثرة

وهي محل خلاف من جهات :

١ — هل الوجود واحد ، وما الكثرة البادية للعيان إلا
أحوال وأعراض لجوهر واحد يعم ويشمل العالم كله
ولا شيء قبله ولا بعده كما يقول المؤمنون بوحدة
الوجود ، أو هناك قوة وراء العالم تباينه في جميع
صفاته كما يقول المؤمنون بالله ؟

٢ — هل الوجود الوحيد هو المادة كما يقول الماديون ،
أو هو الروح كما يقول المثاليون ، أو هما معا كما
يقول الريانيون ؟

٣ — هل أصل الأشياء واحد وهو الهواء كما يزعم
انكسمائيس ، أو النار كما يدعي هرقليط ، أو التراب
والماء والنار والهواء كما قال العديد من قدماء
الفلاسفة ؟

الكلبة

في القرن الرابع قبل الميلاد كان في اليونان فيلسوف يدعى
انتستاتس ، وكان يدرس تلاميذه في مكان اسمه الكلب
السريع ، فأطلق عليهم اسم الكلبين ، وقيل : أطلق عليهم هذا
الاسم ، لانهم كانوا ينبحون على عامل الرذيلة كما ينبح
الكلب الحارس .

ومن مذهبهم احتقار التقاليد والمعتقدات السائدة والرأي
العام ، وأنه لا خير ولا سعادة الا في الفضيلة .
وعلى هذا المذهب فيجون صاحب الفاتوس .

الكمون

ومبدأ الكمون هو الذي يتول : كل شيء فيه كل شيء .
ويرجع هذا الى وحدة الوجود .

الكوهيتو

اشارة الى قول ديكرت : انا أفكر ، اذن أنا موجود .
وهو استدلال على وجود النفس بفعل من أفعالها .

الكيمياء

يبحث علم الكيمياء عن خواص المادة وتغيراتها وتأثير
العوامل الطبيعية بها .

(ل)

اللائمونيون

هم الذين يقولون بالتوقف في الحكم على أي شيء ، لانهم يشكون في كل شيء و في انهم يشكون . انظر « الشك » .

اللائمور

السلوك اللائموري أن تفعل عن وعي وقصد ، مثل أن تنتقد أن تقارن أو تستقرئ وتستنتج ، وما أشبه ذلك .

أما السلوك اللائموري فهو أن تفعل من غير وعي وقصد ، مثل أن تدخن بحكم العادة أو تنظر الى الخلف بتأثير العدوى أو تدم عدوا حين يذكرك أو تطفي على وعيك ومشاعرك حماسة الجوع ، وقالت الآية ١٥٠ — ١٥٤ من سورة الأعراف : ان موسى (ع)لقى الألواح (أي التوراة) وفيها هدى ورحمة وأخذ برأس أخيه يجره في سورة من سورات الغضب المقدس . . الى غير ذلك مما تفعله وأنت لا تود أن تفعله .

اللاهوت

هو الخالق ، والناسوت هو المخلوق ، وعلم اللاهوت مرادف لعلم الكلام والريوية .

اللوفوس

باليونانية يعني العقل الكلي .

(م)

مسا بعد الطبيعة

يطلق عليه الآن كلمة الميتافيزيقا ، وعلم ما بعد الطبيعة عند ابن سينا هو العلم الالهي .

المادية

مذهب من يقول : ان المادة هي الموجود الوحيد ويفسر كل شيء بالاسباب المادية . وتقابل المادة المثالية التي تفسر كل شيء بأسباب روحية .

المصدق

اي الذي صدق اخذا من المصدق ، وهو الشاهد للصدق ، تنقسم الفاظ المصدق الى كلية وجمعية ومفردة ، والكلمة تطلق على كثير من الافراد بلاحد مثل الانسان ، والجمعية تطلق على الافراد المحدودين لمثل اساتذة الجامعة اللبنانية ، والمفردة مثل ابراهيم و خليل .

المقنونة

نسبة الى ماني الفارسي ، عاش في القرن الثالث الميلادي ، وينسب اليه القول بوجود الهسين اله النور والخير والسه الظلمة والشر .

وفي مجلة الدراسات الادبية التي تصدر في بيروت السنة

الرابعة بأعدادها الثلاثة. المجموعة في مجلد واحد — مقال
بعنوان متني ودينه ، جاء فيه :

« ان الدين المانوي هو أحد الموضوعات القامضة في
تاريخ الأديان ، وان نهمة لأمر صعب للغاية . . والمانوية اليوم
من الأديان المتروكة المنسية ، ولا أتباع لها . »

المواطن

هو اللفظ الدال على العديد من الأعيان بمنزلة سواء كدلالة
الإنسان على أحمد وطانيوس ، ويقابله المشكك الذي يصدق
على كثيرين بالتفاوت كصدق الوجود على واجب الوجود
ويمكن الوجود .

المثالية

ولها اقسام ، وأهمها المثالية الذاتية التي تنكر الأشياء
المادية ، والمثالية الموضوعية التي تعترف بوجود الأشياء
المادية ، ولكن تسدها وترجمها الى مبدأ لا مادي . (انظر
نصل المادية والواقعية والمثالية) .

المحتل الأقرب

قد يكون للشيء الذي تحتل وقوعه درجات متفاوتة قربا
بعدا ، فإذا اضطررت الى أحد الأطراف تعين عليك أن تختار
رب الى قصدك وغايتك — مثلا — اذا دعيت الحاجة الى
غمر وكان الجو غير ملائم ، وترددت : هل تسافر برا او
أو جوا فعليك أن تختار الأقرب الى السلامة في نظرك
العقل ، ولو على سبيل الاحتمال الأرجح وهذا الاحتمال

يتمين الأخذ والعمل به تماما كالعلم .

المثاقون

هم اتباع فلسفة أرسطو ، لانه كان يعلم تلاميذه ماشيا .

المصادرة

هي الدعوى من غير دليل أو تتخذ الحليل من عين الدعوى ، كما لو قلت : هذا الكتاب المعروف بالتوراة بين الناس هو من عند الله ، لأن كتاب التوراة ينص صراحة على أنه من عند الله .

المفارقة

تطلق هذه الكلمة للدلالة على الآراء المخالفة للمعتقدات المألومة ، وعلى الذي لا يعتقده صاحبه ، ولكنه يدافع عنه أمام الناس ليعجبوا به . (صليبا) .

المقولات

قالت الموسوعة الفلسفية السوفياتية : « قام أرسطو بخدمة كبيرة عندما طور المقولات الفلسفية ، فقد رصد عشر مقولات ، واعتبرها هي الأحوال الرئيسية للوجود ، ورفع للغاية من شأن أهميتها العلمية .. وهي تمكن الإنسان من احراز معرفة عميقة بالعالم المحيط به » .

وهي (١) الجوهر كالإنسان والحجر (٢) الكم ومنه العدد (٣) الكيف كالحرارة والبرودة (٤) الإضافة كنسبة الابن لآبيه (٥) الوضع كالقيام والقعود (٦) الأين وهو نسبة الجسم الى المكان (٧) المتى نسبة الشيء الى الزمان (٨) الملك مثل لفلان مال (٩) الفعل مثل كسرت القدح (١٠) الانفعال فانكسر القدح .

المنهج

فسرت المعاجم الفلسفية وغيرها كلمة المنهج في أكثر من صفحة ، والذي نفهمه نحن أن المنهج طريقة محددة لبحث الموضوع المقصود ، وأنه يرتبط ارتباطاً لا ينفصم عن اتجاه الباحث وثقافته وفلسفته .

المورفولوجيا

علم يبحث في صور الأشياء أو أشكالها ، وتطلق هذه الكلمة في علم الحياة على دراسة الأنماط المميزة للأنواع الحيوانية والنباتية .
(صليبا) .

ميتاسيكولوجيا

فرع من علم النفس ، يبحث الخصائص اللاشعورية .

الميتافيزيقا

مصطلح يطلق على كل فكرة أو مبدأ أو حكم لا يعتمد على الحس والتجربة (انظر ما بعد الطبيعة) .

ميكانكا

علم توانين الحركة .

(ن)

النحو المنطقي

فرع من علم ما بعد المنطق يهتم بدراسة العمليات الحسابية المؤولة والمشكلات التي تنشأ عن فحص العمليات الحسابية .
(الموسوعة الفلسفية السوفياتية) .

الترجسية

نسبة الى زهرة النرجس ، وفي اليونان اسطورة تقول :
ان فتى من الفتيان كان معجبا بجماله ، وفي ذات يوم رأى
صورته في الماء ، فالتقى بنفسه فيه ليعانقها ، ففرق ، ولكن
الالهة أخرجه من الماء ، وحولته الى زهرة النرجس . فاطلقت
الترجسية على كل مغرور ، وان مآله الى الفرق والعثور .

وقال صليبا في معجمه : « وتطلق الترجسية في إيماننا على
الشذوذ الجنسي الذي يجعل المرء غارقا في عشق ذاته » .
النسبية

انظر فصل نافذة على النسبية .

المنفعة

مذهب يقىس القيم بالمنفعة . ونحن على هذا البدا بشرط
ان لا تكون المنفعة الخاصة على حساب الآخرين ، بل نحن
لا نفرق بين المنفعة الخاصة بهذا الشرط وبين المنفعة العامة ،
واي عاقل يشك في أن خير الأقوال والأعمال ما نفع ؟ علما بأن
الأفضلية للمصلحة العامة عند التزاحم والتصادم ، وعلى هذا
الاساس وجب الجهاد بالروح والمال في سبيل الدين والوطن .

النقطة

ولها ثلاثة اقسام :

- ١ — مادية ، وهي اصفر شيء يمكن أن يشار اليه .
- ٢ — لا يمكن الاشارة اليها اطلاقا ، لانها بلغت الغاية
في الصفر ، وبعض المعاجم عبّر عنها بجوهر اللرد .
- ٣ — النقطة الرياضية ، وهي نهاية الخط . ومن دروس

المنطق التي حفظتها منذ خمسين سنة أو يزيد :
النقطة طرف الخط ، والخط طرف السطح ، والسطح
طرف الجسم ، والسطح غير منقسم في العمق ،
والخط غير منقسم في العرض والعمق ، وعليه
فالنقطة لا تنقسم طولا ولا عرضا ولا عمقا لا بالفعل
ولا بالقوة أصلا .

النومن

يطلق على الشيء في ذاته ، وهو الحقيقة المطلقة التي
تدرك بالحدس العقلي لا بالتجربة . (صليبا) .

النيرفانا

تطلق هذه الكلمة عند البوذيين على الخير الأعلى الذي
يلفه الانسان برجوعه الى المبدأ الأول ، وإمحاء ذاته الفردية .
واستعملها شوينهور في انكار ارادة الحياة انكارا تاما .

(هـ)

الهوهو

والمراد بهذا هو التعبير عن أن الشيء هو عين ذاته ،
ويستحيل أن لا يكون كذلك والا لاتسد باب العلم ، وتعضد
الحكم على أي شيء .

ونقل عن ابن سينا القول بأن الهوهو تستعمل أيضا في
الاتحاد بين اثنين بطريق أو بآخر .

الهيئة

علم الهيئة قسم من الرياضة ، ويبحث أحوال أجزاء العالم

في أشكالها ، وأوضاع بعضها مع بعض ومتأديرها ، وأبعاد ما بينها ، وحال حركات الأفلاك والكواكب .

(صليبا نقلًا عن رسالة ابن سينا) .

الهيولي

وهي مرادفة للمادة والجسم القابل للصورة الجسبية والنوعية (أي تمام حقيقة الشيء وماهيته) (انظر الصورة) .

والعقل الهيولاني مرادف للعقل بالقوة الذي يشبه الصنعة البيضاء الخالية من النقش ، ويتعبر آخر هو الاستعداد المحض لأدراك المعقولات .

(و)

الواحدية

مذهب فلسفي يقول : ان مبدأ العالم ومصدره واحد ، واختلف القائلون بذلك فيما بينهم ، فقال الماديون : هو المادة . وقال المثاليون : بل هو قوة تدرك وتعلم ، ولا تمت الى المادة بسبب .

وحدة الوجود

ومعناها ان الله والطبيعة بشتى مظاهرها ، شيء واحد ولا اثنينية ، بل كل شيء منها هو الله سبحانه وتعالى عما يصفون ، وأوضح ما قرأت في هذا الباب قول طاغور الشهير : « الله حقيقة دائمة الاتحاد بشتى الموجودات ، وتتجلى في مختلف محتويات الكون ، وتتخذ مظاهر متنوعة تبدو في أشكال الطبيعة المتعددة من انسان وحيوان ونبات وجماد » .

(ي)

اليسار واليمين

دأب الناس في هذه الأيام أن يطلقوا كلمة يميني على من يحافظ على الوضع القائم أيا كان لونه ، ويبقي ما كان على ما كان ، وكلمة يساري على من يقول بوجوب التغيير وتجديد إلى الأفضل والأكمل .

ونقل عن كتاب ألوان لطف حسين أنه قال : اليميني من يدافع عن الحرية ، اليساري من يدافع عن العدالة الاجتماعية ، ويمكن التوفيق بينهما تماما كما كالتوفيق بين العدل والحرية ! .

وهذا خلط واشتباه ، لأن اليسار هو التحرر والحرية ، واليمين جمود وتقليد ، فكيف يمكن الجمع بين الضدين ؟ وهل الصراع الذي قام بين من يصلح ويفسد وما زال ، وسيبقى إلى آخر يوم — إلا صراع بين التقليد الأعمى وحرية العقل والفكر ؟

اليوغا

فلسفة أو نزعة هندية تقوم على ممارسة ترويض النفس وتحررها من الطاقات والفرائز الحسية والعقلية لكي تصل رويدا رويدا إلى الاتحاد بالروح الكونية .

اسماء بعض الفلاسفة

ابن باجة

من فلاسفة الاندلس ، وهو أبو بكر محمد بن يحيى ، ولد
في اشبيلية عام ١١١٨ م .

ابن رشد

فيلسوف اندلسي (١١٢٦ — ١١٩٨ م) .

ابن سينا

فيلسوف فارسي (٩٨٠ — ١٠٣٧ م) .

ابن طفيل

من فلاسفة الاندلس ، ولد في تلمس ، ومات في مراكش
عام ١١٨٥ م .

أبيقور

فيلسوف يوناني (٣٤٢ — ٢٧٠ م ق م) .

أرسطو

اشهر فلاسفة اليونان (٣٨٤ — ٣٢٢ م) .

افلاطون

فيلسوف يوناني كبير وشهير (٤٢٧ — ٣٤٧ م) .

افلوطين

فيلسوف مثالي ، ولد في مصر عام ٢٠٥ بعد الميلاد ، وعاش
في روما ، ومات عام ٢٧٠ .

اوغسطين

فيلسوف مسيحي لاهوتي متصوف ، ولد في طاجيستا
بالجزائر عام ٣٥٤ ومات ٤٤٠ م .

بركلي جورج

فيلسوف انكليزي مثالي ذاتي (١٦٨٥ - ١٧٥٣ م) .

براندلي . هيربرت

فيلسوف انكليزي (١٨٤٦ - ١٩٢٤ م) .

برجسون . لوي

فيلسوف فرنسي (٨٥٩ - ١٩٤١ م) .

بسكال بليز

فرنسي (١٦٢٣ - ١٦٦٢ م) .

البيروني

محمد ابو الريحان ، ولد عام ٩٧٣ م ومات بخوارزم بغزن
في افغانستان عام ١٠٤٨ .

بيكون فرانسيس

فيلسوف انكليزي (١٥٦١ - ١٦٢٦ م) .

توما الاكوينبي

ايطالي لاهوتي (١٢٢٥ - ١٢٧٤ م) .

جورين توماس

• انكليزي (١٨٣٦ — ١٨٨٢ م)

جيمس وايم

• عالم نفسي امريكي (١٨٤٢ — ١٩١٠ م)

ديكارت

• فيلسوف فرنسي (١٥٩٦ — ١٦٥٠ م)

ديموقريطس

• فيلسوف ملائي يوناني (حوالي ٤٦٠ — ٣٧٠ ق م)

ديوجين الكلبي

• فيلسوف شهير ، عاش في اثينا (٤٠٤ — ٣٢٣ ق م)

ديوي جون

• فيلسوف امريكي (١٨٥٩ — ١٩٥٢ م)

الرازي

ابو بكر محمد بن زكريا الرازي ، ولد في الري ، وتوفي
عام ٩٢٣ او ٩٢٢ م ، طبيب وفيلسوف وعالم رياضي .

راسل برتراند

• فيلسوف انكليزي (١٨٧٢ — ١٩٧٠ م)

روسو جان جاك

فرنسي (١٧١٢ - ١٧٧٨ م) اشتهر كفيلسوف وعالم اجتماع .

زينون الايتومي

مؤسس المدرسة الرواقية ، ولد في اكتيوم بقبرص (حوالي ٣٣٦ - ٢٦٤ ق م) .

سلتر جان بول

فرنسي ولد سنة ١٩٠٥ كاتب وفيلسوف وجودي .

سبنسر هيربرت

فيلسوف انكليزي شهير (١٨٢٠ - ١٩٠٣ م) .

سبينوزا

فيلسوف هولندي يهودي (١٦٣٢ - ١٦٧٧) .

ستيفنسون تشارلس

فيلسوف امريكي ولد سنة ١٩٠٨ .

سقراط

فيلسوف يوناني كبير وشهير (٤٦٩ - ٣٩٩ ق م) .

شوبنهاور

فيلسوف معروف الماني (١٧٨٨ - ١٨٦٠ ق م) .

شيلبر

شاعر وفيلسوف ألماني (١٧٥٩ — ١٨٠٥ م) .

شيشرون

فقيه وسياسي وفيلسوف روماني (١٠٦ — ٤٣ ق م) .

صدر الدين الشيرازي

ويعرف بالملامدرا ، إيراني توفي ١٠٥٠ هـ .

طاليس المظني

أول فيلسوف اغريقي قديم من الناحية التاريخية
(حوالي ٦٢٤ — ٥٤٧ ق م) .

الطوسي

نصر الدين محمد بن محمد بن الحسن ، كبير وشهير
بالفلسفة والفلك والرياضيات (١٢٠١ — ١٢٧٤ م) .

الفزائي

أبو حامد محمد : فقيه وفيلسوف متصوف
(١٠٥٩ — ١١١١ م) .

الفارابي

أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان من عظماء الفلاسفة ،
تركي (حوالي عام ٢٥٩ — ٣٣٩ هـ) .

فشتنه

فيلسوف ألماني (١٧٦٢ — ١٨١٤ م) .

فيثاغورس

فيلسوف يوناني ازدهر حوالي عام ٥٣٠ قبل الميلاد .

كانت

فيلسوف وعالم المتي (١٧٢٤ - ١٨٠٤ م) .

كونت

فيلسوف فرنسي (١٧٩٨ - ١٨٥٧ م) .

كيركجارد

دنماركي (١٨١٣ - ١٨٥٥ م) .

لوك هون

فيلسوف مادي انكليزي (١٧٣٢ - ١٨٠٤ م) .

ليبنتز

المتي (١٦٤٦ - ١٧١٦ م) .

مساخ

نيسوي (١٨٣٨ - ١٩١٦ م) .

ماركس

ولد في مدينة ترير بالمانيا سنة ١٨١٨ م وتوفي بلندن ١٨٨٣ .

مل ستيوارت

انكليزي (١٨٠٦ - ١٨٧٣ م) .

مل جيمس

اسكتلندي (١٧٧٣ - ١٨٣٦ م) .

ماكيافيلي

مفكر ايطالي (١٤٦٩ - ١٥٢٧ م) .

نيتشه

المتي (١٨٤٤ - ١٩٠٠ م) .

نيوتن اسحق

عالم طبيلة انكليزي (١٦٤٣ - ١٧٢٧ م) .

هابيلتون

- نيلسوف اسكتلندي (١٧٨٨ - ١٨٥٦ م)

هرقليطس

- يوناني ازدهر حوالى ٥٠٠ ق م

هكسلي

- انكليزي (١٨٢٥ - ١٨٩٥ م)

هوبز توماس

- انكليزي (١٥٨٨ - ١٦٧٩ م)

هوسرل ادموند

- الماني (١٨٥٩ - ١٩٣٨ م)

هيجل

- نيلسوف الماني شهير (١٧٧٠ - ١٨٣١ م)

هيوم ديفيد

- اسكتلندي (١٧١١ - ١٧٧٦ م)

ياسبرز كارل

الماني ولد سنة ١٨٨٣

المصادر

- الكتي والالقب للششيخ عباس القمي
- الموسوعة الفلسفية المختصرة ، نقلها عن الانكليزية الى العربية فؤاد كامل وجلال العشري وعبد الرشيد الصادق .
- الموسوعة الفلسفية ، وضعتها لجنة من العلماء السوفياتيين ، وترجمها الى العربية سمير كرم .

الفهرس

٥	مقدمة
١١	الاوليات الفطرية هي الاساس
١٤	حول فلسفة الاشراف
١٧	الحكم بين الموضوعي والذاتي
٢١	بين المنطق القديم والمنطق الحديث
٢٦	حول الانسان والحيوان
٣١	صدق القضية
٣٥	حول الجمال
٤٠	فلسفة الدين
٥٠	المنهج العلمي في الاسلام
٦٠	نافذة على النظرية النسبية
٧٤	حول كونفوشيوس وفلسفته
٨١	الاتحاد الدولي للجمعيات الفلسفية
٨٩	خوافز التقدم
٩٤	احذر العجول الغضوب
٩٨	الفلسفة والديانات السماوية

١١١	المادية والواقعية والمثالية
١١٧	حول العلوم الانسانية
١٢٤	فلسفة الآخرة وجمال الدين الانغاثي
١٢٨	فلسفة الاحاد في العصر الراهن
١٣١	الوضعية المنطقية
١٣٩	البراغماتية
١٤٤	الوجودية
١٥٠	المادية الجدلية
١٥٧	المال شيء ، وليس كل شيء
١٦٣	المنهج المتبع في الرياضيات والطبيعيات والفلسفة
١٦٩	السبب والمسبب
١٧٤	الفلسفة القرآنية
١٨٥	قاموس لبعض المصطلحات الفلسفية
٢٣٣	أسماء بعض الفلاسفة

Bibliotheca Alexandrina



0451016